

مَجَلَّةُ التَّحْقِيقِ

مجلة دورية علمية محكمة تُنشر بحكم ونشر البحوث والدراسات المتخصصة بمجالات تدبر القرآن الكريم ، وتصدر مرتين في السنة

العدد السابع السنة الرابعة محرم ١٤٤١ هـ الموافق سبتمبر ٢٠١٩ م

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ وَأُتِيْتَهُ وَلِيَسْتَدْكَرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]

موضوعات العدد:

﴿ وَذَاتِ شُرَيْعَةٍ لَّا تَحْكُمُ إِلَّا بِالْإِشْرَافِ الْمُبِينِ ﴾
دراسة تفسيرية موضوعية

د. باهي زكوت عبد العالي

﴿ أَلَمْ يَدْعُوا إِلَى أَلْتَّخِذُوا مِنْ آيَةٍ ﴾

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمُذْ... ﴾ اكريشان ١٥٩

الشيخ محمد بن علي بن حبيب المطري

﴿ بَلَاغَةُ التَّخْيِيرِ بِـ: اللِّسَانِ ﴾ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

د. محمد حاتم أبو سمعان

﴿ مَعَاذَ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ غُرُورٌ فِي مَسْئَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴾
دراسة موضوعية

الشيخ عبد الله سعادتي شواهنة

﴿ تَقَرَّرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَةٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴾
دراسة موضوعية

إلياس - موسى بن سارالماكي

﴿ تَقَرَّرَ عَنْ رِجَالٍ يَتَذَكَّرُونَ رَبَّهُمْ فِيهَا ﴾

﴿ تَقَرَّرَ عَنْ الْمُؤَقَّرِ الْعَلِيِّ أَنَّهُ بَسَّ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا الْقُرْآنَ وَتَذَكَّرُوا الْقُرْآنَ الْكَرِيمِ ﴾

في أوروبا: منهج القرآن في بناء الإنسان



مجلة الترتيب

مجلة دورية علمية محكمة تُعنى بحكام ونشر البحوث والدراسات المتعلقة بمجالات تدبر القرآن الكريم ، وتصدر مرتين في السنة

العدد السابع السنة الرابعة مُحَرَّر ١٤٤١هـ سبتمبر ٢٠١٩م

رئيس التحرير الدكتور البشير

١. د. محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مدير التحرير

١. د. محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

أمين التحرير

مهاضي بن محمد بن عبد الوهاب



حقوق الطب مع محفوظات

مجلة تدبر

٣٢٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم
رقم الإيداع: ٥٨٨٣ / ١٤٣٨
بتاريخ: ١٤٣٨ / ٦ / ٢٤
ردم: ١٦٥٨ - ٧٦٤٢



سعر المجلة (٢٥) ريالاً سعودياً أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الإعلام
بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥

لِلْمَنْسِلَاتِ وَالْأَشْرَافَاتِ

جَمِيعُ الْمُرَاسَلَاتِ وَطَلَبَاتِ الْإِسْتِزَاكِ بِأَسْمِ:

رَبِّهِنَّ الْبَحْرَيْنِ

أ.د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَوَاجِي

المملكة العربية السعودية

ص. ب ٧١١٩

المدينة المنورة ٤١٤٦٢

Info@tadabburmag.sa



+966503072333



@tadabburmag



http://www.tadabburmag.sa



المرآة لعامة الناس في الجاهلية نعت عن آراء أصحابها

(إخراج فني: همت العزب)





مَجَلَّةُ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ

دورية علمية محكمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

❁ **المرجعية:** مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية.

الرسالة:

أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرسالة:

أن تكون وعاءً علمياً محكماً للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهداف:

- ❁ **تشجيع** البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- ❁ **نشر** البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- ❁ **تحقيق التواصل العلمي** بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.
- ❁ **فتح آفاق جديدة** للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.



مجالات النشر في المجلّة

❁ أولاً: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم:

١. التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.

٢. الموضوعات القرآنية.

٣. المقاصد القرآنية.

٤. المناسبات القرآنية.

٥. الإعجاز القرآني.

٦. البلاغة القرآنية.

٧. تعليم تدبر القرآن الكريم.

٨. الاستنباط من القرآن الكريم.

❁ ثانياً: تقارير المنتقيات والمؤتمرات العلمية المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

❁ ثالثاً: مستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة في المجالات

المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

❁ رابعاً: ما طرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في

المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

.....



رَئِيسُ هَيْئَةِ التَّحْقِيقَاتِ

أ.د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَوَاجِي

الأستاذ يقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أَعْضَاءُ هَيْئَةِ التَّحْقِيقَاتِ

أ.د. إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحِ الْحَمِيضِي

الأستاذ يقسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

أ.د. عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرِ الْيُوسُفِ

الأستاذ يقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَلِيُوي

الأستاذ يقسم البلاغة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعَةِ

الأستاذ يقسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

د. بَرِيكَ بْنُ سَعِيدِ الْقُرَنِي

الأستاذ المشارك يقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مُتَدَرِّسُ التَّحْقِيقَاتِ

د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعَةِ

الأستاذ يقسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

أَقْبِيَاءُ التَّحْقِيقَاتِ

مُصْطَفَى مُحَمَّدُ عَبْدُ الْوَاحِدِ

رَئِيسُ هَيْئَةِ التَّحْقِيقَاتِ

د. فَيْضِلُ بْنُ جَمِيلِ حَسَنِ عَزَاوِي

إمام الحرم المكي، ومعيد كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى بمكة المكرمة

أ.د. الشاهد البوشيخي

رئيس مجلس إدارة مؤسسة منبج للدراسات والبحوث بالمغرب

أ.د. فَهْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّوْمِي

الأستاذ بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض

أ.د. عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَاظَةِ الشَّهْرِي

الأستاذ بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض

أ.د. عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الرَّهْرَانِي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د. يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ زَقَمِي

المشرف على كرسي الملك عبد الله للقرآن وعلومه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

أ.د. عَبْدُ الْحَكِيمِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَيْنِسِ

كبير باحثين أول، عضو هيئة كبار العلماء بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدي

أ.د. ظَهْرُ بْنُ حَمْدٍ عَابِدِينَ

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

أ.د. أَحْمَدُ خَالِدُ شُكْرِي

الأستاذ بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية

أ.د. أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّرْقَاوِي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف بطنطا
عضو اللجنة العلمية الدائمة لرفع شأن الأئمة وعلومهم بالجامعة الأزهرية.

قَوْلُ الْحَاكِمِ وَشُرُوطُ النِّشْرِ



❁ أَوَّلًا: طَبِيعَةُ الْمَوَادِّ الْمَنْشُورَةِ:

تهدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجال تدبر القرآن الكريم، الذي تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أي الفئات التالية:

❁ البحوث الأصيلة.

❁ المراجعات العلمية.

❁ مستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.

❁ تقارير الملتقيات والمؤتمرات العلمية.

❁ ثَانِيًا: إِرْشَادَاتُ لِّلْبَاحِثِينَ لِنَقْدِيمِ مَجُودِهِمْ:

١. لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٥٠) صفحة مقاس (A4) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٥) صفحة.

٢. هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلى، وأسفل، ويمين، ويسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.

٣. يستخدم خط (traditional arabic) للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.



٤. يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمستخلص والجداول والأشكال.

٥. تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم (١٤) بلون عادي (غير مسود).

٦. توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً، وتضبط الحواشي آلياً لا يدوياً.

٧. تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية).

٨. لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج، وأهم التوصيات) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.

٩. يُتبع كل مستخلص (عربي/ إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

١٠. سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية.

.....

عُنَاوُلُ لِبَحْثٍ



يُظَمُّ الْبَاحِثُ بَحْثَهُ وَفَقَّ مُقْنَضِيَّاتٍ (مَنْهَجَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ) كَالْتَّالِي:

١- كتابة مقدمة تحتوي على: (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).

٢- تبيين الدراسات السابقة - إن وجدت - وإضافته العلمية عليها.

٣- تقسيم البحث إلى أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)، بحيث تكون مترابطة.

٤- عرض فكرة محددة في كل قسم (مبحث) تكون جزءاً من الفكرة المركزية للبحث.

٥- يكتب البحث بصياغة علمية متقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم (النتائج) و(التوصيات).

٧- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة) حسب المنهج العلمي المعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).

أما الآية القرآنية: فيشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء: ٥٥].



❁ يُوَثِّقُ الْبَاخْتُ الْمَرَّاجِعَ فِي نِهَآيَةِ الْبَحْثِ حَسَبَ النَّظَامِ التَّالِيِ :

١ - **إذا كان المرجع (كتاباً):** («عنوان الكتاب»). فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم المحقق - إن وجد -، فبيان الطبعة، فمدينة النشر، فاسم الناشر، فسنة النشر).

مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين. ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤ م.

٢ - **إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تطبع):** («عنوان الرسالة»). فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فنوع الرسالة (ماجستير / دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسنة).

مثال: «يعقوب بن شيبه السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨ هـ.

٣ - **إذا كان المرجع (مقالاً من دورية):** («عنوان المقال»، فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم الدورية، فالمكان، فرقم المجلد (رقم العدد)، فسنة النشر، فالصفحة من ص... - إلى ص...).

مثال: «الإمام عفان بن مسلم الصنفار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م (٣)، (١)، ١٤٣١ هـ، ٣٥ - ٨٥.



٤ - هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات إن لم يوجد لها أي بيان

في بيانات المرجع، وهي كالتالي:

بدون اسم الناشر: (د. ن).

بدون رقم الطبعة: (د. ط).

بدون تاريخ النشر: (د. ت).





مسار البحث المقدم للمجلة

✿ إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة يُعد تعهدًا من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

✿ لهيئة تحرير المجلة حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.

✿ يطلع الباحث على خلاصة تقارير المُحكِّمين ليعدل بحثه وفقها، ويبين رأيه فيما لا يؤخذ به من أقوالهم، وتحسم الهيئة الخلاف بينهما.

✿ في حال (قبول البحث للنشر) يتم إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث للنشر)، وعند رفض البحث للنشر يتم إرسال رسالة (اعتذار) للباحث. ✿ للباحث بعد نشر عمله في المجلة أن ينشره مرة أخرى بعد مضي ستة أشهر من صدورها، على أن يشير إلى نشره في المجلة.

✿ إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة يُعد قبولًا من الباحث بـ(شروط النشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.

✿ الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

❁ نظام التوثيق المعتمد في المجلة بالنسبة للمراجع الأجنبية هو نظام (جامعة شيكاغو).

❁ في حال (نشر البحث) يمنح الباحث خمس نسخ من عدد المجلة التي تم نشر بحثه فيها.

المواد العلمية المنشورة في المجلة تُعبر عن آراء أصحابها





المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٩	❁ كَلِمَاتُ نَبِيِّنَا الْبَحِيْرَا
٢٣	أولاً: البحوث
٢٥	❁ هِدَايَاتُ شَرِيعَتِنَا لِأَحْكَامِ الْأَطْعَمَةِ فِي ظِلَالِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ دِرَاسَةٌ تَفْسِيرِيَّةٌ مُوَضُّوعِيَّةٌ د. بَايْ زَكُوبُ عَبْدَ الْعَالِي
٩٣	❁ آيَاتُ الْمُسْتَبْطَةِ مِنْ آيَةِ "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ..." آلِ عِمْرَانَ ١٥٩ أ/ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ جَمِيلٍ الْمَطْرِي
١٣٧	❁ بَلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بـ "اللِّسَانِ" فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ د. مُحَمَّدٌ حَاتِمٌ أَبُو سَمْعَانَ
١٩٧	❁ حَمْدُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دِرَاسَةٌ مُوَضُّوعِيَّةٌ أ/ حَسْرَةُ عَبْدَ اللَّهِ سَعَادِي شَوَاهِنَة
٢٤١	ثانياً: مُسْتَخْلَصَاتُ الرِّسَالِ وَالْمَشَارِيعِ الْعِلْمِيَّةِ
٢٤٣	❁ تَفَرُّدُ عَنْ رِسَالَةٍ عِلْمِيَّةٍ يُعْطَوْنَ كَلِمَةً لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دِرَاسَةٌ مُوَضُّوعِيَّةٌ مُوسَى بْنُ سَالِمٍ الْمَالِكِي



الصفحة	الموضوع
٢٥٩	✽ تقرير عن برنامج يتدارسونه بينهم
٢٨٥	فالنّا: تقارير المؤتمرات العاميّة
٢٨٧	✽ تقرير عن المؤتمر العالمي السادس للدراسات القرآنيّة وتدبر القرآن الكريم في أوروبا "منهج القرآن في بناء الإنسان"
٢٩٧	ابعا: الملخصات باللغة الإنجليزيّة



مَجْلَدُ التَّكْوِينِ



اَفْنِاحُ حَيَاتِ الْعَالَمِ



كَلَّمَكَ رَبِّي بِالْبَيِّنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الرحيم الرحمن ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿١﴾ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ ﴿٣﴾.

والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله الله رحمة للعالمين،
وأنزل عليه الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمسلمين،

أما بعد :

♦ فإن الله - جل جلاله - جعل الغاية من بعثة نبيه ﷺ تلاوة القرآن التي
يحصل بها تبليغ رسالة الله ﷻ ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمْ
الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، فكان حريصاً على تلاوته على الأمة، وعلى معرفتهم
بتلاوته حق التلاوة؛ بتتبع حروفه وحدوده في آنٍ واحدٍ، بل بلغ به الحرص
والاجتهاد في ذلك مبلغه حتى طمأنه ربه: ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَغْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانَهُ، وضمن له حفظه حروفاً
وحدوداً ﴿سَنُفَرِّقُكَ فَلَا تَنسَى﴾، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

♦ ورضي الله عن أصحابه، الذين أخذوا عنه القرآن بحقه، وجعلوا
جمعه وتبليغه ونشر علومه من أعظم مهماتهم في الحياة من بعده، ثم أخذ ذلك
عنهم التابعون بطبقاتهم ثم تابعوهم، وما زال على ذلك علماء هذه الأمة حتى



يومنا هذا، فدأبهم القرآن تعلمًا وتعليمًا منذ نعومة أظفارهم وحتى مماتهم، محافظة لحروفه ولحدوده، ومدارسه لعلومه العامة والخاصة.

♦ وإن مما يعين اليوم على المحافظة على القرآن وعلومه نشرها بين الناس، فالعامة تهتدي بما يكتبه علماءها وطلبة العلم، وطلبة العلم يتدارسون ذلك فيما بينهم، ويكمل بعضهم بعضًا في اكتمال العلوم ومخرجاتها خدمةً لكتاب الله تعالى، واقتداء بالرسول ﷺ وصحبه وسادات هذه الأمة.

♦ ومن مجالات نشر القرآن وعلومه مجلتكم المباركة «مجلة تدبر»، التي دخلت عامها الرابع بصدور هذا العدد السابع، والله الحمد والمنة والفضل؛ فنشكر الله على ما أولاها من الفضل والإحسان والجود، ومن شكر الله شكر كل من أسهم فيها بالنشر والكتابة، أو المراسلة، أو التحكيم العلمي، فقد جاوزت البحوث المعروضة عليها مائة بحث، ونُشر من خلال أعدادها السابقة خمسة وعشرون بحثًا محكمًا، مع الحرص التام لهيئة تحريرها مشكورين على إفادة كل من أرسل بحثه للمجلة سواءً قبل ونشر أم لم يقبل؛ لأن المجلة جعلت من أهدافها الارتقاء بالبحث والباحثين في مجالات تدبر القرآن الكريم.

♦ وما زالت المجلة وهيئة تحريرها تتطلع لإنتاج علمي أفضل، يخدم تدبر القرآن الكريم ونشره بين العالمين، وتكون بذلك صلةً علمية بين الباحثين، وبينهم وبين عموم المسلمين.



وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وسدد على الخير خطاهم، وكتب
الأجر لكل من أسهم في ذلك، وأعان عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين

رئيس هيئة التحرير
أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي



مَجَلَّةُ تَدْوِينِ عَمَلَاتِ



أولاً: البُحُوث

مَجْلَدُ التَّحْقِيقِ

البحث الأول

هَدَايَاتُ تَشْرِيعِيَّةٍ لِأَحْكَامِ الْأَطْعِمَةِ
فِي ظِلَالِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ
دِرَاسَةٌ تَفْسِيرِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

د . بَاتِي زَكُوبُ عَبْدَ الْعَالِي

الأستاذ المساعد بقسم أصول الدِّين والدَّعوة، كلية
العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية – ماليزيا

- **إحصل على درجة الماجستير** من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم القرآن والسُّنة، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا
- **حصل على درجة الدكتوراه** من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم القرآن والسُّنة، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا

أهم النتائج العلمي:

- ❁ «دور توظيف تدبُّر القرآن الكريم في تعزيز أخلاق البحث العلمي من وجهة نظر محاضري كلية العلوم الإسلامية بجامعة المدينة العالمية ماليزيا»، (بحث محكَّم منشور).
- ❁ «القلب بين القرآن الكريم والعلم الحديث»، (بحث محكَّم منشور).
- ❁ «من خصائص الخطاب الإصلاحي في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس»، (بحث محكَّم منشور).
- ❁ «وجوه الخطاب الإصلاحي في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس»، (بحث محكَّم منشور).
- ❁ «مصطلح المال في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه في الشريعة الإسلامية»، (بحث محكَّم منشور).
- ❁ «الطُّرق المنحرفة في التفسير وأثرها في تفريق الأُمَّة الإسلامية»، (بحث محكَّم منشور)، وغير ذلك.

❁ البريد الإلكتروني: bey.zekkoub@mediu.edu.my

مستخلص البحث

لقد أنزل الله القرآن الكريم ليكون هدىً ومنهجاً للعالمين، وشرع فيه من العبادات والفرائض والأحكام ما يتم به حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وقد برزت إشكالية هذا البحث في أن بعض المسلمين -الأقل اهتماماً بقيمهم الدينيّة- لا يكثرثون لتناول الطعام في المطاعم الأجنبية، ولا يتساءلون مطلقاً عما إذا كان الطّعام المقدّم حلالاً أم حراماً، ومثل هذا السلوك يتناقض بوضوح مع هدايات القرآن الكريم وإرشاداته في التحقق من وضع الحلال على الطعام المقدّم. لذلك استهدف هذا البحث بيان أهمّ الهدايات والإرشادات التشريعية المتعلقة بأحكام الطّعام منطلقاً من المنظور القرآني لهذا الموضوع وفقاً للآيات الواردة في سورة المائدة، وتحليلات العلماء المفسّرين لها، وأخذاً بعين الاعتبار ما يتعلّق بها من سنّة رسول الله ﷺ، وهذا لأجل خلق وعي لدى المسلمين بشأن الأطعمة المسموح بها شرعاً والممنوعة، موظّفاً المنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج الاستنباطي، وقد تضمّن استنباط هذه الهدايات التشريعيّة؛ لتكون دليلاً إرشادياً فيما يستجدّ من الأطعمة مستقبلاً. ومن المتوقع أن يستفيد من هذا البحث شركات الأطعمة الدولية والمحلية التي تهتمّ بدرجة أكبر بمتطلبات الشريعة بشأن تداول المواد الغذائية من الإنتاج إلى التسويق، ومن الإعداد إلى الخدمة. وقد أظهر البحث أربع عشرة هداية تشريعية تتعلّق باستهلاك الطّعام تمّ تقسيمها إلى هدايات كليّة، وهدايات جزئيّة، ومناقشتها في ثانياً هذا البحث. وفي النهاية أوصى البحث بضرورة



تفعيل هذه الهدايات التشريعية في حياة الإنسان المسلم، وتعميمها على مراكز الحلال ومختبراتها العالمية التي تروّج لمواصفات ومقاييس الطّعام الحلال لا سيّما وأنّ الطّعام هو عصب الحياة، وفيه تصرف أموال طائلة.

الكلمات المفتاحية: هدايات تشريعية، الأطعمة، الحلال، الحرام،

سورة المائدة.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أحلَّ لنا كلَّ ما هو طيبٌ نافع في البدن والدين، وحرَّم علينا كلَّ ما هو خبيث ضارٌّ في البدن والدين، وأصْلَيْ وأسلم على مَنْ بُعثَ بالتيشير والسَّماحة في الدين، فحبَّب أُمَّته إلى ذلك، وكرَّه إليها التَّشدد والتَّعمُّق في الدين، وعلى آله وأصحابه الذين ذُبحوا عن حياض الدين، وأتباعه الذين نشرُوا الكتاب والسُّنة إسهامًا منهم في خدمة هذا الدين، ومَنْ اقتفى أثره ودان بدينه إلى يوم الدين.

وبعد!

فقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم يتحرَّون الحلال، وبالخصوص في طعامهم، وقد خلد القرآن الكريم سؤالهم عن الحلال، فكانت الإجابة أنها الطيبات التي فيها نفع ولذة، ولا تضرُّ بالدين أو البدن أو النسل أو المال أو العقل لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤]، كما حضَّت السُّنة النَّبويَّة على تحرِّي الطعام الحلال؛ نظرًا لكونه من أسباب تقبُّل الدُّعاء والعمل الصالح؛ لقوله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السَّماء، يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذِّي



بالحرام فأني يُستجاب لذلك»^(١)، وقد استدلل العلامة ابن كثير بهذا الحديث على أن: «الأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة»^(٢). هذا وسيقتصر البحث على دراسة بعض آيات سورة المائدة المتعلقة بالأطعمة والأشربة المحللة والمحرمة؛ نظراً لأن هذا الموضوع من المواضيع المهمة الذي تناولته هذه السورة بإسهاب مقارنة بغيرها من سور القرآن الكريم، والمقصود بالهداية: «دلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب»^(٣)، ويعرفها آخر بأنها: «الدلالات المبيّنة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر»^(٤)، ويُعرّف الشرع والشرعية على أنه: «ما شرع الله لعباده من الدين»^(٥)، ويُعرّف الطّعام بأنه: «تناول الغذاء»^(٦)، والطّعم: الذّوق، جاز فيما يؤكل ويشرب»^(٧)، إذن بهذا يكون معنى: (هدايات تشريعية لأحكام الأطعمة في ظلال سورة المائدة) بأنها: «الدلالات المبيّنة لإرشادات سورة المائدة بشأن المآكل والمشارب التي أذن الشارع في تناولها، أو نهى عن تناولها نهياً جازماً».

✻ مجالات النشر:

تصبّ هذه الدراسة في مجال الاستنباط من القرآن الكريم، وقد تناولت

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم (١٠١٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٨٠).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد عبد الرؤوف (١/ ٣٤٣).

(٤) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، لطفة حمد وياسين قاري وفخر الدين علي (١/ ٤٤).

(٥) مختار الصحاح، لعبد القادر الحنفي (١/ ١٦٣).

(٦) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (١/ ٥١٩).

(٧) الغريبين في القرآن والحديث، للهروي (٤/ ١١٧٠).



تحديد واستنباط أهمّ الهدايات التشريعيّة المتعلقة بتفاصيل أحكام الطّعام والشراب في ضوء سورة المائدة؛ لذا فإنّ الدّراسة تفرّغت لاستعراض آراء علماء التّفسير لأحكام الأطعمة الواردة في سورة المائدة، ثمّ تدبّرها وتحليلها لأجل الوصول إلى أهمّ هداياتها التشريعيّة التي من الممكن أن تكون بمثابة الدّليل الإرشاديّ للمسلم في كيفيّة التعامل مع الطّعام والشراب في الحلّ والترّحال.

✿ حدود الدّراسة :

تدور الحدود الموضوعية لهذه الدّراسة حول الآيات التي تحدّثت عن تفاصيل أحكام الأطعمة في ضوء سورة المائدة، والتي استغرق الحديث عنها في اثنتي عشرة آية مدنيّة، وهي: (١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٨٧)، (٨٨)، (٩٠)، (٩١)، (٩٣)، (٩٥)، (٩٦) مع الرّجوع في فهم هذه الآيات والأحكام المتعلقة بها إلى كُتب تفسير القرآن الكريم، والأخذ بعين الاعتبار بما أتناه به ﷺ في سنّته؛ لأنّه بمنزلة القرآن في الشّريع.

✿ أهداف الدّراسة :

- ١- تعريف موجز بسورة المائدة.
- ٢- استنباط هدايات تشريعيّة كليّة وجزئيّة لأحكام الأطعمة في سورة المائدة.
- ٣- بيان وتحليل الهدايات التشريعيّة الكليّة والجزئيّة التي تُستفاد من هذه الآيات.
- ٤- التعرّف على ما يحلّ للإنسان المسلم أكله، وما يحرمّ عليه أكله في حال الاختيار، والتعرّف على ما يحلّ للإنسان المسلم أكله في حال الاضطرار.



❁ منهج الدراسة :

استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي؛ حيث يقوم الباحث باستقراء الآيات التي تحدّثت عن موضوع أحكام الأطعمة والأشربة في سورة المائدة، ثمّ باستقراء آراء العلماء المفسّرين حول تلك الآيات، وما يتعلّق بها من سنّة رسول الله ﷺ، ثمّ تحلّل وتُصنّف حسب الخطّة البحثيّة للموضوع، واستفادت الدراسة من المنهج الاستنباطي في تحديد واستنباط أهمّ الهدايات التشريعيّة المتعلّقة باستهلاك الأطعمة والأشربة بناءً على ما تمّ استقراؤه.

❁ الدراسات السابقة :

١- أجرى الشّيخ سعيد بن عليّ بن وهف القحطاني رَحِمَهُ اللهُ دراسةً حول أحكام سورة المائدة، هدفت إلى بيان الأحكام الشرعيّة التي اشتملت عليها الخمس الآيات الأوّل من سورة المائدة، وقد توصّلت الدراسة إلى أنّ الآيات الخمس تضمّنت أحكاماً منها: أحكام العقود والعهود، حكم الصّيد في الحلّ والإحرام، حكم أكل الميتة من الحيوانات، حكم أكل بهيمة الأنعام بعد ذكاتها، حكم الصّيد بالجوارح من الطّيور والكلاب المعلّمة، حكم طعام أهل الكتاب، حكم نكاح الكتابيّات المحصّنات من أهل الكتاب، وحكم من كفر بعد الإيمان، وأنّ عمّله يُحبّط بكفره^(١). وتشترك هذه الدراسة مع دراستي في ذكر الأحكام العامّة للأطعمة والأشربة المعلومة في القرآن والسُنّة، إلّا أنّها لم تقم باستخراج هدايات عامّة وخاصّة يستنير بها المسلمون في تعاملهم اليومي مع الطعام والشراب، وبالتالي فهي عبارة عن دراسة فقهية مقارنة أجاد فيها الباحث وأجاز وأفاد، أمّا هذه الدراسة فهي عبارة عن دراسة استقرائيّة تحليليّة استنباطيّة؛ حيث قام الباحث باستخراج الهدايات التشريعيّة للأطعمة المحلّلة

(١) من أحكام سورة المائدة، لسعيد بن عليّ بن وهف القحطاني (ص ١٤) فما بعدها.



والمحرمة التي اشتملت عليها اثنتا عشرة آية من سورة المائدة؛ لتكون على شكل معالم كبرى يهتدي بها المسلم في كل مكان وزمان فيما يستجد فيه من أطعمة وأشربة.

٢- وتناولت الباحثة هدى بشير مبارك محمد دراسة بعنوان: «**العقود والأحكام الواردة في سورة المائدة: دراسة تحليلية وموضوعية**»، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، هدفت الدراسة إلى بيان أهم العقود والأحكام الواردة في سورة المائدة التي حوت كثيرًا من فروع التشريع مع ذكر بعض علل التحريم، موظفة المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد كشفت الدراسة عما في السورة من الأحكام الشرعية التي ينبغي لكل مسلم التمسك بها، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة التعرف على بعض الأحكام والعقود في سورة المائدة، وأن العقد الذي يجب الوفاء به هو ما وافق الكتاب والسنة، ومن النتائج أيضًا التعرف على بعض الحكم من التحريم؛ كتحریم لحم الخنزير والدم وغير ذلك^(١). وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في كونها دراسة موضوعية لجميع سورة المائدة، وهي أقرب إلى مجال الدراسات الفقهية في المذاهب الأربعة؛ لأجل قيام الباحثة بذكر الحكم ثم دليل الأئمة عليه ثم الترجيح، وأما هذه الدراسة فقد قامت باستنباط أهم الهدايات التشريعية للأطعمة المحللة والمحرمة لآيات مختارة من سورة المائدة مقتصرة في ذلك - ما أمكن - على أقوال المفسرين القدامى وبعض المعاصرين دون ذكر تفاصيل أقوال الفقهاء في مسائل الحلال والحرام، وإنما الاقتصار على فهم معاني الآيات؛ ليسهل استنباط هداياتها التشريعية.

(١) العقود والأحكام الواردة في سورة المائدة: دراسة تحليلية وموضوعية، لهدى بشير مبارك محمد (ص ١٣-١٧ وص ٤٢٣-٤٢٤).



٣- وأما الباحث محمد أحمد فقد تناول دراسةً بعنوان: «**هدايات سورة**

المائدة في حفظ النفس والمال: دراسة تطبيقية على مدينة «بوتسكم» النيجيرية»،

وهي رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، هدفت الدراسة إلى إبراز الهدايات القرآنية في الحفاظ على النفس والمال من خلال سورة المائدة، وبيان وسائل الحفاظ عليها، كما هدفت إلى إبراز مدى أثر هذه الهدايات على سُكّان مدينة «بوتسكم» بنيجيريا، مستعيناً بالمنهج الاستقرائي والاستنباطي والوصفي التحليلي، وقد توصل الباحث إلى هدايات سورة المائدة في الحفاظ على النفس والمال ووسائل الحفاظ عليها، كما توصل إلى المشاكل المتعلقة بحفظ النفس والمال في مدينة «بوتسكم» مع اقتراح الحلول بناءً على هدايات السورة^(١). وتشترك هذه الدراسة مع دراستي في ذكر الحُكم العام على بعض أحكام الأطعمة الواردة في السورة الكريمة، ولكنها تختلف مع دراستي في استخراج الهدايات التشريعية الكلية والجزئية لآيات الأطعمة والأشربة في سورة المائدة تأصيلاً وتحليلاً ودراسةً.

٤- وقد أجرى الدكتور عدنان العساف، والدكتورة جميلة الرفاعي

بحثاً مشتركاً بعنوان: «**المستجدات الفقهية المعاصرة في الأطعمة والأشربة:**

دراسة تطبيقية مقارنة في ضوء سورة المائدة»، بمنهج فقهي مقارن في

المذاهب الأربعة، وقد تضمّن تخريج علل هذه الأحكام لتكون أساساً للبحث والاجتهاد فيما يستجدّ من الأطعمة مستقبلاً، كما ألقى الضوء أيضاً على تطبيقات معاصرة لأحكام الأطعمة الواردة في خمس الآيات الأولى من سورة المائدة؛ كالمستجدات الفقهية المتعلقة بطريقة قتل الحيوانات مأكولة

(١) هدايات سورة المائدة في حفظ النفس والمال: دراسة تطبيقية على مدينة بوتسكم النيجيرية، لأحمد محمد (ص ١).



اللحم، وحكم اللحوم المستوردة من البلاد الأجنبية، والمستجدات المتعلقة بالأطعمة المعلّبة وأطعمة (الكوشر)، والمستجدات المتعلقة بالأطعمة التي تقدّمها المطاعم المعاصرة، كما ألقى الضّوء على تطبيقات معاصرة للصّيد^(١)، وتختلف هذه الدّراسة مع دراستي في كونها دراسةً تطبيقيةً في الفقه المقارن ركّزت على الأحكام الشرعية للأطعمة في ضوء المذاهب الأربعة، مع ذكر مستجداتها الفقهية، بينما ركّزت هذه الدّراسة على الإطار النظري التفسيري لاستخراج أهمّ الهدايات التشريعية للأطعمة والأشربة بقسميها الكلية والجزئية.

هذا ونخلص: أنّ موضوع الدّراسة الحالية جدير بالتناول؛ لأنّه يركّز على استنباط أهمّ الهدايات التشريعية الكلية والجزئية المتعلقة بالأطعمة المحلّلة والمحرمّة الواردة في سورة المائدة؛ لتكون بمثابة معالم كبرى ترسم الطّريق أمام المسلمين شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً في كيفية التعامل مع طعامهم وشرابهم بين الإقدام عليه والإحجام عنه، ومن الملاحظ أنّه رغم الجهود البحثية المبذولة في هذا الموضوع من النّاحية الفقهية في كتب الفقه والأحكام، إلّا أنّه ما زالت الحاجة ماسّة للقيام ببحث علمي من النّاحية التفسيرية الموضوعية في كتب تفسير القرآن الكريم.

❁ خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، هذا هو بيانها:

المقدمة: موضوع البحث، ومجاله، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، والدّراسات السّابقة، وخطة البحث.

(١) المستجدات الفقهية المعاصرة في الأطعمة والأشربة: دراسة تطبيقية مقارنة في ضوء سورة المائدة، لعبدنان العساف وجميلة الرفاعي (ص ١).



التمهيد: تعريف موجز بسورة المائدة.

المبحث الأول: هدايات تشريعية كلية.

المطلب الأول: إكمال أمر هذا الدين.

المطلب الثاني: التحليل والتحرير حق الله وحده.

المطلب الثالث: كل طيب من الأطعمة حلال.

المطلب الرابع: كل خبيث من الأطعمة حرام.

المطلب الخامس: الإسراف في الطعام الحلال اعتداء.

المطلب السادس: إباحة ما حُرِّم من المطاعم عند الضرورة.

المطلب السابع: نفي الإثم عن طعم المحرّمات قبل نزول أو بلوغ تحرّمها.

المبحث الثاني: هدايات تشريعية جزئية.

المطلب الأول: كل ما أُبيح أكله من بهيمة أو طائر لا يحلّ إلا بالتذكية

الشرعية.

المطلب الثاني: إباحة الأكل من ذبائح أهل الكتاب إذا كان ممّا تحلّ ذكاته

وبطريقة شرعية.

المطلب الثالث: إباحة جميع المأكولات المائية حيّها وميتّها للمُحرم

والحلال، ولا يضرّ من صاهاها.

المطلب الرابع: كل ما حُرِّم أكله من بهيمة أو طائر لا يحلّ ولو بالذكاة

الشرعية.

المطلب الخامس: تحريم التغذي بشيء من الدّم المسفوح، ومن الخمر

وتوابعهما؛ لأنّهما رجس.



المطلب السادس: مقتول المُحرِّم من الصَّيْد ميتة وإن ذبحه، ولا يحلُّ أكله لأحد.

المطلب السابع: إباحة صيد مأكول اللَّحْم للمُحرِّم بعد فراغه من حال الإحرام إلَّا صيد الحَرَم.

الخاتمة.





التمهيد

تعريف موجز بسورة المائدة

لا شكَّ أَنَّ مَنْ يعيش مع القرآن الكريم تدبُّراً وتأمُّلاً يلحظ أنَّ لكلَّ سورة من سُورِهِ شخصيَّتها الخاصَّة وأهدافها المستقلَّة، فمن المعلوم أنَّ السُّور المكيَّة قد عرضت جانبَ العقيدة، والسُّور المدنيَّة قد عرضت جانبَ التَّشريع، وقد تناولت سورة المائدة جانبَ التَّشريع بإسهاب إلى جانب العقائد وقصص أهل الكتاب، ويبدو أنَّ سبب تسمية سورة المائدة بهذا الاسم؛ لكونها أحد معجزات سيِّدنا عيسى عليه السلام لأتباعه عندما طلبوا منه أن ينزل الله عليهم مائدة من السَّماء لأربع فوائد:

(إحداها): ليسدُّوا حاجتهم من الطَّعام، و (الثانية): لتعتمر قلوبُهم بالإيمان، و (الثالثة): ليصدِّقوا عيسى عليه السلام بما أُرسل به إليهم، ثمَّ (الرابعة): ليكونوا من الشَّاهدين على هذه الآية، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُوتُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَنْفِقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئَنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَكَوْنُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ [المائدة: ١١٢، ١١٣].

والمائدة في اللغة هي: «الْخَوَانُ الَّذِي عَلَيْهِ الطَّعام، فإذا لم يكن عليه طَّعام فهو خِوان لا مائدة»^(١)، وقد يُطلق لفظ المائدة على: «الطَّعام نفسه وإن لم يكن هناك خِوان، قال أبو إسحاق: الْأَصْلُ عِنْدِي فِي «مائدة» أَنَّهَا فَاعِلَةٌ مِنْ مَادَّ يَمِيد: إِذَا تَحَرَّكَ فَكَأَنَّهَا تَمِيدُ بِمَا عَلَيْهَا؛ أَي: تَتَحَرَّكُ، وَقَالَ أَبُو عبيدة: سُمِّيَتْ الْمَائِدَةُ؛ لِأَنَّهَا مِيدَ بِهَا صَاحِبُهَا؛ أَي: أُعْطِيَهَا وَتُفْضَلُ عَلَيْهِ بِهَا، وَالْعَرَبُ تَقُولُ:

(١) مختار الصحاح، لعبد القادر الحنفي (١/ ٣٠١).



مادني فلان يميديني إذا أحسن إليَّ»^(١).

وهي سورة مدنيّة بإجماع العلماء كما نقل القرطبي^(٢)، وقد سُمّيت بسورة المائدة في كتب السنّة، وهذا أشهر أسمائها، فعن جُبَيْر بن نفيّر قال: حَجَبْتُ فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فقالت لي: يا جُبَيْر تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: «أما إنّها آخر سورة نزلت فما وجدْتُم فيها من حلال، فاستحلُّوه، وما وجدْتُم من حرام فحرِّموه»^(٣)، ووردت تسميتها في كتب التفسير وعلوم القرآن بسورة «العُقود» كما ذكر السيوطي^(٤)، وابن عاشور^(٥)، وسورة «المنقذة» كما ذكر ابن عطية^(٦)، والسيوطي^(٧)، وابن عاشور^(٨)، وتُسمّى أيضًا سورة الأحبار كما ذكر الفيروزآبادي^(٩)، والبقاعي^(١٠)، وتُسمّى سورة الأخيار كما ذكر ابن عاشور^(١١).

ومن فضائل هذه السُورة: أنّها من طوال سُور القرآن الكريم التي لم ينزل

(١) لسان العرب، لابن منظور (٣/ ٤١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٣٠).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة بسم الله الرحمن الرحيم، برقم (٣٢١٠)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وأخرجه أحمد في مسنده: مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنه، برقم (٢٥٥٤٧)، وقال عنه محققو المسند: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح».

(٤) الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي، (١/ ١٩٢).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦/ ٦٩).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (٢/ ١٤٣).

(٧) الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي، (١/ ١٩٢).

(٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦/ ٦٩).

(٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (١/ ١٧٩).

(١٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٦/ ٢).

(١١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦/ ٦٩).



مثلها في التّوراة ولا في الإنجيل ولا في الزّبور؛ لما رواه الطبراني عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيَتِ السَّبْعُ الطُّولُ مَكَانَ التَّوْرَةِ، وَأُعْطِيَتِ الْمَثَانِي مَكَانَ الْإِنْجِيلِ، وَأُعْطِيَتِ الْمِئِينَ مَكَانَ الزَّبُورِ وَفُضِّلَتْ بِالْمَقْصَلِ»^(١)، وقد جاء عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: «إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذ أنزلت عليه المائدة كلّها، فكادت من ثقلها تدق بعضد النّاقة»^(٢).

وقد تضمّنت هذه السّورة موضوعاتٍ شرعيّةٍ مهمّةٍ تنبئ بأنّها أنزلت لاستكمال شرائع الدّين واستتمام نعمة الإسلام، يقول ابن عاشور: «وقد احتوت على تمييز الحلال من الحرام في المأكولات، وعلى حفظ شعائر الله في الحجّ والشّهر الحرام، والتّهي عن بعض المحرّمات من عوائد الجاهلية مثل الأزلام، وفيها شرائع الوضوء، والغسل، والتيمّم، والأمر بالعدل في الحكم، والأمر بالصدق في الشّهادة، وأحكام القصاص في الأنفس والأعضاء، وأحكام الحراية، وتسليّة الرّسول ﷺ عن نفاق المنافقين، وتحريم الخمر والميسر، والأيمان وكفارتها، والحكم بين أهل الكتاب، وأصول المعاملة بين المسلمين، وبين أهل الكتاب، وبين المشركين والمنافقين، والخشية من ولايتهم أن تفضي إلى ارتداد المسلم عن دينه، وإبطال العقائد الضّالة لأهل الكتابين، وذكر مساو من أعمال اليهود، وإنصاف النصارى فيما لهم من حسن الأدب وأنهم أرجى للإسلام، وذكر قضية التّيه، وأحوال المنافقين، والأمر بتخلّق المسلمين بما يناقض أخلاق الضّالّين في تحريم ما أحلّ لهم،

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: باب الواو، أبو المليح بن أسامة الهذلي، عن واثلة، برقم (١٨٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١٤٨٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: مسند النّساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، برقم (٢٧٥٧٥)، وقال عنه محققو المسند: «حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب»، وكذلك أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣/٧).



والتَّوْبِيهِ بِالْكَعْبَةِ وَفَضَائِلِهَا وَبِرَّكَاتِهَا عَلَى النَّاسِ، وَمَا تَخَلَّلَ ذَلِكَ أَوْ تَقَدَّمَ مِنْ
الْعَبْرِ، وَالتَّذْكِيرِ لِلْمُسْلِمِينَ بِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّعْرِيزِ بِمَا وَقَعَ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ
مَنْ نَبَذَ مَا أَمَرُوا بِهِ وَالتَّهَانُونَ فِيهِ، وَاسْتِدْعَاؤُهُمْ لِلْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ الْمَوْعُودِ بِهِ،
وختمت بالتذكير بيوم القيامة، وشهادة الرّسل على أممهم، وشهادة عيسى
على النّصارى، وتمجيد الله تعالى»^(١).



(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦/ ٧٣-٧٤).



المبحث الأول

هدايات تشريعية كلية

يتضمن هذا المبحث ذكر أهم الهدايات التشريعية الكلية بشأن المآكل والمشارب الوارد ذكرها في بعض آيات سورة المائدة، وقد أوصلها الباحث إلى سبع هدايات تشريعية، هي:

- ١- إكمال أمر هذا الدين.
- ٢- التحليل والتحریم حق الله وحده.
- ٣- كل طيب من الأطعمة حلال.
- ٤- كل خبيث من الأطعمة حرام.
- ٥- الإسراف في الطعام الحلال اعتداء.
- ٦- إباحة ما حُرِّم من المطاعم عند الضرورة.
- ٧- نفي الإثم عن طعم المحرّمات قبل نزول أو بلوغ تحريمها.

المطلب الأول: إكمال أمر هذا الدين.

من المعلوم لدى المفسرين أنّ سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن الكريم، وليس فيها منسوخ، وهي أجمع سورة في القرآن الكريم اشتملت على أحكام شرعية منوعة؛ لذا فقد أخبر الله تعالى عباده المؤمنين في هذه السورة بعد أن أنبأهم عمّا يحلّ وما لا يحلّ لهم من المآكل والمشارب أنّه أكمل لهم شرائع هذا الدين من عبادات وفرائض وسنن وأحكام وحدود وجهاد، فلا يحتاجون إلى شرائع غيرها، فلا حلال إلّا ما أحله، ولا حرام إلّا ما حرّمه،



ولا دينَ إلَّا ما شرعه، فقال تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال ابن عاشور: «إكمال الدين هو إكمال البيان المراد لله تعالى الذي اقتضت الحكمة تنجيته، فكان بعد نزول أحكام الاعتقاد، التي لا يسع المسلمين جهلها، وبعد تفاصيل أحكام قواعد الإسلام - التي آخرها الحج - بالقول والفعل، وبعد بيان شرائع المعاملات وأصول النظام الإسلامي، بحيث صار مجموع التشريع الحاصل بالقرآن والسنة، كافيًا في هدي الأمة في عبادتها، ومعاملتها، وسياستها، في سائر عصورها، بحسب ما تدعو إليه حاجاتها، فقد كان الدين وافيًا في كل وقت بما يحتاجه المسلمون»^(١)، وكان نزول هذه الآية في يوم عرفة، عام حج النبي ﷺ حجة الوداع في يوم الجمعة سنة عشر من الهجرة، لما رواه مسلم في صحيحه عن طارق بن شهاب رضي الله عنه، قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا نزلت، معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وأي آية؟ قال: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فقال عمر: إنني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، «نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم الجمعة»^(٢)، ويرى ابن جرير الطبري أنه لم ينزل على النبي ﷺ بعد هذه الآية شيء من الفرائض، ولا تحليل شيء ولا تحريمه، وأن النبي ﷺ لم يعش بعد نزول هذه الآية إلَّا إحدى وثمانين ليلة، ثم ساق أدلته على ذلك^(٣)، فما من خير إلَّا والنبي ﷺ

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦ / ١٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التفسير، دون تبويب، برقم (٣٠١٧).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٥١٨).



قَدْ بَيَّنَّ وَحْتًا أُمَّتَهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ، وَمَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا وَالنَّبِيِّ ﷺ قَدْ بَيَّنَّ وَحَذَّرَ أُمَّتَهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيَنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»^(١)، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَقْلِبُ طَائِرُ جَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا»^(٢).

✽ الْمَطْلَبُ الثَّانِي: التَّحْلِيلُ وَالتَّحْرِيمُ حَقُّ اللَّهِ وَحْدَهُ.

لَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَنَاحِكِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَسْتَلَذَّاتِ الَّتِي أَحَلَّهَا اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، وَأُورِدَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْسَ مَعَنَا نِسَاءٌ، فَقُلْنَا: أَلَا نَخْتَصِي؟ فَهَنَانَا عَنْ ذَلِكَ، فَرَخَّصَ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]^(٣)، كَمَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ لِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِسَبَبِ الَّذِينَ أَرَادُوا التَّبَتُّلَ مِنَ الصَّحَابَةِ^(٤) فَقَالَ: «وَهَذَا بَيَانٌ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ: بَابُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِنِعْمَةِ الْخُلَفَاءِ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، بِرَقْمٍ (١٨٤٤).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ (١١ / ٣٤٨)، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ: مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ، حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِرَقْمٍ (٢١٣٦١)، وَقَالَ عَنْهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٨ / ٢٦٤)، بِرَقْمٍ (١٣٩٧٣)، وَقَالَ: رَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ: قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، بِرَقْمٍ (٤٦١٥).

(٤) قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: «وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في أمر عثمان بن مظعون والرَّهْطِ الَّذِينَ هُمُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُمُوا بِهِ مِنْ تَحْرِيمِ بَعْضِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيَكُونُ مُرَادًا بِحُكْمِهَا كُلِّ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ مَعْنَاهُمْ مِمَّنْ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ، أَوْ أَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَوْ تَجَاوَزَ حَدًّا حَدَّهُ اللَّهُ لَهُ». انظر: جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، لِلطَّبْرِيِّ (١٠ / ٥٢٢).



الله تعالى ذكره للذين حرّموا على أنفسهم النّساء والنّوم واللّحم من أصحاب النّبي ﷺ، تشبّها منهم بالقسيسين والرّهبان؛ فأنزل الله فيهم على نبيّه ﷺ كتابه ينهاهم بذلك عن تحريم ما أحلّ الله لهم من الطّيّبات»^(١)، وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه، أن نفراً من أصحاب النّبي ﷺ سألوا أزواج النّبي ﷺ عن عمله في السرّ؟ فقال بعضهم: لا أتزوّج النّساء، وقال بعضهم: لا أكل اللّحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنّي أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوّج النّساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»^(٢). وقد علّق ابن عاشور على النّهي الوارد في هذا الحديث فقال: «والنّهي إنّما هو عن تحريم ذلك على النّفس، أما ترك تناول بعض ذلك في بعض الأوقات من غير التزام، ولقصد التّربية للنّفس على التّصبر على الحرمان عند عدم الوجدان، فلا بأس به بمقدار الحاجة إليه في رياضة النّفس»^(٣)، لذا يقول رشيد رضا: «إنّ امتناع امرئ من الطّيّبات التي رزقه إيّاها مع الدّاعية الفطرية للاستمتاع بها إنّما يجنيه على نفسه في الدّنيا، ويستحقّ به عقاب الله في الآخرة بزيادته في دين الله قربات لم يأذن بها الله، وبما يترتّب على ذلك من إضاعة بعض حقوق الله وحقوق عباد الله كإضاعة حقوق امرأته أو عياله، وناهيك به إذا انتصب قدوة لغيره، فكان سبباً لغلوّ بعض النّاس في الدّين وتحريمهم على أنفسهم وعلى من يقتدي بهم ما أحلّه الله تعالى»^(٤).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٠ / ٥٦٣ - ٥٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب النّكاح، باب: استحباب النّكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنّه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، برقم (١٤٠١).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧ / ١٥).

(٤) تفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا (٧ / ٢٥).



ومن هنا فقد أنكر الله تعالى على الكفار لما كانوا يحرمون على أنفسهم الانتفاع ببعض أصناف الإبل مع حاجتهم إلى الانتفاع بها، ويبيّن تعالى أنّ ذلك باطل فقال: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٣]، ثم حذر الله عباده من تحليل ما حرّمه عليهم وأخبرهم بأنّ من فعل ذلك كان من المعتدين على حدود الله، وأنّ الله لا يحبّ المعتدين فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧]، ومعناه: «ولا تعتدوا في حدودي، فتحلّوا ما حرّمت عليكم، فإنّ ذلك لكم غير جائز، كما غير جائز لكم تحريم ما حلّلت، وإنّي لا أحبّ المعتدين»^(١).

هذا وإنّ التشريع حقّ الله وحده، فمن أحلّ ما حرّمه الله، أو حرّم ما أحلّه الله فقد ادّعى شيئاً من خصائص الربوبية، وهو حقّ الله تعالى وحده في التشريع، قال رشيد رضا: «والتّحريم والتحليل تشريع: وهو حقّ من حقوق الربوبية، فمن انتحلّه لنفسه كان مدّعياً للربوبية أو كالمدّعي لها، ومن اتّبع في ذلك فقد اتخذ ربّاً»^(٢).

وقد روى الحاكم في المستدرک عن أبي الدرداء رضي الله عنه، رفع الحديث قال: «ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله العافية، فإنّ الله لم يكن نسياً»، ثم تلا هذه الآية ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]^(٣).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٠ / ٥٦٤).

(٢) تفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا (٧ / ٢٥).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدرکه: كتاب التفسير، باب: تفسير سورة مريم، برقم (٣٤١٩)، والدارقطني: كتاب الزكاة، باب: الحث على إخراج الصدقة وبيان قسمتها، برقم (٢٠٦٦)، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٢٥٦).



✽ المطلب الثالث: كل طيب من الأطعمة حلال.

لقد أخبر الله تعالى أنه أباح لعباده الانتفاع بكل ما تحويه الأرض من الأطعمة وغيرها في حال كونها حلالاً مستطاباً في نفسها غير ضارة للأبدان ولا للعقول فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَيِّبُ كُلُّهُ﴾ إلى قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَيِّبُ كُلُّهُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كُلُّ لَحْمٍ وَطَعَامٍ كَمَلٍ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٤، ٥]، وقوله أيضاً: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨]، هذا وقد اختلفت عبارات المفسرين المتقدمين والمتأخرين في ضبط وصف الطيب الوارد في الآيات، فعن الطبري: «الطيب: ما كان طاهراً غير نجس ولا محرّم»^(١)، وعن الماتريدي: الطيب «ما تطيب النفس من التناول؛ لأن النفس لا تتلذذ بالتناول من كل حلال، ولكن إنما تطيب بما هو لها ألد وأوفق»^(٢)، كذا حمل فخر الدين الرازي وصف «الطيب» على المستلذذ المشتهى ليصير التقدير: «أُحِلَّ لَكُمْ كُلُّ مَا يُسْتَلَذُّ وَيُسْتَهَى»^(٣)، ثم أردف قائلاً: «العبرة في الاستلذاذ والاستطابة بأهل المروءة والأخلاق الجميلة، فإن أهل البادية يستطيعون أكل جميع الحيوانات»^(٤).

وقد رجح محمد عبده أن الطيب ما لا يتعلّق به حقّ الغير^(٥)، في حين يرى ابن عاشور أن المراد بالطيب: «ما تستطيه النفوس بالإدراك المستقيم السليم من الشذوذ، وهي النفوس التي تشتهي الملائم الكامل أو الراجح،

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٣/ ٣٠١).

(٢) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (١/ ٦١٨).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (١١/ ٢٩٠).

(٤) المرجع السابق.

(٥) تفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا (٢/ ٧١).



بحيث لا يعود تناوله بضرٍ جثمانيٍّ أو روحانيٍّ^(١)، والذي يظهر لي بعد إيراد أقوال أهل التحقيق والنظر أن الحلال الطيب هو: «كلُّ ما يستلذُّ ويشتهي ما لم يكن ذلك ضارًّا، ولا مُستقذراً، ولا محرِّماً، ولا نجسًا، ولا مكتسبًا من حرام، ولا متعلقًا بحق الغير، ولا مُسرفًا فيه».

✽ المطلب الرابع: كلُّ خبيث من الأطعمة حرامٌ.

أمَّا فيما يتعلّق بالأطعمة الخبيثة، فقد أجمل القرآن كلامه عن معظمها بقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّعْجُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقُوا بِالْأَنْزَلِمْ ذَلِكَمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة: ٣]^(٢)، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فعن الرّازي أنّ الخبيث من الأطعمة: «كلُّ ما يستخبثه الطّبع وتستقذره النّفس كان تناوله سببًا للألم، والأصل في المضارّ الحرّمة، فكان مقتضاه أن كلّ ما يستخبثه الطّبع، فالأصل فيه الحرّمة إلّا لدليل منفصل»^(٣)، وعن رشيد رضا أنّ: «الخبيث من الأطعمة ما تمجّه الطّباع السّليمة وتستقذره ذوقًا؛ كالميتة والدّم المسفوح، أو تصدّ عنه العقول الرّاجحة لضرره في البدن؛ كالخنزير الذي تتولّد من أكله الدّودة الوحيدة، أو لضرره في الدّين؛ كالذي يذبح للتقرّب به إلى غير الله تعالى على سبيل العبادة»^(٤).

ويقول ابن عاشور: «الخبيث ما أضرّ، أو كان وخيم العاقبة، أو كان

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ١٠٢).

(٢) سيأتي تفسير هذه الآية بتمامها في الهدايات الجزئية.

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (١٥ / ٣٨١).

(٤) تفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا (٢ / ١٩٧).



مستقذراً لا يقبله العقلاء، كالتجاسة»^(١)، وبالجملة، فإنَّ الحرام الخبيث هو: «كُلُّ ما كان مستقذراً تستخبثه الطُّباع، وتعافه النفوس، ولا يقبله العقلاء، أو كان نجساً يُسبَّب ألماً لمتناوله، أو كان مكتسباً من حرام، أو كان متعلقاً بحقِّ الغير، أو كان ضاراً في الدين»، ومن المستخبثات: «حشرات الأرض: كالفأرة، والحَيَّات، والأفاعي، والعقارب، والخنفساء، والعظاية، والضفادع، والجرذان، والوزغ، والصراصير، والعناكب، وسام أبرص، والجعلان، وبنات وردان، والديدان، وحمار قبان، ونحو ذلك، فجمهور العلماء على تحريم أكل هذه الأشياء؛ لأنَّها مستخبثة طبعاً»^(٢).

ويتفرَّع عن هذه الهداية أمران:

١- **كُلُّ ضارٍّ حرام:** جميع ما أبيح أكله من البهائم وما يُستخرج من ضلوعها من اللبْن والسَّمْن والجبن وغير ذلك، وكلُّ ما أبيح أكله من الطُّيور، وما يخرج من بطونها من بيض وغيره، إضافة إلى جميع المأكولات المائية، فإنَّه يحرم أكله متى ثبَّت ضرره على بدن الإنسان بالطَّبِّ أو التجربة بدليل عموم الآيات التي حرَّمت على الإنسان تناول الرِّجس والخبيث من الأطعمة كما سبق، وبدليل السُّنَّة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ضررَ ولا ضرارَ**»^(٣)، والحديث بيانٌ على أنَّ كلَّ ضارٍّ من الأطعمة حرامٌ وإن كانت حلالاً مستطاباً، وهذا كَمَنْ يأكل السمك الذي يعيش في المياه الملوثة، فالأصل في أكل السمك الإباحة كما نصَّت سورة المائدة، لكن يحرم

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩/ ١٣٥).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (١/ ٥٣٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الأحكام، باب: من بنى في حقِّه ما يضرُّ بجاره، برقم (٢٣٤١)، وصحَّحه الألباني، وقال صحيح لغيره، وأخرجه الدارقطني في سننه: كتاب البيوع، برقم (٣٠٧٩).



الانتفاع به إذا ثبت ضرره بسبب ما تحمله الأسماك التي تعيش في المياه القذرة من الأمراض التي تفتك بصحة الإنسان، أو كمن يأكل جراداً وجد ميتاً بشيء من المبيدات السامة، فالأصل في ميتة الجراد الحل كما ورد في السنة، ولكن في هذا الحال يحرم؛ لما فيه من السم القاتل، أو كمن رمى حيواناً متوحشاً مأكولاً بقوسه ثم أدركه بعد أيام قد نتن، فالأصل في الحيوان المصاد بطريقة شرعية الحل كما نص الشرع، لكن لا يجوز أكله بعد نتنته وتغيره لاحتمال كبير على ضرره بصحة الإنسان، ويؤيد هذا ما روي عن أبي ثعلبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا رميت بسهمك، فغاب عنك، فأدر كته فكله، ما لم يتن»^(١).

٢- إذا اختلط حرام بحلال غلب الحرام: ونمثل لهذا بطبخ اللحم المباح أكله بقليل من شحم الخنزير، أو وضع اللحم المباح الأكل في القدر، ثم صب قليل من الدم المسفوح عليه، أو صب قليل من الخمر على العجين، وغيرها من الوجوه التي إذا اختلط فيها الطعام الحرام بالطعام الحلال فإنه يحكم عليه بالحرمة سواء كان الحرام المخلوط قليلاً أو كثيراً؛ «لأن التحليل والتحرير إذا اجتمعا في عين واحدة غلب حكم التحريم»^(٢)، وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم لهذا بالفأرة تقع على السمن المستخلص من الحيوان مأكول اللحم، فعن ميمونة رضي الله عنها أن فأرة وقعت في سمن فماتت، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال: «ألقوها وما حولها وكلوه»^(٣). ويفهم من هذا الحديث أنه إذا وقعت نجاسة أو شيء مستخبث على الطعام فإنه ينظر إلى جنسهما، فإن كانا من جنس المائعات أحدهما أو

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: إذا غاب عنه الصيد ثم وجده، برقم (١٩٣١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/ ١٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الذبائح والصيد، باب: إذا وقعت الفأرة في السمن الجامد أو الذائب، برقم (٥٥٣٨).



كلاهما ترك الانتفاع بالطعام كلياً، وإن كانا من جنس الجمادات ألقى موضع النجاسة وما حولها واحتفظ بما بقي من الطعام.

ونخلص من جميع هذه الأمثلة وغيرها أن تحريم هذه المباحات لا لذاتها، وإنما لما تحمله من مواد مضرّة أو قاتلة أو سامة أو محرّمة، ومتى تطهرت من تلك المواد عاد الحكم إلى أصله، وهو الحل.

✽ المطلب الخامس: الإسراف في الطعام الحلال اعتداءً.

أمّا النهي عن الإسراف في تناول الطعام الحلال فقد جاء تلميحاً في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، والشاهد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، ومعناه: «لا تعتدوا في تناول الحلال، بل أخذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم، ولا تجاوزوا الحدّ فيه»^(١)، ويقول الرّازي: «لَمَّا أَبَاحَ [الله تعالى] الطَّيِّبَاتِ حَرَّمَ الإسراف فيها بالاعتداء ونظيره قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣٠]»^(٢)، ويقول الألوسي: «ويحتمل أن يكون نهياً عن الإسراف في الحلال»^(٣)، وقد ورد في السُّنَّة ذمُّ كثرة الأكل؛ لأنّه يُثْقِلُ البدنَ فيحوجه إلى النّوم، ويُثْقِلُ الرُّوحَ فيمنعها من العبادة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَإِنَّ الْكَافِرَ أَوْ الْمُنَافِقَ - فَلَا أَدْرِي أَيُّهُمَا قَالَ عبيد الله - يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ»^(٤).

قال الحليمي: «وكلّ طعام حلالٌ فلا ينبغي لأحد أن يأكل منه ما يُثْقِلُ

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣ / ١٧٢).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٢ / ٤١٨).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (٤ / ١٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأطعمة، باب: المؤمن يأكل في معي واحد، برقم (٥٣٩٤).



بدنه فيُحَوِّجُه إِلَى النَّوْمِ، وَيَمْنَعُه مِنَ الْعِبَادَةِ، وَلِيَأْكُلَ بِقَدْرٍ مَا يَسْكُنُ جَوْعَه، وَلِيَكُنْ غَرَضُه مِنَ الْأَكْلِ، أَنْ يَشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ، وَيُقَوِّى عَلَيْهَا»^(١).

وَالْأَفْضَلُ فِي ذَلِكَ: أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ ثَلَاثًا لَطْعَامَه، وَثَلَاثًا لَشْرَابِه، وَثَلَاثًا لِنَفْسِه؛ لِمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ مَقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتِ يُقْمَنُ صَلْبُه، فَإِنْ كَانَ لَا مُحَالَةَ فَثَلَاثُ لَطْعَامَه، وَثَلَاثُ لَشْرَابِه، وَثَلَاثُ لِنَفْسِه»^(٢).

✽ الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: إِبَاحَةُ مَا حُرِّمَ مِنَ الْمَطَاعِمِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ.

لَقَدْ أَبَاحَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ التَّغْذِيَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ -الَّتِي سَيَأْتِي ذِكْرُهَا- عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْقُصُوى فَقَالَ: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، وَمِثْلُهُ فِي الْبَقَرَةِ: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وَالْأَنْعَامِ: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأَنْعَامِ: ١٤٥]، وَالنَّحْلِ: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

وَالضَّرُورَةُ فِي اللُّغَةِ: «الْاِحْتِيَاجُ إِلَى الشَّيْءِ، وَرَجُلٌ ذُو ضَرُورَةٍ، أَيْ: ذُو حَاجَةٍ، وَقَدْ اضْطَرَّ إِلَى الشَّيْءِ، أَيْ: أُلْجِئَ إِلَيْهِ»^(٣).

وَاصْطِلَاحًا هِيَ: «خَوْفُ الضَّرَرِ أَوْ الْهَلَاكِ عَلَى النَّفْسِ أَوْ بَعْضِ الْأَعْضَاءِ بِتَرْكِ الْأَكْلِ»^(٤).

(١) شعب الإيمان، للبيهقي (٧/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الأطعمة، باب: الاقتصاد في الأكل، وكراهة الشبع، برقم (٣٣٤٩)، والتِّرْمِذِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّحِيحِ: أَبْوَابُ الزَّهْدِ، بَاب: مَا جَاءَ فِي كِرَاهِيَةِ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، برقم (٢٣٨٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٤٨٣).

(٤) أحكام القرآن، للجصاص (١/ ١٥٨).



وقد قال العلماء: «من اضطرَّ إلى أكل الميتة والدَّم ولحم الخنزير فلم يأكل دخل النَّار، إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ»^(١)، وهكذا يكون معنى الآية: «فمن اضطرَّ إلى أكل شيء ممَّا ذكر، فأكل منه في مجاعة لا يجد فيها غيره، وهو غير مائل إليه لذاته ولا جائر فيه متجاوز قدر الضَّرورة فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لَه رَحِيمٌ بِهِ»^(٢). وقد حَمَلَتِ السُّنَّةُ الْمَسْئُولِيَّةَ الْكَامِلَةَ لِمَنْ تَرَكَ الْمَمْنُوعَ عِنْدَ الضَّرورة وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ؛ ففِي الْمُسْنَدِ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَقْبَلْ رُخْصَةَ اللَّهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ جِبَالِ عَرَفَةَ»^(٣)، وَفِي لَفْظٍ لِلْقَضَاعِيِّ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»^(٤)، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: «قَدْ يَكُونُ تَنَاوُلُ الْمَيْتَةِ وَاجِبًا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَهُوَ مَا إِذَا خَافَ عَلَى مُهْجَتِهِ التَّلَفَ وَلَمْ يَجِدْ غَيْرَهَا، وَقَدْ يَكُونُ مَدْبُوبًا، وَيَكُونُ مَبَاحًا بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ»^(٥)، وَبِذَلِكَ نَلْحَظُ كَيْفَ تَتَجَلَّى رَحْمَةُ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَكْفُفُهُمْ فَوْقَ وَسْعِهِمْ.

(١) أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٨٤).

(٢) تفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا (٦/ ١٤٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، برقم (٥٣٩١)، وقال عنه محققو المسند: «إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة»، كما أخرجه الطبراني في الكبير: برقم ١٤١٢٤، (١٣/ ٣٢٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٢)، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناده أحمد حسن.

(٤) أخرجه القضاعي في مسنده: إن الله يحب أن تؤتى رخصته كما يحب أن تترك معصيته، برقم (١٠٧٨)، وأخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، برقم (٥٨٦٦)، وقال عنه محققو المسند: «حديث صحيح».

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٢٩).



❁ المطلب السابع: نفي الإثم عن طعم المحرمات قبل نزول أو بلوغ

تحريمها.

ومن مظاهر رحمة الله بعباده، ورأفته بهم أن من شرب الخمر أو طعم ما شابهها من المحرمات الآتي ذكرها، ثم مات قبل أن ينزل الأمر بتحريمها، أو قبل أن يبلغه الأمر بتحريمها فإن الله تعالى لا يؤاخذ به على ذلك؛ لأنَّ المؤاخذة على الفعل تبدأ من وقت تحريمه لا من قبل تحريمه، ومن وقت بلوغ تحريمه لا من قبل بلوغ تحريمه لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]. وروى البخاري في سبب نزول هذه الآية عن أبي النعمان رضي الله عنه، قال: «كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصَّوت، قال: فخرجت فقلت: هذا منادٍ ينادي: «ألا إنَّ الخمر قد حرِّمت»، فقال لي: اذهب فأهرقها، قال: فجرت في سَكِّ المدينة، قال: وكانت خمرهم يومئذٍ الفضيخ، فقال بعض القوم: قُتِلَ قوم وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣]»^(١)، ولهذا قد أرشد الله مسلمي هذه الأمة أن يقولوا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣]، برقم (٤٦٢٠).



وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه: قد فعلت، قد فعلت، قد فعلت^(١).



(١) الحديث بطوله عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الْأَرْضُ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي ﷺ: «قولوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأُنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] «قال: قد فعلت» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] «قال: قد فعلت» ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] «قال: قد فعلت». أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: بيان قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، برقم (١٢٦).



المبحث الثاني

هدايات تشريعية جزئية

اشتمل هذا المبحث على هدايات تشريعية جزئية متنوعة بشأن المأكَلِ والمشارب الوارد ذكرها في بعض آيات سورة المائدة، وقد أوصلها الباحث إلى سبع هدايات تشريعية، هي:

- ١- كُلُّ مَا أُبِيحَ أَكْلُهُ مِنْ بَهِيمَةٍ أَوْ طَائِرٍ لَا يَحِلُّ إِلَّا بِالتَّذَكِّيَةِ الشَّرْعِيَّةِ.
- ٢- إِبَاحَةُ الْأَكْلِ مِنْ ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا كَانَ مِمَّا تَحِلُّ ذَكَاتُهُ وَبِطَرِيقَةٍ شَرْعِيَّةٍ.
- ٣- إِبَاحَةُ جَمِيعِ الْمَأْكُولَاتِ الْمَائِيَّةِ حَيْثُهَا وَمَيْتُهَا لِلْمُحْرَمِ وَالْحَلَالِ، وَلَا يَضُرُّ مَنْ صَادَهَا.
- ٤- كُلُّ مَا حُرِّمَ أَكْلُهُ مِنْ بَهِيمَةٍ أَوْ طَائِرٍ لَا يَحِلُّ وَلَوْ بِالتَّذَاكَةِ الشَّرْعِيَّةِ.
- ٥- تَحْرِيمُ التَّغْذِيِّ بِشَيْءٍ مِنَ الدَّمِّ الْمَسْفُوحِ وَمِنَ الْخَمْرِ وَتَوَابِعِهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا رَجَسٌ.
- ٦- مَقْتُولُ الْمُحْرَمِ مِنَ الصَّيْدِ مَيْتَةٌ وَإِنْ ذُبِحَ، وَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ لِأَحَدٍ.
- ٧- إِبَاحَةُ صَيْدِ مَأْكُولِ اللَّحْمِ لِلْمُحْرَمِ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ حَالِ الْإِحْرَامِ إِلَّا صَيْدَ الْحَرَمِ.



❁ **المطلب الأول: كل ما أبيع أكله من بهيمة أو طائر لا يحل إلا**

بالتذكية الشرعية.

لقد منَّ الله تعالى على عباده المؤمنين؛ إذ وسَّع عليهم دائرة المباح، وضيَّق عليهم دائرة الحرام، فلم يأمرهم بشيءٍ، إلا وفعله نافع وتركه ضارٌّ، ولم ينههم عن شيءٍ، إلا وفعله ضارٌّ وتركه نافع، ومن جملة ما أباح الله لعباده أكل الأنعام، والبهائم المشابهة لها في الاجترار وعدم الأنياب، كما تدخل الطيور غير الجارحة، مع الانتفاع بجميع أجزائها بشرط تذكيتها ذكاةً شرعيةً، وقد أخبر الله تعالى عمَّا أباحه من مأكول الحيوانات فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١].

وفي اللسان: «البهيمة: كلُّ ذات أربع قوائم من دوابِّ البرِّ والماء، والجمع بهائم»^(١)، والأنعام هي: «اسمٌ للإبل والبقر والغنم خاصة»^(٢)، وأضاف آخرون: «وحشيَّها، كالظِّباء وبقر الوحش والحُمُر»^(٣)، ورَجَّح الماتريدي أنَّه: «كلُّ مأكولٍ من الغنم، والوحش، والصَّيد، وغيره، وإن لم يذكر»^(٤).

إذن فالمراد بـ«بهيمة الأنعام» في هذه الآية الكريمة: «ما يشمل الإبل والبقر والغنم، ويلحقُ بها كلُّ حيوان أو طيرٍ يتغذى من النَّبات، ولم يرد نصٌّ بتحريمه؛ فيدخل الطَّبَّيُّ، وحمار الوحش، وغيرهما من آكلات العشب، كما تدخل الطُّيور غير الجارحة»^(٥)، والدَّلِيل على أنَّ كلَّ ما أُبيع أكله من حيوان

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٢ / ٥٦).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٤٥٧).

(٣) المرجع السابق.

(٤) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٣ / ٤٣٧).

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لطنطاوي (٤ / ٢٢).



بَرِّي لَا يَحِلُّ إِلَّا بِالتَّذَكِّيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣]، والمعنى: «كُلُّ مَا أَدْرَكَتْ ذَكَاتُهُ مِنْ طَائِرٍ أَوْ بَهِيمَةٍ قَبْلَ خُرُوجِ نَفْسِهِ، وَمَفَارِقَةِ رُوحِهِ جَسَدِهِ، فَحَلَالٌ أَكَلُهُ، إِذَا كَانَ مِمَّا أَحَلَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ»^(١).

والتَّذْكِيَّةُ فِي اللُّغَةِ: «الذَّبْحُ والنَّحْر»؛ يُقَالُ: ذَكَّيْتُ الشَّاةَ تَذْكِيَةً، وَالْأَسْمُ: الذَّكَاءُ، وَالْمَذْبُوحُ: ذَكْيٌ^(٢)، أَمَّا فِي الشَّرْعِ فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ: «إِنْهَارِ الدَّمِّ وَفَرِي الْأَوْدَاجِ فِي الْمَذْبُوحِ، وَالنَّحْرِ فِي الْمُنْحُورِ وَالْعَقْرِ فِي غَيْرِ الْمَقْدُورِ، مَقْرُونًا بِنِيَّةِ الْقَصْدِ لِلَّهِ وَذَكَرِهِ عَلَيْهِ»^(٣). إِذَنْ يَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ التَّذْكِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ لِلْحَيَوَانِ الْمَبَاحِ أَكَلُهُ تَكُونُ بِالذَّبْحِ أَوْ النَّحْرِ أَوْ الْعَقْرِ بِالطَّرِيقِ الْمَشْرُوعِ:

١- فَالذَّبْحُ: يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصفافات: ١٠٧]، وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ قَالَ: «بَكْبَش»^(٤)، وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «شَاة»^(٥)، إِذَنْ: فَالذَّبْحُ يَكُونُ فِي الضَّأْنِ وَالْمَعَزِ وَالْبَقَرِ وَمَا شَابَهَا فِي الْحَجَمِ.

٢- وَالنَّحْرُ: يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وَعَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾، قَالَ: «نَحَرَ الْبَدَنِ»^(٦)، إِذَنْ: فَالنَّحْرُ يَكُونُ فِي الْإِبِلِ وَمَا شَابَهَا فِي الْحَجَمِ.

٣- وَأَمَّا الْعَقْرُ: فَيَكُونُ بِعَقْرِ أَوْ جَرَحِ الْمَتَوَحِّشِ مِنَ الْحَيَوَانِ أَوْ الْإِنْسِيِّ

(١) جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، لِلطَّبْرِيِّ (٩/ ٥٠٦).

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ، لِابْنِ مَنْظُورٍ (١٤/ ٢٨٨).

(٣) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ، لِابْنِ الْعَرَبِيِّ (٢/ ٢٧).

(٤) جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، لِلطَّبْرِيِّ (٢١/ ٨٨).

(٥) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ.

(٦) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (٢٤/ ٦٥٤).



الذي لا يُقدَّر عليه بالذَّبْح أو النَّحْر، وقد عبَّر عنه في القرآن الكريم بالصَّيْد، ويُستدلُّ عليه بقول الله جلَّ جلاله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُذُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾، يعني: «الكلاب الضَّواري والفُهود والصَّقُور وأشباهها»^(١)، وقد أوضحت السُّنة مشروعية ما صيدَ بواسطة الحيوانات المَعْلَمة أو آلات الصَّيْد اليدويَّة لما رواه مسلم في صحيحه عن عَدِيِّ بن حاتم، قال: سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن المعراض، فقال: «إذا أصاب بحدِّه فكلُّ، وإذا أصاب بعَرَضه فقتل، فإنَّه وَقِيدٌ، فلا تأكل»، وسألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الكلب، فقال: «إذا أُرْسِلَتْ كلبك، وذكرت اسمَ الله فكلُّ، فإن أكلَ منه فلا تأكل، فإنَّه إنَّما أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ»، قلت: فإن وجدتُ مع كلبِي كلبًا آخر، فلا أدري أيُّهُما أخذه؟ قال: «فلا تأكل، فإنَّما سَمَّيت على كَلْبِكَ، ولم تُسمِّ على غيره»^(٢)، وقال أبو جعفر الطَّبري: «كلُّ ما صاد من الطَّيْرِ والسَّبَاعِ فمن الجوارح، وأنَّ صيدَ جميع ذلك حلالٌ إذا صادَ بعدَ التَّعليم»^(٣).

وظاهر النُّصوص دليلٌ على إباحة أكل ما صيدَ بواسطة الحيوانات المَعْلَمة، أو بواسطة الآلات المَعْدَّة للصَّيْد، ولا يُشترط في ذلك إصابة الحلقوم كما هو الحال في الذَّبْح والنَّحْر، وإنَّما يكفي أن ينهار الدَّم من أيِّ موضع كان في الجسد بعدَ إصابة الحيوان المباح أكله.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٥٤٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيد والذَّبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: الصيد بالكلاب المَعْلَمة، برقم (١٩٢٩).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٥٤٩).



هذا ويستفاد مما سبق أنه يجب في التذكية الشرعية عموماً ما يأتي:

١- أن يكون المذكي قادراً، ذكراً أو أنثى، بالغاً أو غير بالغ، سواء كان مسلماً أو كتابياً^(١).

٢- إحداد الآلة، وإحضار نية الإباحة والقربة، وتوجيهها إلى القبلة، والإجهاز^(٢)، إلا السن والظفر وسائر العظام، كما في صحيح مسلم: «أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة»^(٣).

٣- أن ينهار الدم بإحدى طرق التذكية الشرعية.

٤- أن يكون المذكي ممّا يحلُّ أكله.

٥- أن يسمي الله عند التذكية؛ لقوله سبحانه: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا

أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤]، ولما روي في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما»^(٤).

٦- أن يكون الصيد بالحيوانات المدربة، أو بالآلات الحادة.

٧- ألا يأكل الحيوان المدرب من الصيد.

٨- ألا يأكل مع الحيوان المدرب للصيد حيوان آخر.

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٥٥).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٥٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأضاحي، باب: جواز الذبح بكل ما أنهر الدم، إلا السن، والظفر، وسائر العظام، برقم (١٩٦٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأضاحي، باب: التكبير عند الذبح، برقم (٥٥٦٥)، وأخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، باب: باب استحباب الضحية، وذبحها مباشرة بلا توكيل، والتسمية والتكبير، برقم (١٩٦٦).



❁ المطلب الثاني: إباحة الأكل من ذبائح أهل الكتاب إذا كان ممّا تحلُّ

ذكاته وبطريقة شرعية.

لقد أحلَّ الله تعالى الأكل من ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارى فقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وللبخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «طعامهم: ذبائحهم»^(١)، وقال الزهري: «لا بأس بذيحة نصارى العرب، وإن سمعته يسمي لغير الله فلا تأكل، وإن لم تسمعه فقد أحله الله لك وعلم كفرهم»^(٢)، والآية دليل على أن ذبائح أهل الكتاب حلال للمسلمين، وأن العمل بهذا الحكم مستمر ما دام اليهودي أو النصراني على دين إلهي ويذبح بطريقة شرعية، أمّا إذا علم المسلم أن ذبائح أهل الكتاب ذبحت بغير الطريق الشرعي كالخنق، أو الضرب، أو الصّعق الكهربائي فلا يجوز أكلها ألبتة، كما دلّ مفهوم المخالفة للآية على أن ذبائح غير أهل الكتاب من المرتدين والمجوسيين والهندوسيين والبوذيين والملحدين والمشرّكين وعبد الأوثان لا يجوز أكلها مطلقاً وإن ذبحوا بطريقة شرعية؛ لأنهم ليسوا على دين إلهي، وقد قال ابن كثير عن ذبائح أهل الكتاب: «وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء على أن ذبائحهم حلال للمسلمين؛ لأنهم يعتقدون تحريم الذّبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزّه عن قولهم، تعالى وتقدّس»^(٣)، وقد ثبتت مشروعية الأكل من ذبائح

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الذبائح والصّيد، باب: ذبائح أهل الكتاب وشحومها من أهل الحرب وغيرهم (٧/ ٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الذبائح والصّيد، باب: ذبائح أهل الكتاب وشحومها، من أهل الحرب وغيرهم، (٧/ ٩٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٤٠).



أهل الكتاب فيما رواه أبو داود في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «فأهدت له يهوديةٌ بخير شاةٍ مصليةٍ سمَّتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال: «ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة» فمات يشر بن البراء بن معرور الأنصاري»^(١).

هذا ويفهم ممَّا سبق أنَّه يشترط في ذبائح أهل الكتاب الآتي:

- ١- أن تكون الذبائح ممَّا أحلَّ الله لعباده.
- ٢- أن يذكي أهل الكتاب بطريقة شرعية.
- ٣- أن لا يذكر أهل الكتاب على ذبائحهم إلَّا اسم الله تعالى.
- ٤- أن يعتقد أهل الكتاب تحريم الذبائح لغير الله تعالى.
- ٥- أن يكون أهل الكتاب على دين إلهي.

المطلب الثالث: إباحة جميع المأكولات المائية حيها وميتها للمحرّم

والحلال ولا يضر من صاها.

لقد أباح الله تعالى لعباده المؤمنين سواء كانوا مُحْرَمِينَ بِحَجٍّ أو عمرة أو غير مُحْرَمِينَ أَكَلَ جميع ما يعيش في ماء البحار والأنهار والأودية سواء كان ذلك كائناً حياً أو ميتاً؛ لقول الله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ [المائدة: ٩٦]، والبحر في اللغة يشمل الأنهار والأودية؛ لأنَّ جميعها يسمَّى بحراً كما في معاني القرآن عن الزَّجَّاج: «وكلُّ ذي ماء فهو بحر»^(٢)، لذا قال رشيد رضا: «المراد بالبحر: الماء الكثير المستبحر الذي يوجد فيه السمك وغيره من

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الديّات، باب: فيمن سقى رجلاً سُماً أو أطعمه فمات أيقاد منه؟ برقم (٤٥١٢)، وصحَّحه الألباني، وقال: «حسن صحيح».

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ١٨٨).



الحيوانات المائية التي تصاد؛ فيدخل فيه الأنهار والآبار والبرك ونحوها»^(١).
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُم صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ﴾ قال:
«صَيْدُهُ، ما صيد، وطَعَامُهُ، مَيْتَتُهُ»^(٢).

ويقول محمد الأمين الشنقيطي: «ظاهر عموم هذه الآية الكريمة يشمل
إباحة صيد البحر للمُحَرَّم بحجٍّ أو عمرة، وهو كذلك، كما بيَّنه تخصيصه
تعالى تحريم الصَّيْد على المُحَرَّم بصيد البرِّ في قوله: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا
دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، فَإِنَّهُ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ صَيْدَ الْبَحْرِ لَا يَحْرُمُ عَلَى الْمُحَرَّمِ،
كما هو ظاهر»^(٣).

كما نصَّت السُّنَّةُ أيضًا على إباحة مأكولات البحر وخصَّصَتْ منها
ميتها لما يتوهم من حرمتها كحرمة ميتة البرِّ، ففي المُسْنَد عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَلَّتْ لَنَا مَيْتَانِ، وَدَمَانِ. فَأَمَّا الْمَيْتَانِ: فَالْحَوْتَ
وَالْجَرَادَ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدَ وَالطَّحَالَ»^(٤)، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه
قال: «وانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب
الضَّخْم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العُنبَر، قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال:
لا، بل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال:
فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاث مائة حتى سَمِنَّا، قال: ولقد رأيتنا نغترف من
وَقَبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنِ، ونقتطع منه الْفِدَرُ كالثَّوَر، أو كقدر الثَّوَر، فلقد

(١) تفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا (٧ / ٩٦).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١ / ٥٨ - ٦٣).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (١ / ٤٢٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، برقم (٥٧٢٢)،
وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، برقم (٣٣١٤)، وصححه الألباني.



أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ، وَأَخَذَ ضُلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا، فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدَمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «هُوَ رِزْقُ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٍ فَتُطْعَمُونَا؟»، قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ»^(٥)، وَظَاهِرُ هَذِهِ النُّصُوصِ يَفِيدُ حَلَّ جَمِيعِ مَيِّتَاتِ الْبَحْرِ لِلْمُحْرَمِ وَغَيْرِ الْمُحْرَمِ، بَغْضِ النَّظَرِ عَمَّنْ صَادَهَا وَلَوْ كَانَ غَيْرَ كِتَابِيٍّ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: «لَا بَأْسَ بِأَكْلِ الْحَيْتَانِ، يَصِيدُهَا الْمَجُوسِيُّ»^(٦)، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَاءِ الْبَحْرِ: «هُوَ الطَّهُّورُ مَاؤُهُ، الْحَلَالُ مَيِّتُهُ»^(٧)، ثُمَّ قَالَ: «وَإِذَا أَكَلَ ذَلِكَ، مَيِّتًا، فَلَا يَضُرُّهُ مِنْ صَادِهِ»^(٨).

✽ الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: كُلُّ مَا حُرِّمَ أَكْلُهُ مِنْ بَهِيمَةٍ أَوْ طَائِرٍ لَا يَحِلُّ وَلَوْ بِالذَّكَاءِ الشَّرْعِيَّةِ.

الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي لَا يَجُوزُ أَكْلُهَا وَلَوْ أَنَّهَا ذُكِّيتْ ذَكَاءً شَرْعِيَّةً هُوَ مَا نَصَّ الشَّرْعُ عَلَى حُرْمَتِهَا، أَوِ الَّتِي أَمَرَ الشَّرْعُ بِقَتْلِهَا، أَوْ نَهَى عَنْ قَتْلِهَا، أَوْ لَكُونَهَا ذَاتُ نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَذَاتُ مَخْلَبٍ مِنَ الطُّيُورِ:

○ أَوَّلًا: مَيِّتَةُ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ بِاسْتِثْنَاءِ مَيِّتَةِ الْجَرَادِ:

الْمَوْتُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يُطْلَقُ عَلَى «السُّكُونِ؛ يَقَالُ: مَاتَتِ الرِّيحُ؛ أَيِ:

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابُ: إِبَاحَةِ مَيِّتَاتِ الْبَحْرِ، بِرَقْمِ (١٩٣٥).

(٦) الْمَوْطَأُ، لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ (٣/ ٧٠٩).

(٧) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ: كِتَابُ الصَّيْدِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي صَيْدِ الْبَحْرِ، بِرَقْمِ (١٨١٩)، وَالنَّسَائِيُّ: كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ، بَابُ: مَيِّتَةُ الْبَحْرِ، بِرَقْمِ (٤٣٥٠)، وَأَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ الطَّهَارَةِ وَسُنَنِهَا، بَابُ: الْوَضُوءِ بِمَاءِ الْبَحْرِ، بِرَقْمِ (٣٨٦) بَلَفَظَ «الْحَلَّ» بَدَلَ «الْحَلَالِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٨) الْمَوْطَأُ، لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ (٣/ ٧٠٩).



سَكَنْتَ»^(١)، والميتة في الاصطلاح الشرعي هي: «كُلُّ مَا لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ»^(٢) من دواب البر وطيره، ممَّا أباح الله أكلها، أهلها^(٣) ووحشها، فارقتها رُوْحُهَا بغير تذكية»^(٤).

ويقول ابن عاشور: «الميتة: الحيوان الذي زالت منه الحياة، والموت حالة معروفة تنشأ عن وقوف حركة الدَّم باختلال عمل أحد الأعضاء الرئيسة أو كلها»^(٥).

وقد اتفقت كلمة العلماء قاطبةً على حُرْمَةِ أَكْلِ الميتة من البهائم والطيِّر وإن كانت من جنس ما أحلَّه الله ما دامت غير مذكَّاة ذكاةً شرعيةً بدليل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، ونظيره: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣ / النحل: ١١٥]، ومثله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقد فصل الله تعالى في الميتة عند قوله: ﴿وَالْمَنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُزْدَرِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ [المائدة: ٣]، ومعنى هذه الأنواع من الميتة ما يأتي:

النوع الأول (المنخنقة): وهي «التي تختنق، إمَّا في وثاقها، وإمَّا بإدخال رأسها في الموضع الذي لا تقدر على التخلص منه، فتختنق حتى تموت»^(٦)، والمنخنقة أيضًا هي التي تموت مخنوقة من طرف إنسان أو حيوان، فعن قتادة:

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢ / ٩٢).

(٢) أي: دم سائل، انظر: لسان العرب، لابن منظور (٦ / ٢٣٥).

(٣) أي: التي تألف البيوت ولها أصحاب وهي ضدُّ الوحشية، انظر: لسان العرب، لابن منظور (١١ / ٢٩).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٤٩٢).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦ / ٨٩).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٤٩٥).



« كان أهل الجاهلية يخنفون الشاة، حتى إذا ماتت أكلوها »^(١).

النوع الثاني (الموقوذة): وهي « التي تُضْرَبُ بشيءٍ ثقيلٍ غير محدد حتى تموت »^(٢)، وعن قتادة قال: « كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصي، حتى إذا ماتت أكلوها »^(٣).

النوع الثالث (المرتدية): وهي « التي تقَعُ من شاهقٍ أو موضعٍ عالٍ فتموت بذلك »^(٤)، وعن قتادة قال: « كانت تتردى في البئر فتموت، فيأكلونها »^(٥).
النوع الرابع (النطيحة): وهي « التي تنطحها أخرى فتموت من النطاح بغير تذكية »^(٦)، وعن قتادة قال: « الكبشان ينتطحان، فيقتل أحدهما الآخر، فيأكلونه »^(٧).

النوع الخامس (ما قتله بعض سباع الوحوش): وهي « ما عدا عليها أسدٌ، أو فهدٌ، أو نمِرٌ، أو ذئبٌ، أو كلبٌ، فأكل بعضها فماتت بذلك »^(٨)، وعن قتادة قال: « كان أهل الجاهلية إذا قتل السبع شيئاً من هذا أو أكل منه، أكلوا ما بقي »^(٩).

النوع السادس: (ميتة الجراد): أمّا هذا النوع فقد استثنته السنة النبوية من هذا التحريم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « أُحِلَّتْ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٤٩٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣ / ١٨).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٤٩٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣ / ٢١).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٤٩٨).

(٦) المرجع السابق (٩ / ٤٩٩).

(٧) المرجع السابق (٩ / ٥٠١).

(٨) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣ / ٢٢).

(٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٥٠٢).



لكم ميتان ودمان، فأما الميتان، فالحوت والجراد، وأما الدمان، فالكبد والطحال^(١)، وعن أبي يعفور قال: سمعت ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: «غزونا مع النبي صلی الله علیه وسلم سبع غزوات أو ستاً، كنّا نأكل معه الجراد»^(٢)، والحديثان إخبارٌ وإقرارٌ من النبي صلی الله علیه وسلم على إباحة الانتفاع بميتة الجراد.

○ ثانياً: الخنزير والجلالة:

اتفقت كلمة علماء الأمة على حرمة لحم الخنزير وجميع توابعه؛ لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]، يقول الطبري: «وأما لحم الخنزير، فإن ظاهره كباطنه، وباطنه كظاهره، حرامٌ جميعه، لم يخص منه شيء»^(٣).

ويقول ابن كثير: «واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم»^(٤)، ولا فرق بين الأهلبي منه والوحشي عند جمهور العلماء، لذا يرى الماوردي أن تحريم الخنزير: «يعم اللحم وما خالطه من شحم وغيره، وهو قول الجمهور، ولا فرق بين الأهلبي منه والوحشي»^(٥). هذا ولا شك أن الخنزير من أقذر الحيوانات وأكثرها نجاسة حتى جاء وصفه في القرآن الكريم بأنه رجس، فقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، والرجس: «الشيء القذر»^(٦)، وهو: «اسم لكل ما

(١) سبق تخريجه في: (ص ٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الذبائح والصيد، باب: أكل الجراد، برقم (٥٤٩٥).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩/ ٤٩٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ١٦).

(٥) النكت والعيون، للماوردي (٢/ ١٠).

(٦) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (١/ ٣٤٢).



استقذر من عمل^(١)، ولذلك كان أحبَّ الطَّعام إلى الخنزير هو النَّجاسات، قال ابن عاشور: «وحكمة تحريم لحم الخنزير أنه يتناول القاذورات بإفراط؛ فتنشأ في لحمه دودة ممَّا يقتاتة لا تهضمها معدته، فإذا أصيب بها أكله قتله»^(٢)، ولأجل هذا ألحقنا الجلالة بالخنزير لاشتراكها معه في علة من علل التَّحريم، وهو الأكل بإفراط من النَّجاسات، والجلالة هي: «التي تأكل الجِلَّة والعذرة وتبتلع النَّجاسات، والجِلَّة: البعر، فاستعير ووضع موضع العذرة، وإبل جلالة: تأكل العذرة»^(٣)، وقد ورد النَّهي عن ركوب الجلالة من البهائم والطُّيور وأكل لحمها وشرب لبنها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهي رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها»^(٤)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ نهى يومَ خيبر عن لحوم الحُمُر الأهلية، وعن الجلالة، وعن ركوبها، وعن أكل لحمها»^(٥)، ويرى العلماء أنَّ تحريم الانتفاع بالجلالة يختصُّ بالحيوان الذي غالب طعمه من النَّجاسات، فأما الذي غالب طعمه من الطَّيبات وإن ناله مع ذلك شيئاً من النَّجاسات فليس بجلالة، فإذا حُبِسَ بعيداً عن النَّجاسة لمدَّة معيَّنة حتى تطهر وتطيب كانت حلالاً باتفاق المسلمين^(٦)؛ لأنَّ علة النَّهي كونها تتغذى على النَّجاسات، وقد زالت.

(١) الغريبين في القرآن والحديث، للهروي (٣/ ٧١٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ١١٩).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١١/ ١١٩).

(٤) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح: أبواب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في أكل لحوم الجلالة وألبانها، برقم (١٨٢٤)، وصحَّحه الألباني، وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الذبائح: باب النهي عن لحوم الجلالة برقم (٣١٨٩)، وصحَّحه الألباني.

(٥) أخرجه النسائي في سننه: كتاب الصَّحايا، باب: النَّهي عن أكل لحوم الجلالة، برقم (٤٤٤٧)، وحسنه الألباني.

(٦) لمزيد من التفصيل في هذه المسألة، يرجع إلى: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٢٢)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (١/ ٥٤٣).



○ ثالثاً: الحيوان المذكى بقصد العبادة لغير الله:

لقد حَرَّمَ اللهُ تعالى على عباده المؤمنين أَنْ يَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ عِنْدَ ذُبْحِهِ اسْمُ غيرِ الله تعالى من صَنَمٍ أو طَاغُوتٍ أو نَبِيٍِّّ أو وَلِيٍِّّ أو فُلَانٍ أو شَيْطَانٍ فَقَالَ: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣].

والإِهْلَالُ فِي اللُّغَةِ: «التَّلْبِيَةُ، وَأَصْلُ الْإِهْلَالِ رَفْعُ الصَّوْتِ، وَكُلُّ رَافِعٍ صَوْتُهُ فَهُوَ مَهْلٌ، وَأَهْلَ الرَّجُلِ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ، وَأَهْلَ الْمَعْتَمِرِ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، [ومنه] اسْتَهْلَ الصَّبِيُّ بالبكاء: رَفَعَ صَوْتَهُ وَصَاحَ عِنْدَ الْوِلَادَةِ»^(١).
وَفِي الْإِصْطِلَاحِ هُوَ: «مَا ذُكِرَ غَيْرُ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِذَا ذُبِحَ أَوْ نُحِرَ»^(٢)، وَيَقُولُ آخَرُ: «مَا ذُبِحَ لِلْأَلْهَةِ وَلِلْأَوْثَانِ، يَسْمَى عَلَيْهِ غَيْرُ اسْمِ اللَّهِ»^(٣)، وَعَرَّفَهَا آخَرُ: «مَا ذُبِحَ أَوْ نُحِرَ عَلَى ذِكْرِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ [الْمَعْبُودَاتِ] الَّتِي يَعِظَّمُهَا النَّاسُ تَعْظِيماً دِينِيّاً، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهَا بِالذَّبَائِحِ»^(٤)، وَقَدْ فَسَّرَ ابْنُ كَثِيرٍ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: «مَا ذُبِحَ فَذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمُ غَيْرِ اللَّهِ، فَهُوَ حَرَامٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ أَنْ تُذْبَحَ مَخْلُوقَاتُهُ عَلَى اسْمِهِ الْعَظِيمِ، فَمَتَى عُدِلَ بِهَا عَنْ ذَلِكَ وَذُكِرَ عَلَيْهَا اسْمُ غَيْرِهِ مِنْ صَنَمٍ أَوْ طَاغُوتٍ أَوْ وَثْنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَإِنَّهَا حَرَامٌ بِالْإِجْمَاعِ»^(٥)، كَمَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْكُلُوا مِمَّا ذُبِحَ عَلَى الْحِجَارَةِ الَّتِي كَانَ الْجَاهِلِيُّونَ يَنْصُبُونَهَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ فَيَعْبُدُونَهَا وَيَهْلُونَ لَهَا وَيَذْبَحُونَ عَلَيْهَا فَقَالَ: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١١ / ٧٠١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١ / ١٤٩).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٤٩٣).

(٤) تفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا (٦ / ١١٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣ / ١٧).



قال الرَّاعِبُ في مفرداته: «نَصَبَ الشَّيْءَ: وضعه، وضعًا، ناتئًا كَنَصَبِ الرُّمَحِ، والبناء والحجر، والنَّصِيب: الحِجَارَةُ تُنْصَبُ عَلَى الشَّيْءِ، وجمعه: نصائب ونُصُب، وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها»^(١).

ويقول الزَّجَاجُ في معاني القرآن: «والأنصاب: الحجارة التي كانوا يعبدونها، وأنصاب الحرم أعلامه»^(٢).

واصطلاحًا: «النُّصُب: الأوثان من الحجارة، جماعة أنصاب كانت تجمع في الموضع من الأرض فكان المشركون يقربون لها، وليست بأصنام»^(٣)، وعرفها آخر بأنها: «حجارة موضوعة لأن تذبح عليها القرابين والنسائك التي يتقرب بها للآلهة وللجن»^(٤)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ يقول: «والنُّصُب: أنصاب يذبحون عليها»^(٥)، وعن الضَّحَّاك بن مزاحم يقول: «الأنصاب: حجارة كانوا يهلُّون لها، ويذبحون عليها»^(٦)، وعن مجاهد قوله: «النُّصُب: حجارة حول الكعبة، يذبح عليها أهل الجاهلية، ويبدلون إذا شاءوا بحجارة أعجب إليهم منها»^(٧).

ويقول الجزائري: «ما ذُبِحَ على الأصنام المنصوبة التي تمثل إلهاً أو زعيماً أو عظيماً، ومثلها ما ذُبِحَ على أضرحة الأولياء وقبورهم وعلى

(١) المفردات في غريب القرآن، للرَّاعِبُ الأصفهاني (١ / ٨٠٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزَّجَاج (١ / ١٥٢).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٥٠٨).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦ / ٩٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] (٥٣ / ٦).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩ / ٥٠٩).

(٧) المرجع السابق (٩ / ٥٠٨).



الجان»^(١)، وقد روى مسلم في صحيحه عن عليٍّ رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لغير الله»^(٢).

هذا وعلم من هذه النصوص أَنَّ الذَّبْحَ عبادةٌ، والعبادةُ لا تكون إلا لله وحده وباسمه وحده لا شريك له، فمن أراد في ذبحه غيرَ الله تعالى أو تعمَّد عند ذبحه ونَحَره ذكر غير اسم الله تعالى، فإنه يكون بهذا الفعل قد أشرك، والشُّرك مُخْرَج من الملة، وبالتالي لا تحلُّ ذبيحته؛ لأنَّه ممَّا نصَّ الشَّرْع على حرمتها، قال النووي: «وأما الذَّبْح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى؛ كمن ذبح للصنم أو الصليب، أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليه وسلم، أو للكعبة ونحو ذلك، فكلُّ هذا حرامٌ ولا تحلُّ هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًّا أو يهوديًّا نصَّ عليه الشافعيُّ واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذَّبْح مرتدًّا»^(٣).

○ رابعًا: الحُمْر الأهلِيَّة، والبغال، وكلُّ ذي ناب من السباع، ومخلب من الطَّيْرِ، وما أمر الشارع بقتله أو نهى عن قتله:

هذا الحكم ممَّا استقلَّت به السُّنَّة في التشريع، وأوردناه هنا باختصار لأجل إيفاء الموضوع حقَّه^(٤)، وهذا على سبيل إيضاح القرآن بالسُّنَّة.

(١) أيسر التفاسير لكلام العليِّ الكبير، للجزائري (١/ ٥٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذَّبْح لغير الله تعالى ولعن فاعله، برقم (١٩٧٨).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١٣/ ١٤١).

(٤) لمزيد من التَّفصيل حول هذه المسألة، يرجع إلى: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١١٧ - ١٢٣)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (١/ ٥٢٣ - ٥٤٣).



لقد ورد النَّهْيُ في أكثر من حديث عن أَكْلِ هذا النَّوع من الحيوانات، فأَمَّا الحُمُر الأَهْلِيَّة والبغال، ففي الصَّحِيحَيْنِ عن جَابِر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرٍ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ، وَرَخَّصَ فِي الْخَيْلِ» ^(١)، وفي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عن جَابِر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ذَبَحْنَا يَوْمَ خَيْبَرِ الْخَيْلَ، وَالبغال، وَالحُمُرَ، فَنهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْبَغَالِ، وَالحُمُرِ، وَلَمْ يَنْهِنَا عَنْ الْخَيْلِ» ^(٢).

قال القرطبي: «وَأَمَّا الْبَغْلُ فَهُوَ مَتَوَلَّدٌ مِنْ بَيْنِ الْحِمَارِ وَالْفَرَسِ، وَأَحَدُهُمَا مَأْكُولٌ أَوْ مَكْرُوهٌ وَهُوَ الْفَرَسُ، وَالْآخَرُ مُحَرَّمٌ وَهُوَ الْحِمَارُ، فَغَلِبَ حُكْمُ التَّحْرِيمِ؛ لِأَنَّ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ إِذَا اجْتَمَعَا فِي عَيْنٍ وَاحِدَةٍ غَلِبَ حُكْمُ التَّحْرِيمِ» ^(٣).

وَقَدْ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ: «أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَكْرَهُ لُحُومَ الْخَيْلِ وَالبغال وَالحُمُرَ، وَكَانَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] فَهَذِهِ لِلْأَكْلِ، ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨] فَهَذِهِ لِلرُّكُوبِ» ^(٤).

وَأَمَّا تَحْرِيمُ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، لَمَّا رُويَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ» ^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر، برقم (٤٢١٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: في أكل لحوم الخيل، برقم (١٩٤١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأطعمة، باب: في أكل لحوم الخيل، برقم (٣٧٨٩)، وصححه الألباني، وأخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (١٤٨٤٠)، وقال عنه محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢٣/٣).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٧٢/١٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: تحريم أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، برقم (١٩٣٤).



ومعنى قوله: (كلّ ذي ناب من السباع، وكلّ ذي مخلب من الطير)؛ أي: «كلًّا منهما ذو عداء وافتراس، فدلّ كلّ ذلك على أنّه منهّي عنه، والأصل في النهي التّحريم»^(١). في حين، فإنّ الحيوانات التي أمر الشرع بقتلها، ما روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «خمس فواسق، يقتلن في الحرم: الفأرة، والعقرب، والحُديّا، والغراب، والكلب العقور»^(٢)، وفي رواية لمسلم: «الحية»^(٣) مكان «العقرب»، وأضيف في رواية لمسلم الأمر بقتل الوزغ؛ لأنّه فؤيسق، فعن عامر بن سعد عن أبيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله «أمر بقتل الوزغ وسمّاه فؤيسقًا»^(٤)، بينما التي نهى الشرع عن قتلها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهُدُهد، والصُّرَد»^(٥)، وفي رواية لابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «الضفدع»^(٦) مكان: «النحلة»، وغيرها من الحيوانات التي تشاركها في علّة التّحريم كما ورد في كتب السنّة والتفسير.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (١/ ٥٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم، برقم (٣٣١٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب: ما يُندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحلّ والحرم، برقم (١١٩٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السّلام، باب: استحباب قتل الوزغ، برقم (٢٢٣٨).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده: مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، برقم (٣٠٦٦)، وقال عنه محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه أبو داود في سننه: أبواب النوم، باب في قتل الذر، برقم (٥٢٦٧)، وصحّحه الألباني.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الصّيد، باب: ما ينهى عن قتله، برقم (٣٢٢٣)، وصحّحه الألباني.



❁ المطلب الخامس: تحريم التَّغْذِي بِشَيْءٍ مِنَ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ وَمِنَ الْخَمْرِ

وتوابعهما؛ لأنهما رجس.

لقد جاء وصف الدَّمِ المسفوح في القرآن الكريم على أنه رجس^(١)، فقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وكذلك جاء وَصَفُ الخمر على أنه رجس، فقال جلَّ جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ﴾ [المائدة: ٩٠].

والمقصود بالرجس: «الخبث والقذر»^(٢)، والآيتان دلالة واضحة على تحريم التَّغْذِي مِنَ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ وَمِنَ الْخَمْرِ وَمِنَ مَشْتَقَّاتِهِمَا، وَأَنَّ تَعَاطِيَهُمَا مِنَ الْآثَامِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا سُوءُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ مَضَى بَيَانُ مَعْنَى «الخبث» عِنْدَ حَدِيثِنَا عَنْ «الخبث من الأطعمة» مَا يَغْنِينَا عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَمِنْ هُنَا يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ الْأَشْرَبَةَ الْخَبِيثَةَ هِيَ: كُلُّ شَرَابٍ حَرَامٍ مُسْتَقْدَرٍ ضَارٍّ مَسْمُومٍ وَمُسْكِرٍ وَمَغْصُوبٍ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا: الدَّمُ الْمَسْفُوحُ وَمَشْتَقَّاتُهُ، وَالْمَشْرُوبَاتُ الْمُسْكِرَةُ وَمَشْتَقَّاتُهَا، وَجَمِيعُ أَشْكَالِ السُّمُومِ وَالْمَشْرُوبَاتِ الْمَلُوثَةِ، وَكُلُّ مَا هُوَ مُسْتَخْرَجٌ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ مُحَرَّمَةٌ الْأَكْلِ؛ كَاللَّبَنِ وَالسَّمَنِ وَالْجَبْنِ وَالْبَوْلِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْرَبَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي نَهَانَا الشَّارِعُ عَنْ شَرْبِهَا نَهْيًا جَازِمًا، فِي حِينِ، الْأَشْرَبَةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ: كُلُّ شَرَابٍ حَلَالٍ طَاهِرٍ نَافِعٍ غَيْرٍ مَسْمُومٍ وَلَا مُسْكِرٍ وَلَا مَغْصُوبٍ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا: الْمَاءُ، وَالزَّيْتُ، وَالْعَسَلُ، وَالزَّنَجِيلُ، وَالْخَلُّ، وَالشَّاي، وَعَصِيرُ

(١) الضمير في قوله: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الأظهر: أَنَّهُ يَعُودُ إِلَى جَمِيعِ مَا قَبْلَهَا. انظر:

التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٣٩).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨-٨/ ١٣٨).



الفواكه، والنّعناع، وكلُّ ما هو مستخرج من الحيوانات مأكولة اللحم كاللبن والسمن والجبن والبول، وغيرها من الأشربة الطيبة التي أذن الشارع الحكيم في شربها بلا إسرافٍ، وسنقتصر في هذا المطلب على ذكر الأشربة التي نهانا الشرع عن شربها نهياً جازماً، وهي نوعان:

□ النوع الأول: الدّم المسفوح وتوابعه:

يقول الله تعالى ناهياً عباده عن التّغذي من الدّماء ما كان مُسالاً أو مشتقاً منها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمُ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمُ﴾ [النحل: ١١٥]، والدّم هنا بمعنى: «المسفوح»، حملاً لمطلق هذه الآية على مقيد آية الأنعام؛ لقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، يعني: «مُهَرَّاقًا مَصْبُوبًا»^(١)، أو كما يقول ابن جرير: «دَمًا مُسَالًا مُهَرَّاقًا»^(٢).

ويقول ابن عاشور: «والمسفوح: المصبوب السائل، وهو ما يخرج من المذبح والمنحر، أو من الفصد في بعض عروق الأعضاء فيسيل، وقد كان العرب يأكلون الدّم الذي يسيل من أوداج الذبيحة أو من منحر المنحورة ويجمعونه في مصير أو جلد ويجففونه ثم يشوونه، وربما فصدوا من قوائم الإبل مفصداً فأخذوا ما يحتاجون من الدّم بدون أن يهلك البعير، وربما خلطوا الدّم بالوبر ويسمونه (العلهز)، وذلك في المجاعات»^(٣). والآية دلالة على أن: «المحرّم من الدّم هو المسفوح، والدّم الذي يكون في اللحم ويخالط

(١) مجاز القرآن، لمعمر بن المشنى (١/ ٢٠٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٢/ ١٩٠).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٣٨).



اللَّحْمَ لَيْسَ بِحَرَامٍ، وَالْدَّمُ الْمَسْفُوحُ حَرَامٌ»^(١)، وَأَنَّ مَشْتَقَّاتِ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ كُلُّهُ حَرَامٌ.

هَذَا وَيَتَّضَحُّ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ أَنَّ الدَّمَّ الْمَحْرَمَ مَقْصُورٌ عَلَى الدَّمِ الْمَسْفُوحِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَوْدَاجِ الذَّبِيحَةِ أَوْ مِنْ مَنَحَرِ الْمَنْحُورَةِ أَوْ الدَّمِ الْمَفْصُودِ مِنْ قَوَائِمِ الْبَهَائِمِ، وَإِنْ جَمَدَ بَعْدَ ذَلِكَ، أَمَّا الدَّمُ غَيْرُ الْمَسْفُوحِ «فَحَلَالٌ غَيْرُ نَجَسٍ»^(٢)، لَذَا رُوِيَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَدِيرٍ، عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ قَالَ: «سَأَلْتُهُ عَنْ الدَّمِّ وَمَا يَتَلَطَّخُ بِالْمَذْبُوحِ مِنَ الرَّأْسِ، وَعَنِ الْقَدْرِ يَرَى فِيهَا الْحُمْرَةُ؟ قَالَ: إِنَّمَا نَهَى اللَّهُ عَنِ الدَّمِّ الْمَسْفُوحِ»^(٣)، وَعَنْ قَتَادَةَ: قَالَ: «حُرِّمَ الدَّمُّ مَا كَانَ مَسْفُوحًا، وَأَمَّا لَحْمٌ خَالَطَهُ دَمٌ، فَلَا بَأْسَ بِهِ»^(٤). وَقَدْ خَصَّتِ السُّنَّةُ مِنَ الدَّمِّ الْمَسْفُوحِ الْكَبِدَ وَالطَّحَالَ لَمَّا رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ، وَدِمَانٌ. فَأَمَّا الْمِيتَتَانِ: فَالْحَوْتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدِّمَانُ: فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ»^(٥).

وَهَكَذَا نَلْحِظُ كَيْفَ تَتَجَلَّى رَحْمَةُ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، وَرَأْفَتُهُ بِهِمْ وَتَيْسِيرُهُ لَهُمْ، وَأَنَّهُ لَا يَكْلِفُهُمْ فَوْقَ وَسْعِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ عِنْدَمَا لَمْ يَحْرُمْ عَلَيْهِمُ الدَّمَّ عَلَى إِطْلَاقِهِ، فَعَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، قَالَ: «لَوْلَا هَذِهِ الْآيَةُ لَتَبَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْعُرُوقِ مَا تَبَعَتِ الْيَهُودُ»^(٦).

(١) تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ، لِلْمَاتَرِيدِيِّ (٤ / ٢٩٩).

(٢) جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، لِلطَّبْرِيِّ (١٢ / ١٩٣).

(٣) جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، لِلطَّبْرِيِّ (١٢ / ١٩٣).

(٤) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ.

(٥) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي: (ص ٦٣).

(٦) جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، لِلطَّبْرِيِّ (١٢ / ١٩٣).



□ النوع الثاني: الخمر وتوابعها:

يقول الله تعالى ناهياً عباده عن تعاطي الخمر وتوابعها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، والخمر: «ما خامر العقل؛ أي: خالطه، وخمر العقل؛ أي: ستره، وهو المسكر من الشراب»^(١)، وقد أوضح الله أن الغرض من تحريم الخمر لما فيها من إثارة الخصومات والإقدام على الجرائم، والصّد عن عبادة الله فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١].

وللتنبية: فإن الخمر لا تنحصر في عصير العنب، وإنما كل ما أسكر من الشراب فهو خمر، وبالتالي فالخمر: اسمٌ لكل مُسكر، لما روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلُّ شرابٍ أسكر فهو حرام»^(٢)، وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلُّ مُسكرٍ خمرٌ، وكلُّ مسكرٍ حرام»^(٣)، وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت عمر رضي الله عنه على منبر النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «أما بعد، أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة من: العنب والتمر والعسل والحِنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل»^(٤).

(١) الغريبين في القرآن والحديث، للهروي (٢/ ٥٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء، باب: لا يجوز الوضوء بالبيذ، ولا المُسكر، برقم (٢٤٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة، باب: بيان أن كل مُسكر خمر، وأن كل خمر حرام، برقم (٢٠٠٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠]، برقم (٤٦١٩).



✽ المطلب السادس: مقتول المحرم من الصيد ميتة وإن ذبحه، ولا يحلُّ

أكله لأحد.

لقد نبه سبحانه في سورة المائدة بأنه لا يجوز للمُحَرَّم بحجٍّ أو عمرة قتل مأكول اللحم الوحشي؛ كالطَّيِّبِ والغزال والطَّيْرِ ونحو ذلك فقال: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ [المائدة: ٩٦] قال: «فجعل الصيد حراماً على المحرم صيده وأكله ما دام حراماً، وإن كان الصيد صيداً قبل أن يحرم الرجل، فهو حلالٌ، وإن صاده حراماً لحلال، فلا يحلُّ له أكله»^(١)، ويفهم من كلام ابن عباس رضي الله عنهما أن مقتول المُحَرَّم من الصيد هو كالميتة في حقه وحق غيره؛ لأنَّ قتل الصيد حرامٌ عليه، وبالتالي فذبحه للصيد على وجه الذكاة الشرعية لا يحلُّ له ولا لغيره الأكل منه.

قال الشنقيطي: «وقد أجمع جميع العلماء على أن ما صاده مُحَرَّم لا يجوز أكله للمُحَرَّم الذي صاده، ولا لمُحَرَّم غيره، ولا لحلال غير مُحَرَّم؛ لأنَّه ميتة»^(٢)، لذا فقد ردَّ ابن العربي على من اعتبر ذبح المُحَرَّم للصيد ذكاةً متعلِّقاً بأنَّه ذَبْحٌ صَدَرَ مِنْ أَهْلِهِ، وأنَّه ممَّا يحلُّ أكله، فقال: «بناءً على هذه الدَّعوى، فإنَّ المُحَرَّم ليس بأهلٍ لذبح الصيد؛ إذ الأهلِيَّة لا تستفاد عقلاً، وإنَّما يفيدُها الشرع، وذلك بإذنه في الذَّبْح، أو ينفيها الشرع أيضاً، وذلك بنهيهِ عن الذَّبْح، والمحرَّم منهِّي عن ذبح الصيد بقوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، فقد انتفت الأهلِيَّة بالنَّهي، وإذا اتَّفَقنا على أنَّ المحرم إذا ذبح الصيد لا يفيد

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١ / ٨٤).

(٢) المرجع السابق (١ / ٤٣٠).



الحلّ له، فأولى وأحرى ألا يفيد له غيره؛ لأنّ الفرع تبع للأصل في أحكامه، فلا يصحّ أن يثبت له ما لا يثبت لأصله»^(١).

وقد أيّد القرطبيّ هذا الرأْيَ^(٢)، واعتمده محمّد الأمين الشنقيطيّ في تفسيره واعتبره الظاهر^(٣).

✽ المطلب السابع: إباحة صيد مأكول اللحم للمُحَرَّم بعد فراغه من حال الإحرام إلا صيد الحرَم.

لقد أباح الله تعالى لعباده المؤمنين إذا فرغوا من إحرامهم بالحجّ أو العمرة، وخرجهم من أرض الحرم أن يصطادوا ما شاءوا ممّا تحلّ ذكاته؛ لأنّ حكم تحريم الصيد متعلّق بحال الإحرام وفي أرض الحرم فقط، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]، وعن مجاهد: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾، قال: «إذا حلّ، فإن شاء صاد، وإن شاء لم يصطد»^(٤)، في حين، فقد اتفقت كلمة العلماء على حظر صيد الحرَم إذا كان داخل حدود الحرمين الشريفين، أمّا الحرم المكيّ، فلما رواه البخاريّ ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبيّ ﷺ يوم افتتح مكة: «إنّ هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنّه لم يحلّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوْكُه، ولا يُنْفَر صيْدُه، ولا يلتقط لُقْطَتُه إلا من عرّفها، ولا يختلي خلاه»، فقال العباس: يا رسول الله، ألا الإذخر فإنّه لقينهم وليبوتهم، قال: «إلا الإذخر»^(٥).

(١) أحكام القرآن، لابن العربي (١٧٣ / ٢) - (١٧٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٠٣ / ٦).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٤٣٤ / ١).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٤٨٢ / ٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب جزاء الصيد، باب: لا يحل القتال بمكة، برقم (١٨٣٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب: تحريم مكة، برقم (١٣٥٣).



وَأَمَّا الْحَرَمُ الْمَدَنِيُّ، فَلَمَّا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، لَا يَقْطَعُ عِضَاهُمَا،
وَلَا يَصَاد صَيْدُهَا»^(١)، وَعَنْ مَالِكٍ فِي الْمَوْطَأِ أَنَّهُ قَالَ: «سَمِعْتُ أَنَّهُ يَحْكُمُ عَلَى
مَنْ قَتَلَ الصَّيْدَ فِي الْحَرَمِ وَهُوَ حَالِلٌ، بِمِثْلِ مَا يَحْكُمُ بِهِ عَلَى الْمُحْرَمِ، الَّذِي
يَقْتُلُ الصَّيْدَ فِي الْحَرَمِ وَهُوَ مُحْرَمٌ»^(٢).



(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ: فَضْلِ الْمَدِينَةِ، بَرَقَم (١٣٦٢)

(٢) الْمَوْطَأُ، لِمَالِكٍ: كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ: الْحُكْمُ فِي الصَّيْدِ، (٣/ ٥١٨).



الخاتمة

الحمد لله على نعمائه والصَّلاة والسَّلام على خير أنبيائه،

أما بعد :

فبعد هذه الإشرقة على الهدايات التشريعيَّة لأحكام الأطعمة التي تمَّ إبرازها من خلال هذه الدِّراسة التَّفسيْريَّة الموضوعيَّة لسورة المائدة، نصل إلى عدَّة نتائج وتوصيات، وهذا بيانها:

❁ أَوَّلًا : أَهَمُّ النَّتَاجِ :

- ♦ إكمالُ شرائع هذا الدِّين، فلا حلال إلَّا ما أحلَّه الله، ولا حرام إلَّا ما حرَّمه، ولا دين إلَّا ما شرَّعه.
- ♦ التَّحليل والتَّحريم حقُّ الله وحده، ولا يجوز لأحدٍ القول بتحريم شيءٍ لم يَقم الدَّلِيل على تحريمه، أو القول بتحليل شيءٍ قام الدَّلِيل على تحريمه.
- ♦ كُلُّ ما أحلَّ اللهُ تعالى، فهو طيِّبٌ نافع في البدن والدِّين، وكلُّ ما حرَّمه اللهُ تعالى، فهو خبيثٌ ضارٌّ في البدن والدِّين.
- ♦ كُلُّ ما فيه ضرر من الأطعمة المحلَّلة لا يجوز أكله، وتحريمها ليس لذاتها، وإنَّما لما تحمله من مَوادٍّ مضرَّةٍ أو قاتلةٍ أو سامةٍ أو نجسةٍ أو محرَّمة، ومتى تطهَّرت من تلك المواد عاد الحُكْم إلى أصله وهو الحِلُّ.
- ♦ لا يجوز الإسراف في تناول الحلال؛ لأنَّه اعتداء على حدود الله.
- ♦ إباحة أكل ما حرَّمه الله -قدر الضَّرورة- لِمَن خاف على نفسه الضرر أو الهلاك على النَّفس أو بعض الأعضاء بترك أكلِ الممنوع شرعًا.



♦ نفي الإثم عَمَّنْ طَعَمَ شَيْئًا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ قَبْلَ نَزُولِ تَحْرِيمِهَا أَوْ بُلُوغِ تَحْرِيمِهَا؛ لِأَنَّ الْمُؤَاخَذَةَ عَلَى الْفِعْلِ تَبْدَأُ مِنْ وَقْتِ تَحْرِيمِهِ لَا مِنْ قَبْلِ تَحْرِيمِهِ، وَمِنْ وَقْتِ بُلُوغِ تَحْرِيمِهِ لَا مِنْ قَبْلِ بُلُوغِ تَحْرِيمِهِ.

♦ إِبَاحَةُ أَكْلِ الْأَنْعَامِ، وَالبَهَائِمِ الْمَشَابِهَةِ لَهَا فِي الْاجْتِرَارِ، وَعَدَمُ الْأَنْيَابِ، وَغَيْرِ الْمُتَوَلَّدَةِ مِنْ مَأْكُولٍ وَغَيْرِ مَأْكُولٍ، كَمَا تَدْخُلُ الطُّيُورُ غَيْرَ الْجَارِحَةِ، وَغَيْرِ الْمُتَوَلَّدَةِ مِنْ مَأْكُولٍ وَغَيْرِ مَأْكُولٍ، مَعَ الْإِنْتِفَاعِ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهَا بِشَرْطِ تَذَكِّيَّتِهَا ذِكَاةً شَرْعِيَّةً بِذَبْحِ الْمَذْبُوحِ مِنْهَا، أَوْ نَحْرِ الْمَنْحُورِ، أَوْ عَقْرِ غَيْرِ الْمُقْدُورِ عَلَيْهَا.

♦ مَا يَحِلُّ ذَكَاتُهُ مِنْ ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَلَالٌ لِلْمُسْلِمِينَ مَا دَامُوا عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، فَيَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَا يَذْكُرُونَ عَلَى ذَبَائِحِهِمْ إِلَّا اسْمَ اللَّهِ، وَيَذْبَحُونَ بِطَرِيقَةٍ شَرْعِيَّةٍ.

♦ جَمِيعُ صُيُودِ الْبَحْرِ وَمِيتَاتِهِ حَلَالٌ أَكْلُهَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِي ذَلِكَ طَرِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَيَجُوزُ أَكْلُ مَا صَادَهُ غَيْرُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ كَالْمَجُوسِيِّ وَغَيْرِهِ.

♦ تَحْرِيمُ أَكْلِ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُبَاحِ أَكْلُهَا إِذَا مَاتَتْ مِنْ غَيْرِ ذِكَاةٍ شَرْعِيَّةٍ وَإِنْ سَالَ مِنْهَا الدَّمَاءُ مِنْ مَذْبَحِهَا أَوْ مِنْ أَطْرَافِهَا؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ فِي مَشْرُوعِيَّتِهَا هُوَ خُرُوجُ الدَّمَاءِ بِالطَّرِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَتَمَثِّلَةِ فِي الذَّبْحِ أَوْ النَّحْرِ أَوْ الصَّيْدِ.

♦ تَحْرِيمُ أَكْلِ جَمِيعِ مِيتَاتِ الْبَرِّ إِلَّا مِيتَةَ الْجَرَادِ، وَتَحْرِيمُ أَكْلِ الْخَنْزِيرِ جَمِيعِهِ إِنْسِيَّ وَوَحْشِيَّ، وَتَحْرِيمُ أَكْلِ مَا ذُبِحَ بِقَصْدِ الْعِبَادَةِ يُتَقَرَّبُ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يُسَمَّى عَلَيْهِ غَيْرَ اسْمِ اللَّهِ، وَتَحْرِيمُ أَكْلِ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَتَحْرِيمُ أَكْلِ الْبَغَالِ وَكُلِّ مَا كَانَ مُتَوَلَّدًا مِنْ حَلَالٍ مَأْكُولٍ اللَّحْمِ وَحَرَامٍ غَيْرِ مَأْكُولٍ اللَّحْمِ، وَتَحْرِيمُ أَكْلِ الْجَلَالَةِ إِلَّا أَنْ تَطْيَبَ وَتَنْطَهَّرَ مِنَ النَّجَاسَاتِ، وَتَحْرِيمُ أَكْلِ مَا أَمَرَ الشَّارِعُ بِقَتْلِهِ وَنَهَى عَنْ قَتْلِهِ، وَتَحْرِيمُ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ.



- ♦ إباحة تناول جميع المشروبات باستثناء: الدَّم المسفوح ومشتقاته، والمشروبات الكحولية ومشتقاتها، وجميع أشكال السُّموم والمشروبات الملوثة.
- ♦ تحريم الأكل من مقتول صيد أرض الحرِّم أو مقتول صيد المُحرِّم بحجٍّ أو عمرة، ومتى خرج الصَّائد من أرض الحرِّم أو فرغ المُحرِّم من إحرامه، عاد الحكم إلى أصله وهو إباحة صيد البهائم والطَّير المباح أكلها.

❁ ثانياً : أهمُّ التوصيات :

- ١- يوصي الباحث بعقد مؤتمرات علمية عن الهدايات التشريعية في القرآن والسُّنة وأثرها في حياة الفرد والمجتمع.
- ٢- يوصي الباحث بتبصير المسلمين وغير المسلمين بوجوه الهدايات التشريعية للقرآن والسُّنة، وخصوصاً فيما يتعلَّق بالأطعمة المحلَّلة والمحرَّمة.
- ٣- يوصي الباحث بترجمة المقالات والكتب التي تحدَّثت بشكل رائع عن الهدايات التشريعية للأغذية المحلَّلة والمحرَّمة في القرآن والسُّنة إلى لغات عالمية مختلفة.
- ٤- يوصي الباحث بتفعيل الهدايات التشريعية بشأن الأطعمة المحلَّلة والمحرَّمة في حياة الإنسان المسلم، كما يوصي مراكز الحلال ومختبراتها العالمية التي تروِّج لمواصفات ومقاييس الطعام الحلال أن تكون مواصفاتها ومقاييسها وفقاً للهدايات التشريعية التي جاءت في هذا البحث.

تَمَّتِ الدِّرَاسَةُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، اللَّهُمَّ هَذَا الْجَهْرُ، وَعَلَيْكَ التُّكْلَلُ،

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْرِ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.



المصادر والمراجع

١. «الإتقان في علوم القرآن». السيوطي، جلال الدين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م.
٢. «أحكام القرآن». ابن العربي، أبو بكر. (ط ٣)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م.
٣. «أحكام القرآن». الجصاص، أبو بكر الرازي. (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤ م.
٤. «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». الشنقيطي، محمد الأمين. (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥ م.
٥. «أيسر التفاسير لكلام علي الكبير». الجزائري، أبو بكر جابر. (ط ٥)، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٣ م.
٦. «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز». الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر. تحقيق: محمد علي النجار. (د. ط)، القاهرة: إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦ م.
٧. «تأويلات أهل السنة». الماتريدي، أبو منصور. تحقيق: مجدي باسلوم، (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م.
٨. «التحرير والتنوير». ابن عاشور، الطاهر. (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.
٩. «تفسير القرآن الحكيم». رشيد رضا، محمد. (د. ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
١٠. «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (ط ٢)، لبنان: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ م.



١١. «تفسير الوسيط للقرآن الكريم». طنطاوي، محمد سيّد. (ط ١)، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧ م.

١٢. «التوقيف على مهمّات التعاريف». عبد الرؤوف، زين الدين محمد. (ط ١)، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٠ م.

١٣. «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». الطبري، محمد بن جرير. (ط ١)، الجيزة: دار الهجر، ٢٠٠١ م.

١٤. «الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل». الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. (ط ٢)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥ م.

١٥. «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه». البخاري، محمد بن إسماعيل. (ط ٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م.

١٦. «الجامع لأحكام القرآن». القرطبي، أبو عبد الله. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط ٢)، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤ م.

١٧. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين. (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م.

١٨. «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها». الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. (ط ١)، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٥ م.

١٩. «سنن ابن ماجه. ابن ماجه، أبو عبد الله. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، د. ت.

٢٠. «سنن أبي داود». أبو داود، سليمان بن الأشعث. (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م.



٢١. «شعب الإيمان». البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. (ط١)، الرياض/الهند: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣م.

٢٢. «العقود والأحكام الواردة في سورة المائدة: دراسة تحليلية وموضوعية». محمد، هدى بشير مبارك. رسالة دكتوراه، السودان: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الرباط الوطني، ٢٠١٥م.

٢٣. «الغريبين في القرآن والحديث». الهروي، أبو عبيد. تحقيق: أحمد فريد المزيدي. (ط١)، السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م.

٢٤. «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم. (ط٣)، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٢٥. «مجاز القرآن». معمر بن المثنى، أبو عبيدة. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (ط٢)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٢م.

٢٦. «المجتبى من السنن». النسائي، أبو عبد الرحمن. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (ط٢)، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٩٨٦م.

٢٧. «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد». الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي. تحقيق: حسام الدين القدسي. (د. ط)، القاهرة: مكتبة القدسي، ١٩٩٤م.

٢٨. «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطية، أبو محمد. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

٢٩. «مختار الصحاح». عبد القادر الحنفي، زين الدين. (ط٥)، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م.

٣٠. «المستجدات الفقهية المعاصرة في الأطعمة والأشربة: دراسة تطبيقية مقارنة في ضوء سورة المائدة». العساف، عدنان، والرفاعي، جميلة. بحث منشور، مجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (٥)، العدد (٣/أ)، أكتوبر ٢٠٠٩م.



٣١. «المستدرک علی الصحیحین». الحاکم، أبو عبد الله. (ط ١)، بیروت: دار الکتب العلمیة، ١٩٩٠ م.

٣٢. «مسند الإمام أحمد بن حنبل». أحمد، أبو عبد الله. (ط ١)، بیروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م.

٣٣. «مسند الشهاب». القضاة، أبو عبد الله. تحقیق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (ط ٢). بیروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦ م.

٣٤. «مسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ». مسلم، أبو الحسن. تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بیروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٣٥. «معاني القرآن وإعرابه». الزجاج، أبو إسحاق. تحقیق: عبد الجليل عبده شلبي. (ط ١)، بیروت: عالم الكتب، ١٩٨٨ م.

٣٦. «المعجم الكبير». الطبراني، سليمان بن أحمد. تحقیق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (ط ٢)، الرياض: دار الصميعي، ١٩٩٤ م.

٣٧. «مفاتيح الغيب». الرازي، أبو عبد الله. (د. ط)، بیروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

٣٨. «مفردات في غريب القرآن». راغب الأصفهاني، أبو القاسم. (ط ١)، بیروت: دار القلم، ١٩٩٢ م.

٣٩. «من أحكام سورة المائدة». القحطاني، سعيد بن علي بن وهف. (د. ط)، الرياض: مؤسسة الجريسي، د. ت.

٤٠. «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج». النووي، أبو زكريا. (ط ٢)، بیروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٢ م.



٤١. «الموطأ». مالك، أنس بن مالك. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، (ط١)، الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان، ٢٠٠٤م.
٤٢. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». البقاعي، إبراهيم بن عمر. (د. ط)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت.
٤٣. «النكت والعيون». الماوردي، أبو الحسن. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.
٤٤. «هدايات سورة المائدة في حفظ النفس والمال: دراسة تطبيقية على مدينة بوتسكم النيجيرية». محمد، أحمد. رسالة ماجستير، ماليزيا: كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٩م.
٤٥. «هدايات القرآنية دراسة تأصيلية». طه حمد وياسين قاري وفخر الدين علي. (ط١)، الدمام: مكتبة دار المتنبي، ٢٠١٧م.



فهرس الموضوعات

٢٧	مستخلص البحث
٢٩	المقدمة
٣٨	التمهيد: تعريف موجز بسورة المائدة
٤٢	المبحث الأول: هدايات تشريعية كلية
٤٢	المطلب الأول: إكمال أمر هذا الدين
٤٤	المطلب الثاني: التحليل والتحريم حق الله وحده
٤٧	المطلب الثالث: كل طيب من الأطعمة حلال
٤٨	المطلب الرابع: كل خبيث من الأطعمة حرام
٥١	المطلب الخامس: الإسراف في الطعام الحلال اعتداء
٥٢	المطلب السادس: إباحة ما حرم من المطاعم عند الضرورة
٥٤	المطلب السابع: نفي الإثم عن طعم المحرمات قبل نزول أو بلوغ تحريمها
٥٦	المبحث الثاني: هدايات تشريعية جزئية
٥٧	المطلب الأول: كل ما أبيح أكله من بهيمة أو طائر لا يحل إلا بالتذكية الشرعية
	المطلب الثاني: إباحة الأكل من ذبائح أهل الكتاب إذا كان مما تحل ذكاته
٦١	وبطريقة شرعية
	المطلب الثالث: إباحة جميع المأكولات المائية حيها وميتها للمحرم
٦٢	والحلال ولا يضر من صاها
٦٤	المطلب الرابع: كل ما حرم أكله من بهيمة أو طائر لا يحل ولو بالذكاة الشرعية



- المطلب الخامس: تحريم التغذي من الدّم المسفوح ومن الخمر وتوابعهما
لأنهما رجس ٧٤
- المطلب السادس: مقتول المُحَرِّم من الصّيد ميتة وإن ذبحه، ولا يحلّ أكله لأحد .. ٧٨
- المطلب السابع: إباحة صيد مأكول اللّحم للمحرم بعد فراغه من حال
الإحرام إلّا صيد الحرّم ٧٩
- الخاتمة ٨١
- المصادر والمراجع ٨٥
- فهرس الموضوعات ٩١





البحث الثاني

الْهَدَايَاتُ الْمُسْتَبْطَةُ مِنْ آيَةٍ
”فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ...“
آلِ عِمْرَانَ ١٥٩

١/ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ جَمِيلٍ الْمَطْرِي

باحث شرعي متخصص في التفسير والحديث

✿ حصل على درجة الماجستير من جامعة الأندلس (صنعاء) **بأطروحته**: الخطأ في نسبة الأقوال في كتب التفسير.

✿ يحضر **الدكتوراه** في جامعة المدينة العالمية في ماليزيا، وموضوع **رسالته**: الهدايات القرآنية في سورة الأعراف من الآية (١٧١) إلى آخر السورة، وفي سورة الأنفال من الآية (١-٤٠)، دراسة تطبيقية.

✿ مشارك في تأليف موسوعة التفسير الخاصة بموقع الدرر السنية.

أهم النتائج العلمية:

✿ التجديد عند المفسرين. ✿ الهدايات القرآنية في قصة ذي القرنين.

✿ مائة آية في فضل الصحابة. ✿ اثنا عشر دليلاً من القرآن على إثبات عذاب القبر.

✿ الإرشاد إلى سعة الصدر في مسائل الاجتهاد. ✿ فقه الخلع.

✿ إتحاق الطلاب بأحكام الطلاق. ✿ مقدمة في تخريج الحديث ودراسة الأسانيد.

✿ سيرة أبي هريرة والأحاديث الصحيحة التي تفرد بروايتها.

✿ البريد الإلكتروني: Matari63@hotmail.com



مستخلص البحث

أمرنا الله بتدبر القرآن الكريم؛ لتذكر به ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، ومن ثمار تدبر القرآن: استنباط الهدايات القرآنية، ولا يزال المجال مفتوحاً لاستخراجها من كل آية من آياته، كما تراه في هذا البحث التطبيقي.

❁ موضوع البحث:

الهدايات المستنبطة من قوله تعالى: ﴿فَمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَتَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

❁ أهداف البحث:

بيان معنى الآية الكريمة، وجمع ما أمكن من الهدايات المستنبطة منها؛ مما هو موجود في كتب التفسير ومما ظهر للباحث، مع بيان السبل التي يمكن تحقيقها - من خلال الآية الكريمة - لإصلاح واقع الأمة.

❁ أهم نتائج البحث:

- ١- أنَّ مجال استنباط الهدايات القرآنية مجال رحب واسع، لا يمكن لأحد أن يحصيه.
- ٢- أهمية حسن الخلق وفضله، ومن أعظم الأخلاق: اللين والرحمة والعفو.
- ٣- الحث على الاستغفار للمسلمين.
- ٤- تحقيق مبدأ الشورى في أمور المسلمين العامة والخاصة.
- ٥- الحث على التوكل على الله لجلب المنافع ودفع المضار؛ الدينية والدنيوية، العامة والخاصة.



٦- فضل القرآن وعظمته، وأنه يهدي الأمة في كل زمان ومكان للتي هي أقوم في جميع الأمور.

٧- الشريعة الإسلامية جاءت بمحاسن الأخلاق والآداب، وجاءت بكل خير للمسلمين، في جميع أمورهم الدينية والدنيوية.

❁ التوصيات:

الاعتناء بالقرآن الكريم؛ تفسيراً وتدبراً، ودراسةً وتدریساً، وخطابةً ووعظاً.

الكلمات المفتاحية:

الهدايات - التدبر - الاستنباط - الدعوة - الأخلاق.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه،

أما بعد :

فإن القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم، جعله الله مباركاً، وأمرنا بتدبر آياته لتتذكر به ما ينفعنا في ديننا ودنيانا؛ كما قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وإن استنباط الهدايات من القرآن الكريم هي ثمرة تدبره، فمن اهتدى بها كان أكمل الناس علماً وعملاً، وأقومهم وأهداهم في جميع أموره، فإن من الأهداف السامية لتلك الهدايات القرآنية: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتحقيق الشفاء التام للأمة على مستوى الفرد والجماعة؛ قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

والقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا يستطيع أحد أن يستوعب جميع معانيه وفوائده، فقد نهلت منه أمة الإسلام منذ أن أنزله الله على نبيه، ولا يزال المجال مفتوحاً لاستخراج الهدايات والفوائد من معينه الصافي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا عجب في ذلك؛ فهو المعجزة الخالدة التي تخاطب القلوب والعقول، وإعجازه باقٍ ما بقيت الدنيا.



قال الإمام الشافعي رحمه الله: «كل ما أنزل في كتابه - جل ثناؤه - رحمةٌ وحجةٌ، علمه من علمه، وجهله من جهله، لا يعلم من جهله، ولا يجهل من علمه. والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به. فحقَّ على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصًّا واستنباطًا، والرغبة إلى الله في العون عليه؛ فإنه لا يُدرك خير إلا بعونه. فإنَّ من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيب، ونورَّت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة. فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»^(١).

وهذا بحث تطبيقي في تدبر آية من القرآن، واستنباط ما تيسر من هداياتها، بعنوان: الهدايات المستنبطة من آية: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قُطًا غَلِظَ أَلْقَلْبُ لَأَنفَضُوهُ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أسباب اختيار الموضوع:

يعود اختيار هذا الموضوع للأسباب الآتية:

١ - لا يزال علم التفسير في حاجة إلى مزيد من الدراسات التي تبين جوانب الهدايات القرآنية في آياته؛ حيث إنها لم تجد العناية الكافية في كتب التفسير القديمة والحديثة؛ فقد كان جلُّ اهتمام المفسرين منصباً على بيان المعاني، أما الهدايات فلا يذكرونها إلا ضمناً، وهذا يتطلب إبراز هدايات الآيات في دراسات خاصة بها.

(١) الرسالة للشافعي (ص: ١٩، ٢٠).



٢- حاجة هذا العصر لربط واقعه بمعاني آيات القرآن وهداياته؛ حتى تعود الأمة لمجدها وعزها كما كانت عليه في عهد سلفها، حين كان القرآن هادياً لها، وشافياً لعللها وأمراضها.

٣- الحاجة الملحة إلى رؤية علمية مثالية، تقوم على أصح الطرق في فهم الآيات والاستنباط منها، تأخذ من كل منهج واتجاه في التفسير أفضله، ويتم من خلالها كتابة الهدايات القرآنية باستقصاء بقدر الإمكان؛ لتكون مورداً عذبا للمهتدين بهدي القرآن العظيم.

❁ مشكلة البحث:

كتب التفسير فيها ما يكفي لفهم معاني آيات القرآن العظيم، لكن مؤلفوها لا يتوسعون في استنباط الهدايات القرآنية من كل آية قرآنية وفق القواعد والضوابط والأصول السليمة، فلا يزال المجال مفتوحاً للباحثين لجمع الهدايات القرآنية من كتب التفسير، واستنباط هدايات جديدة مما لا يوجد في كتب التفسير، فالباحث حين يجمع الهدايات القرآنية من كتب التفسير قد يرجع إلى عدة تفاسير ولا يجد فيها هدايات جديدة، فإن أطال التأمل والتدبر للآيات فسيجد هدايات جديدة غير مذكورة في كتب التفسير، فقد سّر الله كتابه للتذكر، وأمر المسلمين بتدبر القرآن، فأيات القرآن ليست لقوم كانوا فبانوا، بل هو للناس جميعاً في كل زمان ومكان، وما من مشكلة خاصة وعامة وإلا وفي القرآن السبيل إلى حلها، فهو كتاب هداية، وتدبره لأجل استخراج هداياته أعظم ما يحتاج إليه المسلمون اليوم؛ لأن في القرآن هدايتهم في جميع أمورهم، وعزهم وقوتهم، وسعادتهم وفلاحهم.



❁ أسئلة البحث:

١- ما المعاني التي تضمنتها هذه الآية: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؟

٢- ما مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها؟

٣- ما الهدايات المستنبطة من هذه الآية الكريمة؟

٤- ما السبل التي يمكن تحقيقها من خلال الآية لإصلاح واقع الأمة؟

❁ أهداف البحث:

١- بيان معاني الآية الكريمة التي هي موضوع البحث.

٢- توضيح مناسبة هذه الآية لما قبلها وما بعدها.

٣- جمع الهدايات المستنبطة من هذه الآية الكريمة، مما في كتب التفسير، ومما يظهر للباحث.

٤- بيان السبل التي يمكن تحقيقها - من خلال هذه الآية - لإصلاح واقع الأمة.

❁ أهمية البحث:

يمكن إجمال أهمية البحث في هذا الموضوع فيما يأتي:

١- أن فيه جمعاً لما تفرق في التفاسير القديمة والحديثة في مجال الهدايات القرآنية، وضمّاً لشتاتها فيما يتعلق بآية قرآنية واحدة؛ للاستفادة القصوى من هداياتها.



٢- استنباط هدايات قرآنية جديدة من الآية الكريمة؛ مما يوضح عملياً أنَّ القرآن لا تنقضي عجائبه وفوائده، وصياغتها بصورة سهلة؛ ليستفيد منها المسلمون في عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وأخلاقهم، وفكرهم.

٣- أنَّ فيه تطبيقاً عملياً لقواعد اللغة والبلاغة والأصول؛ لإبراز الهدايات القرآنية.

٤- أنه يُعنى بجعل علم التفسير ملائماً لقضايا الواقع المعاصر، وإظهار الحلول المناسبة لمشاكل الناس وفق هدايات القرآن الحكيم.

٥- أنَّ في الاهتمام باستنباط هدايات القرآن الكريم تنبيهاً للناس إلى فحوى النص القرآني، وحثاً لطلاب العلم على تدبر القرآن، والتوسع في الاستنباط منه والاستدلال به، واستخراج هداياته وحكمه وأسراره.

❁ أهم الدراسات السابقة :

١- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، لمحمد بن علي الكرجي القصاب (ت ٣٦٠ هـ)، (ط ١)، الدمام، دار ابن القيم، الجزيرة، دار ابن عفان، ١٤٢٤ هـ، مطبوع في ٤ مجلدات. ذكر مؤلفه في مقدمته أنه يذكر فيه نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام؛ في أصول الدين وشرائعه، وتفصيله وجوامعه، من أي معنى لطيف في كل فن تدل عليه الآية من جليلها وغامضها. فهو كتاب عظيم في بيان الهدايات القرآنية، ومرجع مهم لمن يريد أن يعرف الهدايات القرآنية، ولكنه لم يتوسع في ذكر الهدايات القرآنية، فقد يكتفي في الآية بذكر هداية واحدة فقط، ثم إنه لم يستوعب جميع آيات القرآن الكريم؛ فمثلاً الآية التي هي موضوع هذا البحث لم يذكرها، لكن يُستفاد منه في طريقة الاستنباط من الآيات التي ذكرها.



٢- الإكليل في استنباط التنزيل، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، (ط. د)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠١ هـ، مطبوع في ٣٠٠ صفحة. ذكر مؤلفه أنه أورد في كتابه الاستنباطات التي يذكرها المؤلفون في كتب أحكام القرآن، وهذا الكتاب -مع صغر حجمه- يمتاز بذكر الاستنباطات الدقيقة من آيات القرآن بعبارة موجزة، في الأحكام الفقهية وغيرها، مما ينقله عن العلماء أو مما يظهر له، لكنه لم يستوعب جميع آيات القرآن، ولم يكثر من الاستنباطات؛ فالآية التي هي موضوع هذا البحث لم يذكر فيها سوى ثلاثة استنباطات فقط.

٣- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت ١٤٢٥ هـ)، (ط ٤)، دمشق، دار القلم، ١٤٣٠ هـ. ذكر المؤلف في هذا الكتاب أربعين قاعدةً لتدبر كتاب الله، وهي قواعد مهمة يستفيد منها الباحثون في استخراج هدايات القرآن الكريم.

٤- أيسر التفاسير، للشيخ أبي بكر الجزائري (ت ١٤٣٩ هـ)، (ط ٥)، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤ هـ، مطبوع في ٥ مجلدات. هذا الكتاب تفسير كامل للقرآن الكريم، ومن عادة مؤلفه أنه يضع عنواناً بعد تفسير الآيات يقول فيه: من هداية الآيات: ثم يذكر بعض الهدايات الظاهرة من الآية، فمؤلفه حريص على إبراز الهدايات القرآنية من كل آية، ولكنه لا يتوسع في ذكر الهدايات القرآنية، ويكتفي بذكر أهمها وأظهرها؛ فمثلاً في تفسير الآية التي هي موضوع هذا البحث لم يذكر سوى أربع هدايات فقط، أما البحث الذي بين أيدينا ففيه توسع في ذكر ما تدل عليه الآية من الهدايات بمنطوقها، ومفهومها، وسياقها، ومناسبتها مع الآيات التي قبلها وبعدها، وغير ذلك من طرق استنباط الهدايات القرآنية.



٥- الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، تأليف فريق بحثي، يضم: الأستاذ الدكتور طه عابدين، والدكتور ياسين قاري، والدكتور فخر الدين الزبير، (ط ١)، الدمام، مكتبة دار المتنبى، ١٤٣٨ هـ، مطبوع في مجلدين. ذكر المؤلفون أن المفسرين المتقدمين والمتأخرين اهتموا ببيان تفسير الآيات، ولم يهتم أكثرهم بما تدل عليه الآيات من الهدايات القرآنية، وذكروا أن الحاجة ماسة جداً في عصرنا لاستخراج الهدايات القرآنية، وتقريبها لعامة الناس، فقاموا بهذه الدراسة التأصيلية بقصد جمع شتات ما كتبه العلماء في إبراز معالم الهدايات القرآنية، فبينوا مفهوم الهدايات، وأهميتها، وخصائصها، وأنواعها، ومجالاتها، ومنهج السلف الصالح في التعامل معها، وفصلوا طرق العلماء في الوصول إليها، وشرحوا الأصول والقواعد والضوابط التي يقوم عليها علم الهدايات القرآنية. وهذه الدراسة تأصيلية وليست تطبيقية لآيات القرآن الكريم، وقد استفاد الباحث كثيراً من هذه الدراسة في تطبيق ما ذكر فيها من تأصيل على الآية التي هي موضوع بحثه.

٦- الهدايات القرآنية في سورة الفاتحة، للباحث عادل ضحوي، صادر عن كرسي الهدايات القرآنية في جامعة أم القرى بمكة، بدون معلومات نشر، ذكر المؤلف في هذا الكتاب ١٧ هداية جزئية من آيات سورة الفاتحة، ثم ذكر الهدايات الكلية في السورة، وختم البحث بذكر مناسبات السورة وخصائصها، وأساليبها في عرض هداياتها، وواقع الأمة في ضوء هدايات السورة، وقد استفاد الباحث كثيراً من هذه الدراسة التطبيقية في دراسة الآية التي هي موضوع بحثه.

🌸 الجديد الذي يقدمه هذا البحث:

١- هذا الموضوع دراسة نوعية في مجال التفسير، يتعلق بآية قرآنية



واحدة؛ لاستخراج أكبر قدر ممكن من هداياتها، والاستفادة مما كتبه المفسرون قديماً وحديثاً؛ بما يبين أهمية تدبر القرآن الكريم.

٢- في هذا البحث إضافات جديدة مما ظهر للباحث من هدايات واستنباطات، فقد بلغ عدد الهدايات المستنبطة من الآية التي هي موضوع البحث ٨٠ هداية؛ ٤٠ منها منقولة أو مستفادة من كتب التفسير، و ٤٠ منها مما ظهر للباحث.

٣- السعي لربط الواقع المعاصر بهدي القرآن الكريم؛ من أجل تقويم هذا الواقع، والسعي إلى إصلاح ما فيه من خلل بالقرآن الكريم.

❁ المنهج المتبع في البحث:

المنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي والتحليلي، من خلال دراسة الآية التي هي موضوع البحث، وقد اتَّبَعَ الباحث هذين المنهجين في بحثه لاستنباط أكبر قدر ممكن من الهدايات القرآنية.

إجراءات البحث:

اتَّبَعَ الباحث مجموعة من الخطوات الإجرائية، من أهمها:

- ١-** الرجوع إلى أكبر قدر ممكن من كتب التفسير القديمة والحديثة، ومحاولة الاستفادة منها في جمع وكتابة الهدايات القرآنية.
- ٢-** تجنب الأقوال الشاذة والأقوال المرجوحة في التفسير.
- ٣-** الالتزام بمنهج السلف الصالح، وأصول التفسير وقواعده في استنباط الهدايات القرآنية.
- ٤-** توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية.



٥- المعمول عليه في معرفة طبقات المصادر هو الفهرس الخاص آخر البحث.

✿ خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس، كما يأتي:

المقدمة.

المبحث الأول: المعاني التي تضمنتها الآية.

المبحث الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

المبحث الثالث: الهدايات الخاصة بالآية.

المبحث الرابع: سبل تحقيق هدايات الآية في واقع الأمة.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

أسأل الله أن ينفع بهذا البحث المتواضع، وأن يجعله خالصاً لوجهه، والله الموفق وحده.

.....



المبحث الأول

المعاني التي تضمنتها الآية

قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

□ معنى مفردات الآية :

قوله تعالى: ﴿رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ الرحمة: الرقة والعطف والرأفة^(١).

قال الكفوي رحمه الله: «الرحمة: هي حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبدأً للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان»^(٢).

والرحمة صفة ثابتة لله سبحانه، يجب الإيمان بها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل^(٣).

قوله: ﴿لَنْتَ لَهُمْ﴾ اللين: اللطف، وسهولة الانقياد، وحسن الأخلاق، ضد الخشونة والصعوبة^(٤).

قوله: ﴿فَظًّا﴾ الفظ: الغليظ الجانب، السيئ الخلق، القاسي، الخشن الكلام^(٥).

(١) يُنظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٩٨).

(٢) الكليات (ص: ٤٧١).

(٣) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣)، القواعد المثلى لابن عثيمين (ص: ٤٧)، صفات الله ﷻ لعلوي السقاف (ص: ١٧٤، ١٧٥).

(٤) يُنظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ٩٤٨)، تاج العروس للزبيدي (٣٦/ ١٣٥)، المعجم الوسيط (٢/ ٨٥٠).

(٥) يُنظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص: ٦٩٧).



قوله: ﴿غَلِظَ الْقَلْبُ﴾ غليظ القلب: هو القاسي القلب، الشديد الذي لا رقة في قلبه^(١).

والفرق بين «الفظ» وبين «غليظ القلب»: أن الفظ سيئ الخُلق، وغليظ القلب هو الذي لا يتأثر قلبه لقسوته، فقد لا يكون الإنسان سيئ الخُلق؛ لتركه إيذاء الناس، ولكنه قاسي القلب: لا يرق للناس ولا يرحمهم^(٢).

وقيل: «الفظاظة» الجفوة قولاً وفعلاً، و«غَلِظَ القلب»: أن يكون صلباً لا يلين ولا يتأثر، وتنشأ عن غلظ القلب الفظاظة، والفظاظة ظاهرة للحس، بخلاف غلظ القلب، فهو خافٍ، وإنما يُعلم بظهور أثره^(٣).

قوله: ﴿لَا نَفْصُوا﴾ الفص: الكسر، وأصله: التفريق والتجزئة، ومعنى انفصوا: أي تفرقوا^(٤).

قوله: ﴿فَاعَفُ عَنْهُمْ﴾ العفو: ترك معاقبة من استحق العقوبة^(٥).

قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أصل الغفر: السَّتر والتغطية، و«غفر الله ذنوبه»: أي سترها ولم يفضحه بها، ومعنى «استغفر لهم»: أي اطلب من الله أن يغفر لهم^(٦).

والفرق بين أمر الله نبيه بالعفو عن الصحابة والاستغفار لهم: أن المراد: اعف عنهم فيما يختص بحقك، واطلب من الله أن يغفر لهم ذنوبهم فيما يختص بحق الله^(٧).

(١) يُنظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٥ / ٤٧٧، ٤٧٩)، لسان العرب لابن منظور (٧ / ٤٤٩).

(٢) يُنظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١ / ٥٣٣)، التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٧)، البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٤٠٨).

(٣) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٧)، البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٤٠٨).

(٤) يُنظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤ / ٤٤٠) مختار الصحاح للرازي (ص: ٢٤٠).

(٥) يُنظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤ / ٥٦).

(٦) يُنظر: تهذيب اللغة للأزهري (٨ / ١١٢)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢ / ٢٠١).

(٧) يُنظر: الكشف للزمخشري (١ / ٤٣١).



قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ المشاورة: هي استخراج الرأي، يقال: «شاوره في الأمر» أي: اطلب رأيه فيه ^(١).

قوله: ﴿عَزَمْتُ﴾ أي: عقدت قلبك على فعل الأمر، وصححت رأيك على إمضائه، وأصل العزم: القطع وعدم التردد ^(٢).

قوله: ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ التوكل في اللغة: الاعتماد على الغير في أمرٍ ما، والمتوكل على الله: الذي علم أن الله كافل رزقه وأمره؛ فيركن إليه وحده، ولا يتوكل على غيره ^(٣).

والتوكل في الشرع: هو صدق اعتماد القلب على الله، في استجلاب المصالح ودفع المضار، الدنيوية والأخروية، مع إظهار العجز، والأخذ بالأسباب الشرعية ^(٤).

□ المعنى الإجمالي للآية:

يقول الله نبيه: فبسبب رحمة من الله عظيمة، كان خلقك -أيها النبي- سهلاً مع صحابتك، ولو كنت شديداً في تعاملك معهم، قاسي القلب لا ترحمهم لتفرقوا عنك؛ فتجاوز عنهم إن قصروا في حقك، واسأل الله لهم المغفرة، واطلب رأيهم في الأمور العامة التي تحتاج إلى مشورة، فإذا عقدت

(١) يُنظر: تفسير القرآن للسمعاني (١/ ٣٧٣)، تاج العروس لمرتضى الزبيدي (١٢/ ٢٥٧)، المعجم الوسيط (١/ ٤٩٩).

(٢) يُنظر: غريب القرآن للسجستاني (ص: ٣٣١)، مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٠٨)، البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٤٠٩، ٤١٠).

(٣) يُنظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٣٦)، المفردات للراغب الأصفهاني (ص ٨٨٢)، لسان العرب لابن منظور (١١/ ٧٣٤).

(٤) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٢٥٣)، جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٤٩٧)، القول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٨٧).



عزمك على أمرٍ من الأمور بعد مشاورة أصحابك، فامض فيه بلا تردد، وتوكل على الله باعتماد قلبك عليه، بعد أخذك بما يتيسر لك من الأسباب؛ إنَّ الله يحب المتوكلين عليه، المفوضين أمورهم إليه، فيعينهم ويوفّقهم، ويتولى أمورهم، ويكفيهم ما أهمهم ^(١).



(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤ / ٢٤٨ - ٢٥٣)، المختصر في تفسير القرآن الكريم لجماعة من علماء التفسير (ص: ٧١).



المبحث الثاني

مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها

لما وعظ الله الصحابة عما جرى منهم في غزوة أحد؛ من اعتراض من اعترض منهم على ما أشار به النبي -عليه الصلاة والسلام- من قتال الكفار في المدينة، وعدم الخروج لملاقاتهم خارجها، ثم مخالفة بعضهم لأمره في حفظ المركز، ثم خذلان بعض الجيش له، وكل ذلك من الأمور التي توجب للرؤساء وقادة الجنود اتهام أتباعهم، وسوء الظن بهم، والإيقاع ببعضهم ليكون ذلك زاجراً لهم عن العود إلى مثله؛ أتبع الله ذلك بتحبيب النبي ﷺ فيما فعل بهم من الرفق واللين، ورغبه في العفو عنهم والاستغفار لهم.

ولما بين سبحانه أن سبب لين النبي -عليه الصلاة والسلام- هو رحمة من الله به، بين ثمرة بيان ما في ضده من الضرر؛ فقال: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي: تفرقوا تفرقاً قبيحاً لا اجتماع معه، ففات المقصود من البعثة. وبعد أن أخبر الله سبحانه نبيه أنه قد عفا عنهم ما فرطوا في حقه، أمره بالعفو عنهم فيما يتعلق به -عليه الصلاة والسلام-، وأمره بالاستمرار في مشاورتهم عند النوائب؛ لئلا يكون خطؤهم في غزوة أحد موجِباً لترك مشاورتهم.

ولما أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- بالمشاورة التي هي النظر في الأسباب، أمر بالاعتصام بمسببها من غير التفات إليها؛ فقال سبحانه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

ولما كان التقدير: فإذا فعلوا ما يحبه أعطاهم منها مما عزموا عليه لأجله، استأنف الإخبار بما يُقبل بقلوبهم إليه، بأن من نصره الله فهو المنصور،



وَمَنْ خَذَلَهُ فَهُوَ الْمَخْذُولُ؛ فقال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(١).

وقال ابن عَجِيبة رَحِمَهُ اللهُ: «لَمَّا أَمَرَ نَبِيهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِالتَّوَكُّلِ، رَغِبَ فِيهِ جَمِيعُ عِبَادِهِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .. تَنْبِيَهُ عَلَى الْحَثِّ عَلَى التَّوَكُّلِ، وَتَحْرِیْضٍ عَلَى مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ النِّصْرَ؛ وَهُوَ الْاعْتِمَادُ عَلَى اللَّهِ، وَتَحْذِيرٌ مِمَّا يَسْتَوْجِبُ الْخِذْلَانَ؛ وَهُوَ مَخَالَفَةُ أَمْرِهِ وَعَصْيَانُ رَسُولِهِ، أَوْ الْاعْتِمَادُ عَلَى غَيْرِهِ»^(٢).

.....

(١) يُنْظَرُ: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٥)، نظم الدرر للبقاعي (٥ / ١٠٦ - ١٠٩).

(٢) البحر المديد (١ / ٤٢٨، ٤٢٩).



المبحث الثالث

الهدايات الخاصة بالآية

١- رحمة الله بنبيه وبالمؤمنين، فقد رحم الله نبيه بتوفيقه لحسن الخلق، وجعل ذلك سبباً لصلاح أصحابه^(١).

٢- رحمة الله بنبيه نعمة عظيمة من الله وحده^(٢).

٣- الترغيب في حسن الخلق، والرحمة بالخلق، والترهيب من ضد ذلك، فثمره اللين: المحبة والاجتماع، وضده يُسبب التفرق والاختلاف^(٣).

٤- وجوب استعمال اللين والرفق في الدعوة إلى الله^(٤).

٥- حسن خلق الرؤساء والمقدمين يُرغب الناس في الالتفاف حولهم وطاعتهم، والخلق السيئ ينفر الناس عن الخير، ويُغضهم لرئيسهم كائناً من كان^(٥).

٦- مما يعين الداعية على تبليغ الحق إلى الخلق: ميل قلوب الناس إليه^(٦).

٧- لا يوفق لحسن الخلق إلا الله وحده، فلا غنى لأحد عن التعرض

(١) يُنظر: جامع البيان للطبري (٦ / ١٨٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (١ / ٥٣٣)، تفسير الراغب الأصفهاني (٣ / ٩٥٠).

(٢) يُنظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٢ / ٤٥)، التفسير المظهر (٢ / ١٦١)، فتح القدير للشوكاني (١ / ٤٥١).

(٣) يُنظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٤٠٨)، نظم الدرر للبقاعي (٥ / ١٠٧).

(٤) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٢ / ٥١).

(٥) يُنظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢ / ٥١٥)، التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٢ / ٤٤٨)، تفسير المنار لرضا (٤ / ١٦٣)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ١٥٤).

(٦) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٧) غرائب القرآن للنيسابوري (٢ / ٢٩٢).



لرحمة الله العظيمة^(١). قلت: وفي الحديث: «واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»^(٢).

٨- أولو الفضل أولى من غيرهم بالعفو عن الناس وتحمل أذاهم^(٣).

٩- العفو عمن قصّر في حق العباد، والاستغفار لمن قصّر في حق الله^(٤).

١٠- جميع أفعال العباد بقضاء الله وقدره، فحسن خلق النبي ﷺ مع الخلق بسبب رحمة الله وتقديره^(٥).

١١- اللين والعفو عن الأتباع - مع كبر جنايتهم - أعظم في حسن الخلق^(٦).

١٢- يُستفاد من الجمع بين نهى الله نبيه في هذه الآية من الغلظة في تعامله مع المؤمنين، وأمره بالغلظة على الكافرين والمنافقين في قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّارُ جَهْدًا﴾ [التوبة: ٧٣] أن اللين إنما يُشرع إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله، وخلا من التساهل في أمر الدين^(٧).

١٣- يُستفاد من ذلك أيضًا: أن طرقي الإفراط والتفريط مذمومان، والفضيلة في الوسط، فورود الأمر بالتغليظ تارة وأخرى بالنهي عنه: إنما كان

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩/ ٤٠٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٢٤٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٧١)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩/ ٤٠٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٢٤٨).

(٤) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ١٥٤).

(٥) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩/ ٤٠٦، ٤٠٧).

(٦) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩/ ٤٠٦).

(٧) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩/ ٤٠٨) البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٤٠٨)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٤/ ١٤٤).



لأجل أن يتباعد المسلم عن الإفراط والتفريط^(١).

١٤- على المتبوع أن لا يُكثِر لوم أتباعه على أخطائهم؛ فكثرة اللوم والتعنيف تولّد اليأس، وتسبب تفرقهم من حوله هيبةً منه وحياءً^(٢).

١٥- الشّدّة في غير موضعها تُفرّق ولا تُجمّع، وتُضعّف ولا تُقوّي^(٣).

١٦- كمال حال العبد في تخلقه بصفات الله التي تناسب العباد، فالله هو العَفُوّ، وأمر نبيه بالعَفْو^(٤).

١٧- كمال رحمة الله بالصحابة؛ حيث عفا عنهم، وأوجب على رسوله أن يعفو عنهم في الحال^(٥).

١٨- الحث على المبادرة بالعفو بلا تأخير^(٦).

١٩- في الآية دلالة على أن الله يعفو عن أصحاب الكبائر، فالفرار من الزحف كبيرة، ومع ذلك عفا الله عن الصحابة الذين فرّوا يوم أُحُد^(٧).

٢٠- دلت الآية على أن الله يُشَفّع نبيه محمداً ﷺ في الدنيا في حق أصحاب الكبائر، فلأنّ يُشَفّع في حقهم يوم القيامة أولى^(٨). قلت: في هذه

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٨)، تفسير ابن عرفة (١ / ٤٣٦)، تيسير اللطيف المنان للسعدي (١ / ٣١٢).

(٢) يُنظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٤٠٨)، زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة (٣ / ١٤٧٤)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٢ / ٣١٦).

(٣) يُنظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٢ / ٣١٦).

(٤) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٨).

(٥) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٨).

(٦) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٨).

(٧) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٨).

(٨) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤٠٨).



الهداية والتي قبلها ردُّ على الخوارج والمعتزلة؛ لأنَّهم يحكِّمون على أصحاب الكبائر بالخلود في النار، وقد أخبر الله أنَّه عفا عن الصحابة فرارهم من القتال وهو كبيرة، وأمر نبيه أن يستغفر لهم.

٢١- التغاضي عن هفوات الكرام، فلكلِّ جوادٍ كَبُوةٌ^(١).

٢٢- دلت الآية على أن النبي ﷺ كان مأمورًا بالاجتهاد إذا لم ينزل عليه الوحي، فالاجتهاد يتقوَّى بالمناظرة والمباحثة؛ ولهذا كان -عليه الصلاة والسلام- مأمورًا بالمشاورة^(٢).

٢٣- الأمر بالشورى يدل على أن ما لا نص فيه من الحوادث فطريق معرفة حكمه: الاجتهاد وغالب الظن^(٣).

٢٤- إجماع الصحابة حجة؛ لأن الله أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه، فدل ذلك على أنهم مجتهدون، فإذا اجتمعوا على رأي فيجب اتباعهم وعدم مخالفتهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧]^(٤).

٢٥- الأمر بالتوكل بعد الأمر بالمشاورة يدل على وجوب الاعتماد على الله وحده، وألَّا يعتمد العبد على المشاورة، ولا على أحدٍ غير الله، فالأصلح للعبد لا يعلمه ويوفِّق إليه إلا الله وحده، لا العبد، ولا من يشاوره^(٥).

٢٦- يجب على العبد أن لا يغتر بنفسه؛ فقد أمر الله نبيه ﷺ -وهو خير

(١) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٤ / ١٤٧).

(٢) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤١٠).

(٣) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٢ / ٥٢).

(٤) يُنظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢ / ٥١٦)، أحكام القرآن للجصاص (٢ / ٥٢).

(٥) يُنظر: تفسير السمعاني (١ / ٣٧٣)، الكشاف للزمخشري (١ / ٤٣٢)، التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤١٠).



الخلق وأزكاهم - أن يتوكل عليه^(١). قلت: وفي الحديث: «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»^(٢).

٢٧ - من التوكل على الله: الأخذ بالأسباب الشرعية؛ فقد أمر الله نبيه ﷺ بالمشاورة - وهي سبب - مع أمره له بالتوكل، فليس التوكل بإهمال التدبير والإعراض عن الأسباب^(٣).

٢٨ - مَنْ عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ بَعْدَ الْمَشَاوَرَةِ فليَمْضِ فِيهِ مَتَوَكِّلاً عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَتَأَخَّرْ وَلَا يَتَرَدَّدْ وَلَا يَضْعُفْ، وَلَا يَشَاوِرْ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى، إِلَّا أَنْ يَجِدَ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ، وَلَا يُرْذَلُهُ عَنْهُ خَوْفٌ عَاقِبَةٌ^(٤).

٢٩ - الأخذ بأسباب النجاح لا يكفي للنجاح إلا بتوفيق الله؛ لأنَّ الموانع والعوائق كثيرة، فقد أمر الله بالتوكل عليه بعد المشاورة والعزم على الفعل، ومن الخطأ الاكتفاء بالأسباب بلا توكُّل على الله^(٥).

٣٠ - المشاورة عبادةٌ واجبةٌ؛ لأمر الله بها في الآية، وكل ما أمر الله به ففيه فوائد كثيرة، ومن فوائد المشاورة: معرفة خير الأمور وشرها، والتوفيق للصواب، وتطبيب نفوس الأتباع، والرفع من أقدارهم، والأمن من عتبتهم، وعدم استبداد ولي الأمر برأيه، والتواضع وحسن الخلق، وتعويد الأمة على

(١) يُنْظَرُ: التفسير الوسيط لطنطاوي (٢ / ٣١٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک، کتاب الدعاء، رقم (٢٠٠٠)، وصححه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٢٧).

(٣) يُنْظَرُ: التفسير الكبير للرازي (٩ / ٤١٠). تفسير ابن عرفة (١ / ٤٣٧).

(٤) يُنْظَرُ: الكشف للزمخشري (١ / ٤٣٢)، الرسالة التبوكية لابن القيم (ص: ٧٦)، نظم الدرر للبقاعي (٥ / ١٠٨)، تفسير المنار لمحمد رضا (٤ / ١٦٩)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٤ / ١٥١)، زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة (٣ / ١٤٧٩).

(٥) يُنْظَرُ: تفسير المنار (٤ / ١٦٨) تفسير الشعراوي (٣ / ١٨٤١).



النظر في شؤونها، وتنشيط الأمة في السعي لتحقيق مصالحها حين يعلم أهل الخبرة أن لهم حقاً في المشاورة^(١).

٣١- مراعاة العُرف فيما لا يخالف الشرع؛ فقد أمر الله نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه، على عادة العرب في المشاورة^(٢).

٣٢- عدم تعنيف المجتهدين إذا اختلفوا في الرأي؛ لأن الآراء تختلف عند المشاورة^(٣).

٣٣- أهمية التعاون على البر والتقوى، ومن ذلك: التشاور لمعرفة الأصلح في الأمور التي لا نصَّ فيها^(٤).

٣٤- في الآية بيان فضل الله على التائب من هذه الأمة، وأنَّ فضله أعظم من عمل العامل؛ فالصحابه لما أذنبوا في غزوة أُحُد عفا الله عنهم، وأمر رسوله بمشاورتهم، ولم يُنقص درجتهم بذنبهم^(٥).

٣٥- الإسلام شامل لأموال الدين والدنيا، وفيه كل ما يُصلح الناس في أمورهم السياسية وغيرها؛ فقد أمر الله ولي الأمر بالمشاورة في أمور السياسة والحرب، ونحو ذلك مما ليس فيه نص، ولا يُشاور في العقائد، ولا في التحليل والتحريم، فاجتهاد الفقهاء يستند للأدلة، لا للآراء^(٦).

(١) يُنظر: الكشاف للزمخشري (١/ ٤٣٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٥٣٤)، التفسير الكبير للرازي (٩/ ٤٠٩)، البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٤٠٨ - ٤١٠)، زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٢٦٨)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ١٥٤).

(٢) يُنظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٤٠٨).

(٣) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٥٣).

(٤) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩/ ٤٠٩).

(٥) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩/ ٤٠٩).

(٦) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٥٣)، الكشاف للزمخشري (١/ ٤٣٢) البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٤٠٩) تفسير المنار لمحمد رضا (٤/ ١٦٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤/ ١٤٩).



٣٦- بيان منزلة الصحابة عند الله، ورضاه عنهم، وعلوّ قدرهم عند الرسول ﷺ وعند المؤمنين؛ لأن الله أمر رسوله ﷺ بمشاورتهم كلّهم^(١).

٣٧- فضل الصحابة في التفافهم حول الرسول ﷺ، وعدم تفرقهم عنه^(٢).

٣٨- لا غنى لولي الأمر عن مشاورة أهل الخبرة في كلّ أمرٍ يُشكّل عليه، مما ليس فيه نصّ ولا إجماع^(٣).

٣٩- المتوكل على الله صادق الإيمان، صحيح الاعتقاد بعظمة الله، وشدة حاجته إليه^(٤).

٤٠- من أسباب نيل محبة الله: التوكل عليه^(٥).

♦ **وظهر لي بعض الهدايات في هذه الآية لم أجد من صرّح بذكرها من المفسرين، وهي ما يلي:**

١- تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم؛ ليقوموا بشكرها، فقد ذكّر الله المؤمنين برحمة الله لنبيه ﷺ وأصحابه، بجمع كلمتهم، وعدم تفرقهم، وأنّه أمر نبيه ﷺ بالعفو عنهم، والاستغفار لهم، ومشاورتهم.

٢- ينبغي للعالم والداعية أن يُبين للناس مصالح الواجبات، ومفاسد المحرمات؛ ليرغبهم في امتثال الأمر والنهي، فقد بين الله لنبيه ﷺ مصلحة لئنه مع أصحابه، ومفسدة الفظاظة والقسوة لو حصلت منه.

(١) يُنظر: أحكام القرآن للجدّاص (٢/ ٥٢)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٩١)، التفسير الكبير للرازي (٩/ ٤٠٩).

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٤/ ١٤٦).

(٣) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٣٨٦)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٣/ ٧٥).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٤/ ١٥٢).

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٤/ ١٥٢).



- ٣- التعليم بافتراض ما لم يحصل؛ لقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾.
- ٤- التنفير من المعصية التي لم تقع بتعديد مفسدها إن وقعت؛ لقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَافْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.
- ٥- التشجيع على الفضائل، بالثناء على أصحابها ليستمروا عليها؛ فقد أثنى الله على نبيه ﷺ بليته مع أصحابه.
- ٦- استثمار الخطأ في التعليم والنصح، فخطأ الصحابة في غزوة أُحُد صار درسًا للأمة، فعلم الله القادة العفو عن أخطاء الأتباع الصادقين، وعدم إقصائهم بسبب أخطائهم، ورغب في خلق اللين والرفق.
- ٧- جعل الله سننًا كونية لا تحابي أحدًا، فمن كان فظًا غليظ القلب على أصحابه فسيتركون عنه لا محالة، ولو كان خير الناس.
- ٨- أهمية سؤال العبد ربه الثبات على دينه، فلولا رحمة الله بالصحابة لانفضوا من حول النبي -عليه الصلاة والسلام-، فلا أحد يأمن البلاء والفتنة.
- ٩- الحرص على تكثير الأتباع على الحق، والحذر مما يُنفرهم ويفرقهم.
- ١٠- الدين مبني على جلب المصالح وتكميلها، ودفع المفسد وتقليلها، فمن أعظم المصالح: اجتماع الكلمة على الحق، ومن أعظم المفسد: التفرق والاختلاف.
- ١١- لا غنى لأحد عن النصح والتذكير بالخير، ولو كان أكمل الناس؛ فقد ذكّر الله نبيه ﷺ بهذه الآية الكريمة المتضمنة للمعاني العظيمة.
- ١٢- اغتنام الفرص لفعل الخير، كالموعظة والنصيحة؛ فحادثة انهزام المسلمين في غزوة أُحُد وما جرى من بعضهم من أخطاء كان مناسبا لأمر الله نبيه ﷺ بما تضمنته هذه الآية الكريمة.



١٣- لا يغفر الذنوب إلا الله، فلا يجوز أن يُسأل أيُّ مخلوق أن يغفر الذنوب، ولو كان الرسول ﷺ.

١٤- لا يجوز دعاء الرسول ﷺ مطلقاً من دون الله، فقد أمره الله بالاستغفار -وهو طلب المغفرة من الله-؛ فكيف يُدعى من هو مأمورٌ بالدعاء؟!
١٥- على المسلم أن لا يُكثر من عتابٍ مَنْ أخطأ في حقه؛ لأنَّ كثرة العتاب تُورث البغضاء.

١٦- مشروعية استغفار المسلمين بعضهم لبعض؛ بدليل أمر الله نبيه ﷺ بالاستغفار للمؤمنين.

١٧- الطريقة المثلى في تعامل كل مسؤول مع رعيته -حتى الزوج مع زوجته وأولاده- هي: العفو عن أخطائهم، والاستغفار لهم، ومشاورتهم فيما يهمهم.

١٨- إعطاء صاحب الحق حقه -ولو كان حقاً معنوياً- وإن لم يطلبه؛ فقد أمر الله نبيه أن يشاور ﷺ أصحابه وإن لم يسأله؛ فهو حقٌّ لهم.

١٩- عدم التوقف عن طلب الزيادة من العلم، فما يجهله الإنسان أكثر مما يعلمه؛ فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه؛ ليستفيد مما عندهم من علم وخبرة.

٢٠- المفضل قد يعلم ما لا يعلمه الفاضل؛ فقد أمر الله نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه وهم دونه في الفضل والعلم؛ فقد يخطر ببال بعض الأتباع من الرأي السديد ما لا يخطر ببال المتبوع الفاضل.

٢١- الصحابة أعلم الأمة؛ لملازمتهم النبي ﷺ، وأخذهم العلم عنه مباشرةً.



- ٢٢- مشروعية الاجتماع حول العلماء ومجالستهم لأخذ العلم عنهم.
- ٢٣- مشروعية جبر المصاب حسياً أو نفسياً؛ فقد أمر النبي ﷺ بمشاورة أصحابه بعد انضمامهم في أحد، ومعلوم أن نفسية المنهزم تكون منكسرة، ومن باب أولى جبر المصاب في بدنه أو ماله؛ فجبر الخواطر يطيب القلوب.
- ٢٤- الصحابة الكرام ليسوا معصومين؛ لا من الكبائر ولا من الصغائر، فقد يقع منهم الخطأ؛ ولذلك أمر الله نبيه ﷺ أن يستغفر لهم فرارهم من القتال، وهو من الكبائر.
- ٢٥- لا يجوز تقليد أحدٍ مطلقاً إلا الرسول المعصوم ﷺ؛ لأن غيره جائزٌ عليه الخطأ والذنب.
- ٢٦- يستفاد من الأمر بالاستغفار للمذنبين: التواضع لهم، وعدم التكبر عليهم.
- ٢٧- الاستغفار للمذنبين فيه عدم نسيان حقوق المسلمين وإن أساءوا.
- ٢٨- مَنْ كَثُرَ خَيْرُهُ وَعُلِمَ فَضْلُهُ، فهو أهلٌ للعفو عن سقطاته النادرة؛ ولذلك أمر الله نبيه ﷺ بالعفو عن أصحابه، والاستغفار لهم، فهم أفضل الأمة.
- ٢٩- الحث على المبادرة بالعمل الصالح - كالعفو - بلا تأخير؛ بدلالة الفاء في قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾، فهي للتعقيب.
- ٣٠- يُستفاد من الجمع بين هذه الآية وآية منع النبي ﷺ من الاستغفار للمنافقين: أن كل من استغفر لهم الرسول ﷺ من أصحابه فهم بريئون من النفاق، فقد أمر الله رسوله ﷺ أن يستغفر لجميع أصحابه حتى الذين فروا من القتال، وفي هذا ردٌّ على الرافضة الذين يرمون جميع الصحابة بالنفاق.
- ٣١- تمكين أهل الاختصاص والشأن من أفراد المجتمع من الإبداع والعطاء لنفع الأمة؛ فقد أمر الله نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه، فالمشاورة فرصة لإظهار التميز والإبداع.



٣٢- مشروعية مخالطة الناس، والصبر على أذاهم، وترك العزلة السلبية، اقتداءً بحال النبي -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه الذين لم يكونوا منعزلين عن أمور الخير التي تهتم الأمة.

٣٣- اختلاف الناس في التفكير والرأي، وتقدير المصالح والمفاسد، ففي المشاورة تتلاقح الأفكار المختلفة.

٣٤- المشاورة من أسباب التوفيق للعلم النافع، والحكم العادل، والفتاوى الصائبة؛ فليحرص عليه أهل العلم والمتصدرون للقضاء والفتوى.

٣٥- يُستفاد من الآية ومما عُلِمَ من السيرة النبوية أنّه -عليه الصلاة والسلام- كان يعمل بكتاب الله؛ فقد حُفِظَ عنه في مواطن كثيرة العفو عن أصحابه، والاستغفار لهم، ومشاورتهم.

٣٦- من عزم على أمر نافع فليتوكل على الله، ولا يلتفت إلى من يشبطه؛ لأمر الله بالتوكل عليه بعد العزم على فعل الخير.

٣٧- على المسلم ترك الوسوس والأوهام التي تثبطه عن فعل الخير، فيُقدِّم على فعل الخير الذي عزم عليه بعد الاستشارة متوكلاً على الله، غير مبالٍ بما يصيبه، فمن هاب خاب، ولكلِّ أجل كتاب.

٣٨- على المسلم أن يترك الكسل، وأن يحرص على جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره؛ يؤخذ هذا من الأمر بالعزم والتوكل.

٣٩- عِظْمُ قدر منزلة محبة الله لعبده؛ حيث رَغِبَ الله عباده في التوكل عليه ببيان أنّه يحب المتوكلين، فمحبة الله لعباده غاية تُطَلَّب.

٤٠- التوكل على الله في جميع أمور الدين والدنيا عبادة قلبية يؤجر عليها المسلم؛ بدليل أمر الله بالتوكل، وإخباره بمحبة المتوكلين.



المبحث الرابع

سبل تحقيق هدايات الآية في واقع الأمة

١- دعوة الناس إلى حسن الخُلق؛ فقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ لِيَتِمَّ مكارم الأخلاق، وجاء بالرحمة بالناس، والرِّفق بهم، والتيسير عليهم، وَمِنْ أعظم الأخلاق: اللين والرحمة، فدين الإسلام كله مبنيٌّ على الرحمة في أصوله وفروعه، وفي الأمر بأداء الحقوق لله وللخلق؛ فَإِنَّ الله لم يكلف نفساً إلا وُسْعها، وكل ما شرعه الله في المعاملات، والحقوق الزوجية، وحقوق الوالدين، والأقربين، والجيران، وغير ذلك - مبنيٌّ على الرحمة، ففي اقتداء المسلمين بنبيهم في حسن الخُلق والرحمة بالخلق خير عظيم.

٢- الحرص على العفو عن الناس، والدعاء لهم، والاستغفار لهم، وهذا مما يدعو إلى انتشار السلام والمحبة بين المسلمين، ومن أصول الدين ومقاصده: الدعوة إلى كل ما يؤلَّف بين الناس، فالعفو عن الناس والدعاء لهم من أسباب هداية الخلق وصلاح ما بينهم، فيتعاونون حينئذ على البر والتقوى بما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

٣- تحقيق مبدأ الشورى في أمور المسلمين العامة والخاصة؛ فالمشاورة سبب عظيم للتوفيق للصواب، سواء للأفراد في أمورهم الخاصة والأسرية، وللمجتمع في أمورهم العامة والسياسية، وإنَّ كثيراً من مشاكل المسلمين العامة إنما هي بسبب استبداد بعض الولاة بأمور المسلمين العامة، وعدم مشاورة رعيّتهم فيما يهمهم.



٤- ترغيب الناس في التوكل على الله، وترك التهاون والكسل؛ فالتوكل عبادة عظيمة يجب على الأمة القيام بها، منفردين في أمورهم الخاصة، ومجتمعين في أمورهم العامة، لجلب المنافع ودفع المضار، الدينية والدنيوية.

٥- تعليم الناس أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، حتى يعرفوا قدر الله، وتمتلى قلوبهم بعظمته، ويعلموا أنه أهلٌ لأن يتوكل عليه وحده دون غيره من الخلق، فيحرصوا على تحقيق الإيمان والتوحيد، والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة التي ترضيه.

٦- تعريف الناس بسيرة النبي -عليه الصلاة والسلام-، فهي سيرة مشرقة تدل أعظم دلالة على صدق نبوته، فيحرصوا على الاقتداء به واتباع سنته.

٧- تعريف الناس بمحاسن شريعة الإسلام، وأنها جاءت بكل خير للمسلمين في جميع الأمور الدينية والدنيوية، العامة والخاصة، فيحرصوا على تعلمها والعمل بها وتحكيمها.

٨- تعريف المسلمين بعظمة القرآن وفضله، وأنه يهدي الأمة للتي هي أقوم في جميع أمورها، وأن فيه عز الأمة وقوتها وصلاحها في دينها ودنياها، فيحرصوا على تعلمه وتدبره، والعمل به.

.....



الخاتمة

♦ وبعد أن يسّر الله - بعونه وفضله - إتمام هذا البحث، الذي يَبْنُتُ فيه معنى قوله سبحانه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وذكرت مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها، وسردت بعض هدايات الآية الكريمة من كتب التفسير، ومما ظهر لي؛ أذكر في الخاتمة أهم النتائج والتوصيات:

❁ أهم نتائج البحث:

١- القرآن لا تنقضي عجائبه وهداياته، ومجال استنباط الهدايات القرآنية مجال رحب واسع، ومن أطال دراسة آية من القرآن، وكرّر تدبرها، وأكثر من تأملها، فسيفتح الله له من هداياتها ما لا يجده في كتب التفاسير، فقد يسر الله كتابه لمن تدبره وأقبل عليه.

٢- أهمية حسن الخلق وفضله، ومن أعظم الأخلاق التي على المسلم أن يتصف بها: اللين والرحمة والعفو، لا سيما إن كان من العلماء والدعاة وطلاب العلم والأكابر.

٣- الحث على الدعاء والاستغفار للمسلمين.

٤- تحقيق مبدأ الشورى في أمور المسلمين العامة والخاصة.

٥- الحث على التوكل على الله، فالتوكل عبادة عظيمة يجب على الأمة القيام بها، منفردين في أمورهم الخاصة، ومجتمعين في أمورهم العامة؛ لجلب المنافع، ودفع المضار: الدينية والدنيوية.



٦- أهمية العلم بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلى؛ حتى يعرف الناس عظمة الله وقدره، فيحرصوا على تحقيق الإيمان، والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة.

٧- فضل القرآن وعظمته، فهو يهدي الأمة في كل زمان ومكان للتي هي أقوم، وفيه عز الأمة وقوتها وصلاحها في دينها ودنياها، فيجب الحرص على تعلمه وتدبره، والعمل به والتحاكم إليه.

٨- سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام- تدل أعظم دلالة على صدق نبوته، فينبغي الحرص على تعلمها وتعليمها، من أجل الاقتداء به، واتباع سنته.

٩- الشريعة الإسلامية جاءت بمحاسن الأخلاق والآداب، وجاءت بكل خير للمسلمين في جميع أمورهم الدينية والدنيوية، العامة والخاصة، وكل الخير الدنيوي والأخروي في تعلمها والعمل بها وتحكيمها.

🌟 التوصيات:

أوصي نفسي ومن يقرأ كلامي من العلماء وطلاب العلم والدعاة أن يعتنوا بعلم التفسير، وتدبر القرآن أعظم الاعتناء؛ دراسةً وتدریسًا، ووعظًا وخطابةً، وأن يحثوا الناس على تعلم التفسير، وتدبر القرآن الكريم؛ فكثير من العلماء والطلاب يعتنون بعلوم شرعية أخرى أكثر من اعتنائهم بكتاب الله، وهذا خلاف ما كان عليه السلف الصالح؛ فقد كان أكثر علمهم وأكبر همهم: فهم كتاب الله وتدبره، مع تعلم السنة النبوية، والتفقه في دين الله.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من أراد العلم فليثور القرآن؛ فإن فيه علم



الأولين والآخرين»^(١). ومعنى تثوير القرآن: أي كثرة تدبره، والتفكر في معانيه، وتكرار التأمل فيه للاهتمام بهداياته^(٢).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «ينبغي للطالب أن يطوّل الباع في علم التفسير، ويطالع مطولات التفاسير؛ فإنَّ المعاني المأخوذة من كتاب الله سبحانه كثيرة العدد، يستخرج منها كل عالم بحسب استعداده، وقدر ملكته في العلوم»^(٣).
وخير ما يُذكر به الناس، وخير ما يوعظون به، في خطب الجمعة وغيرها: كتاب الله، كما قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

والمسلمون اليوم في أمس الحاجة إلى من يبين لهم معاني القرآن والسنة؛ فقد كثر الجهل بالقرآن والسنة، وقَلَّ العلم الشرعي، وتنوعت الفتن، وكثرت المحن، ولا عزة للمسلمين إلا باعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ علمًا وعملاً.

﴿فَمِنْ أَهَمِّ الْمَهْمَاتِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى عَقَلَاءِ الْأُمَّةِ أَنْ يَعْتَنُوا بِهَا، وَأَنْ تَتَضَافَرَ جُهُودُهُمْ عَلَى إِقَامَتِهَا: تعليم الناس القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فهما الهدى والنور، وهما أصل العلم النافع، وفيهما بيان كل ما نحتاج إليه، والعلم بهما أعظم سبب لصلاح القلوب والأقوال والأعمال، وفي التمسك بهما كل خير في الدنيا والآخرة، وفيهما بيان الحق من الباطل، وتفصيل أسباب الخير والشر، وفيهما السبيل لمعالجة واقع المسلمين الأليم؛ ففي نشر علم

(١) رواه أحمد بن حنبل في كتاب الزهد (٨٥٦) والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٠٨).

(٢) يُنظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ١١٠)، تاج العروس للزبيدي (١٠/ ٣٤٣).

(٣) أدب الطلب (ص: ١٤٨) باختصار وتصرف يسير.



القرآن الكريم والسنة النبوية بين عامة المسلمين أعظم الخيرات والبركات، والمصالح الدينية والدنيوية، للأفراد والمجتمعات.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام»^(١).

(انتهى البحث،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

.....

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٧٠).

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أحكام القرآن، الجصاص، أحمد بن علي أبي بكر الرازي، تحقيق: عبد السلام شاهين، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.
٣. أحكام القرآن، ابن العربي، محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي، تحقيق: محمد عطا، ط ٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ.
٤. أدب الطلب، الشوكاني، محمد بن علي، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، ط ١، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٩ هـ.
٥. اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط ٧، بيروت، دار عالم الكتب، ١٤١٩ هـ.
٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، تحقيق: محمد المرعشلي، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ.
٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ (د. ط.).
٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، أحمد بن محمد الفاسي، تحقيق: أحمد رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس، القاهرة، ١٤١٩ هـ (د. ط.).
٩. بدائع الفوائد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتاب العربي (د. ط.) (د. ت.).



١٠. تاج العروس، الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية (د. ط) (د. ت).

١١. تأويلات أهل السنة، الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد، تحقيق: مجدي باسلوم، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ.

١٢. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م (د. ط).

١٣. تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، محمد بن محمد الوردغمي، تحقيق: جلال الأسيوطي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨ م.

١٤. تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد بسيوني، ط ١، مصر، جامعة طنطا، ١٤٢٠ هـ.

١٥. تفسير السمعاني، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط ١، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨ هـ.

١٦. تفسير المنار، رضا، محمد رشيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م (د. ط).

١٧. التفسير المظهري، محمد ثناء الله الهندي، تحقيق: غلام نبي التونسي، باكستان، مكتبة الرشدية، ١٤١٢ هـ (د. ط).

١٨. تهذيب اللغة، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، تحقيق: محمد مرعب، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١ م.

١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله التركي، ط ١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢ هـ.



٢٠. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ط٧، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٢٢ هـ.

٢١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ.

٢٢. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي)، الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد، بيروت، دار صادر (د. ط) (د. ت).

٢٣. الرسالة، الشافعي، محمد بن إدريس، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مصر، مكتبة الحلبي، ١٣٥٨ هـ.

٢٤. الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه)، ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد جميل غازي، جدة، مكتبة المدني (د. ط) (د. ت).

٢٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط٢٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٦. الزهد، أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ.

٢٧. زهرة التفاسير، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، دار الفكر العربي (د. ط) (د. ت).

٢٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين، ط١، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ.



٢٩. شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: عبد العلي عبد

الحميد حامد، ط ١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣ هـ.

٣٠. صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، السَّقَاف، علوي بن عبد القادر،

ط ٣، السعودية، دار الهجرة، ١٤٢٦ هـ.

٣١. غريب القرآن، السجستاني، محمد بن عزيز العُزيري، تحقيق: محمد

أديب، ط ١، سوريا، دار قتيبة، ١٤١٦ هـ.

٣٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني،

محمد بن علي، ط ١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ.

٣٣. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب،

ط ٨، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ.

٣٤. القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ط ١،

الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣٥. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی، ابن عثيمين، محمد بن

صالح، ط ٣، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤٢١ هـ.

٣٦. القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين، محمد بن صالح، ط ٢،

السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤ هـ.

٣٧. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، جار الله محمود بن

عمرو، ط ٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.

٣٨. الكليات، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الحنفي، تحقيق:

عدنان درويش ومحمد المصري، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ.



٣٩. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي، ط ٣،

بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ.

٤٠. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني،

تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف، ١٤١٦ هـ (د. ط).

٤١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب،

تحقيق: عبد السلام محمد، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ.

٤٢. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي، تحقيق:

عبد الحميد هنداوي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ.

٤٣. مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر الحنفي، تحقيق: يوسف

الشيخ، ط ٥، بيروت - صيدا، المكتبة العصرية، ١٤٢٠ هـ.

٤٤. المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ط ٣،

الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٦ هـ.

٤٥. المستدرک على الصحيحين، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله

النيسابوري، تحقيق: مصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية (د. ط)

(د. ت).

٤٦. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ

(صحيح مسلم)، مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري

النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث

العربي (د. ط) (د. ت)



٤٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة (د. ط) (د. ت).
٤٨. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.
٤٩. المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي، ط ١، دمشق، دار القلم، ١٤١٢ هـ.
٥٠. مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م (د. ط).
٥١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر البقاعي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي (د. ط) (د. ت).





فهرس الموضوعات

٩٥	مستخلص البحث
٩٧	المقدمة
١٠٦	المبحث الأول: المعاني التي تضمنتها الآية
١١٠	المبحث الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها
١١٢	المبحث الثالث: الهدايات الخاصة بالآية
١٢٣	المبحث الرابع: سبل تحقيق هدايات الآية في واقع الأمة
١٢٥	الخاتمة
١٢٩	المصادر والمراجع
١٣٥	فهرس الموضوعات





البحث الثالث

بَلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بـ "اللِّسَانِ" فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

د . مُحَمَّدٌ حَاتِمٌ أَبُو سَمْعَانَ

أستاذ البلاغة العربية المساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأقصى - غزة - فلسطين.

✿ حصل على درجة الماجستير من كلية الآداب - الجامعة الإسلامية بغزة فلسطين بأطروحته: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في القرآن الكريم.

✿ حصل على درجة الدكتوراه من كلية الآداب - جامعة عين شمس بمصر بأطروحته: النظم في سورة الإسراء دراسة أسلوبية بلاغية.

أهم النتائج العلمية:

- ✿ القطار الداني في علم المعاني.
- ✿ الجامع في علوم البلاغة.
- ✿ الكافي في علوم اللغة العربية.
- ✿ مهارات الكتابة والإملاء.
- ✿ إثبات المكية بالدراسة الأسلوبية في سورة الإسراء
- ✿ بلاغة التركيب لآيات ظلم النفس في القرآن الكريم
- ✿ التوجيه البلاغي للقراءات في سورة الصافات

✿ البريد الإلكتروني: msmaan2010@hotmail.com



مستخلص البحث

يتناول هذا البحث دراسة بلاغة التعبير بجارحة «اللسان» في آيات القرآن الكريم حول المعاني التي طُرقت فيها؛ حيثُ قام بتتبع جميع المواضع التي ورد فيها؛ محاولاً الكشف عن الدلالات الدَّقيقة، والمعاني العميقة التي وُظِّفَ للتَّعبير عنها، ومدى إثرائه لتلك المعاني والإضافات البليغة إليها، من خلال التحليل العميق للصَّيغ القرآنية التي ورد فيها. وقد تَكشَّفَ بالاستقراء والتحليل أنَّ اللسان قد جاء في القرآن الكريم مُضَمَّنًا في صيغٍ تركيبية فريدة ضمن سياقات معنوية عامَّة مهمة، هي: العُقْدة والانطلاق، والصِّدْق، والكذب، والشهادة، واللُّغة، والسوء بشكل عام.

كلمات مفتاحية: بلاغة - التعبير - اللسان - القرآن.



خطة البحث

❁ أولاً : مقدمة :

الحمد لله على ما أنعم، وعلى كل ما تفضل به سبحانه وأسبغ وأكرم، وصلاةً وسلاماً على نبيه البليغ الأكرم، ومصطفاه النجيب الأعصم، وعلى آله وصحبه أُولي الأيدي والعِلْمِ الْمُحْكَمِ.

وَبَعْدُ :

فلا يزال القرآن العظيم يُشَدُّ الباحثين بلطيف مفرداته، وبلغ صيغته وآياته، نحوَ الدرس والتنقيب؛ لاستدراجه جواهر المعاني والدلالات، واستخلاص أبلغ الحكم والاعتبارات، وهو - لعمر الله - لا يَخْلُقُ على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه ولا أسرارُه بكثرة دراساته، من هنا كانت هذه الدراسة حول التعبير بمفردة «اللسان» في القرآن الكريم واستعمالاتها المعنوية فيه، وما يُضيفه لها من فائق المعاني وطريف الدلالات.

❁ ثانياً : موضوع البحث :

يتناول هذا البحث دراسة بلاغة مفردة من مفردات القرآن الكريم هي مفردة «اللسان»، وبلاغة مواقعها من النظم الشريف، وبلاغة دلالاتها في تلك المواقع جميعها. وجاء تحت عنوان: «بلاغة التعبير باللسان في القرآن الكريم».

❁ ثالثاً : أسباب اختيار الموضوع :

جاء هذا البحث في هذا الموضوع؛ لجملة من الأسباب، منها:

لـ الوقوف على الأسرار الدلالية لمفردة اللسان في القرآن الكريم.

لـ بيان بلاغة التراكيب التي وردت فيها هذه المفردة، وما أضفته عليها

من معانٍ.



لغة تجلية وجوه تميّز التعبير باللسان في القرآن الكريم عن غيره من الجوارح.

لغة إظهار جزء من وجوه الإعجاز البياني لبلاغة القرآن الكريم من خلال نظم إحدى مفرداته.

❁ رابعاً : منهج البحث :

استدعى هذا البحث - من الباحث - أن يسلك فيه المنهج الوصفي التحليلي لمعاني اللسان ودلالاته البلاغية الناشئة من تراكيبه المُحكّمة، وصياغة مفرداته في تلك التراكيب صياغة بارعة، بعد الاستقراء الدقيق لجميع مواضعه في القرآن الكريم.

❁ خامساً : دراسات سابقة :

لغة العين في القرآن الكريم - دراسة بلاغية، للدكتور: كمال عبد العزيز إبراهيم.

لغة بلاغة التعبير بالوجه في القرآن الكريم، للدكتور: كمال عبد العزيز إبراهيم.

❁ سادساً : خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث ومادّته وغرضه أن يُقسم إلى مقدمة وتمهيد وستة مباحث، كالآتي:

المقدمة: وتضمنت موضوع البحث، وأسباب اختياره، ومنهجه، وخطّته، وبعض الدراسات السابقة في المجال ذاته.

التمهيد: جاء حول فوائد اللسان الجمّة، وأخطاره الجسيمة بشكل عام، ثمّ تحدث حول ورود مفردة اللسان في القرآن الكريم وتعدادها فيه.



المبحث الأول: عُقْدَةُ اللِّسَانِ وَانْطِلَاقُهُ.

المبحث الثاني: اللِّسَانُ وَالشَّهَادَةُ.

المبحث الثالث: اللِّسَانُ وَوَصْفُهُ بِالْصِّدْقِ.

المبحث الرابع: اللِّسَانُ وَوَصْفُهُ بِالْكَذْبِ.

المبحث الخامس: اللِّسَانُ لُغَةٌ لِلْقَوْمِ.

المبحث السادس: اللِّسَانُ مَعَ سِيَاقِ السُّوءِ عَمُومًا.

الخاتمة:

ثُمَّ انْتَهَى الْبَحْثُ إِلَى نَتَائِجِهِ التَّفْصِيلِيَّةِ فِي الْخَاتِمَةِ، كَمَا ذُيِّلَ بِقَائِمَةِ مَصَادِرِهِ وَمَرَاجِعِهِ. وَاللَّهُ الْمَوْفَّقُ وَالْهَادِي إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ.

.....

تمهيد

♦ أولاً: أهمية اللسان في التراث العربي:

يُعَدُّ اللسان من أهم أعضاء النطق في الإنسان؛ فهو الواصف لحاله وهيئته، والمُبَيِّن عن سرِّه وجوهره، والمُفَصِّح عن معدنه ومنهجه، ولا يخفى على ذي لب أهمية اللسان في شتى مجالات الحياة الإنسانية؛ فَحُسْنُهُ عَظِيمٌ، وخطره جسيم، والممدوح به مرفوع، والمذموم به مخفوض، ولا أدل على عَظَمِ حُسْنِهِ من قول سيدنا عليٍّ رضي الله عنه: «المرء مخبوء تحت لسانه، فإذا تكلم ظهر»^(١)؛ فهو وسيلة إظهار مخبر المرء الذي بدونه يكون في عداد الخفاء المستور، بل إنَّه -لعظيم أهميته- كان من أجزاء الجسد المذكورة التي لا يُمكن أن تُغفل في أمر من الأمور حتى عدَّ شطر الإنسان -لو قسم لشطرين- يقول زهير:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ فؤاده فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم^(٢)

بل إنَّه -لعمري- خير الشَّطرين، وأعظم النِّصفين؛ إذ إنَّ الجَنَانَ -بكلِّ ما أوتيَ من ذكاء وعقل، وبجميع ما وُهبَ من حِصافة وفكر- لا يُظْهَر ولا يُبَيَّن إلا بلسان لافظٍ فصيح لا يَعَجَل ولا يَلْحَن، ومن هنا قيل: «لسان المرء من خَدَمِ الفؤاد»^(٣)، جاعلين اللسان الخادم الأول للفؤاد من بين سائر الأجزاء، والجندي الأوحَد في الإفصاح عمَّا يختجله ويعتمَل فيه.

(١) هذه الحكمة للإمام عليٍّ، وهي في مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (٤٢/٢٢)، و تفسير الثعالبي (٥٣٣/١).

(٢) ديوان زهير بن أبي سُلمى (ص ٧١).

(٣) مجمع الأمثال، الميداني (٢٥٧/٢).



كذلك فإنَّ العرب - على علوِّ كعبها في دقَّة التسمية - لم تختَر اسمًا لشاعرها المُبَرِّز أو خطيبها المصقع المنافع عنها أمام القبائل، وإذاعتها الناطقة باسمها بين العرب غير مسمى «اللسان»، لسان القبيلة وشاعرها، حتى قيل: إنَّ جريراً المُضريَّ لسانُ مُضَر وشاعرها، ثم إنَّ تلك اللسانيَّة لشاعر مُضَر قد شفعت له من سطوة الحجاج وبأسِه لَمَّا أن أراد أن يَطيَّشَ به، فمشت إليه مُضَرُّ مُستشفِّعاً بشاعريَّته فقالوا: أصلح الله الأمير! لسانُ مُضَر وشاعرها، هَبْه لنا، فوهبه لهم^(١).

كما كانت تلك اللسانيَّة شافعةً للقوم بأسرهم حينَ مثلهم غلامٌ لم يبلغ الحُلُم أمام عُمر بن عبد العزيز عند دخولهم عليه يشكون حالهم؛ فكان أن سمعَ منهم وأجزَلَ عطاءهم وأكرمَ نزلهم وأدنى مجلسهم^(٢).

كذلك أطلقوا على أشعارهم المجيدة وقصائدهم الخالدة الاسمَ ذاته، فقالوا: «الشَّعر لسان الدَّهر»، فإذا كان الشَّعر ديوان العرب؛ فإنَّه لسانهم الذي خَلَدَ ذِكْرهم ومآثرهم وأخبارهم وأمثالهم مُمتدًّا على سَمع الزمان وبصره، فقد رُوِيَ عن بعض حكماء العرب: «الشَّعر قَيْدُ الأَخبار، وَبَرِيدُ الأمثال، والشعراء أمراء الكلام، وزُعماء الفَخار، ولكلُّ شيء لسان، ولسانُ الدَّهر هو الشَّعر»^(٣).

أمَّا عن جسيم خَطَرِه وعَظِيمِ بأسِه، فيُطالعنا به سيِّد المتكلِّمين وأفصح الناطقين ﷺ عندما سُئِلَ عن أكثر ما يُدخل الناس النار، فقال: «**الفم والفرج**»^(٤).

(١) انظر المرجع السابق (١/ ١٤١).

(٢) انظر محاضرات الأدباء، الأصفهاني (١/ ٦٢٥).

(٣) الأمثال، الميداني (١/ ٣٥٤).

(٤) سنن الترمذي، باب ما جاء في حسن الخلق (٤/ ٣٦٣)، حديث رقم ٢٠٠٤.



وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليس شيء من الجسد، إلا وهو يشكو ذَرْبَ اللسان»^(١)، أي: حَدَّتْهُ. وهي حِدَّةٌ جسيمةٌ طائلةٌ تُورِدُ سائر الأعضاء المَواردَ الوخيمةَ والعَوَاقِبَ المُهْلِكَةَ؛ فلا غَرَابَةَ من استعاذتِها من حَدَّتِهِ، ولا غَرَوَ بعدها أيضًا من حَذَرِ السادة الصالحين - كأبي بكر الصديق - وخوفهم من مهالكه بقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ ذَا أوردني الموارد»^(٢).

بل لقد وُصِفَ بأخطر الأوصاف؛ كالسَّيفِ، والحاصدِ، وسافِكِ الدمِ، ودهاء الحية، والحديدِ، وأغلبها كما نرى مُرادفاتٍ للسَّيفِ أو لأعماله من حصد الرؤوس وإزهاق الأنفس وسفك الدِّماء، وذلك ما أجمله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: «لسان المرء سيفٌ يخطرُ في جوانحه»^(٣). وكتشبيهم وَقَعَهُ بحدِّ الرمح والسَّنان؛ كقول شاعر البراجم:

وَوَقَعَ لِسَانٍ كَحَدِّ السَّانِ وَرَمَحًا طَوِيلَ الْقَنَاءِ عَسَولاً^(٤)

وتستمرُّ صولتُه الحديديَّةُ لدرجة أنهم طلبوا الجوار من بأس سيفه وشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ. فهذا الحارث بن عوف بن أبي حارثة يستجير بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من لسان حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعد أن عَكَرَ عليه صَفْوَ عَيْشِهِ، وَمَزَّجَهَا بِمَزَاجِ الهجاء والشَّيْنِ؛ إذ لو مُزِجَ بلسانه البحر لا متزج^(٥)، ولسان شاعر رسول الله أشهر من أن يُذكر في صرم نار الهجاء القُرْشِيَّةَ للنبي وللدعوة الإسلامية بأسرها.

من هنا رأينا أَنَّ الجِلَّةَ السابقة من العلماء والأمرء والحُكَمَاءِ قد حضوا على المبالغة في حفظه والحث على التحذير من الإفراط فيه.

(١) مسند أبي يعلى، مسند أبي بكر الصديق، (١٧/١)، حديث رقم ٥.

(٢) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي (١٩٧/٥).

(٣) البصائر والذخائر، أبو حيان (١٨٧/٩).

(٤) وهو: عبد القيس بن خُفاف البُرْجمي، شرح ديوان الحماسة، التبريزي (٣١١/١).

(٥) انظر: المرجع السابق (٣٦/٤).



♦ ثانياً: اللسان في القرآن الكريم:

أما التعبير باللسان في القرآن الكريم فجاء مُؤَشِّرٌ بأبهى الحُلل، ومُرَصَّعاً بأفخر جواهر النظم؛ ذلك لأنه جاء مُضَمَّنًا في أعلى كعوب الأساليب البلاغية فصاحةً وسبكاً، وأبلغها إحكاماً ونظماً؛ فاكْتَسَى دَلَالَاتٍ لطيفات، ولطائف فريادات، وفي ذلك حِكْمٌ من ربِّنا بالغات.

وبعد الاستقراء الدقيق لهذه المفردة وطُرُق التعبير بها عن المعاني التي وردت فيها في السياق القرآني بأجمعه تبين أنها قد وردت فيه خمساً وعشرين مرةً في ثماني عشر سورةٍ منه^(١)، وقد توزَّعت هذه المفردة بين الأفراد والجمع؛ فجاءت مفردةً من غير إضافة «لسان» عشرة مرات (١٠) اثنتين منها في سورة النحل، بينما وردت مفردةً مضافةً إلى ضمير الخطاب «لسانك» ثلاث مرات (٣)، ومضافةً إلى ياء المتكلم «لساني» مرتين فقط (٢)، بينما وردت مجموعةً عشر مراتٍ أُخَرَ (١٠)، مرةً دون إضافة «السنة»، وثلاثاً أُضيفت فيها إلى المخاطب «الستكم»، وستاً أُضيفت فيها لضمير الغيبة «الستهم».

وأما السياقات المعنوية القرآنية التي جاءت فيها مفردة «اللسان» فكانت

على ضربين:

♦ **أولهما:** سياقات معنوية عامّة، وهي ست سياقات؛ كالعقده والانطلاق، والصدق، والكذب، واللغة، والشهادة، والسوء عموماً.

♦ **ثانيهما:** سياقاتٌ معنوية خاصةٌ بكلِّ موضع تعبيريّ على حدة، وقد وجدنا من خلال هذه السياقات الدقيقة أن دخول لفظ «اللسان» في المعنى يصل به إلى درجة سامقة من الفصاحة الدلالية التامة، وإلى قمة شماء من البلاغة

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي (ص ٧٤٦).



المعنوية العالية؛ فرأيناه يُدْخِلُ المعنى في السرعة الخاطفة عند الغمز واللّمز،
وَيَدْخُلُهُ في مجال الصدق فيجعل الكتب السماوية مُصدّقة لبعضها مُنتظمة في
بناءٍ يَشْدُ بعضُهُ بعضًا، وَيَدْخُلُهُ في النطق والكلام فيجْريه عذبًا سلسيلاً، أو يَعْقِدُ
عليه عَقْدَهُ فيُحيله أعجم لا يكادُ يُبين، وَيَدْخُلُ موطنَ الشهادة على الخصوم
فيثبتها عليهم إثباتًا لا يجدون منه مهربًا ولا مَحِيصًا، إلى غير ذلك مما خُلص
إليه البحث من لطائف وأسرار، وشَمِلَهُ بالتَّحليل والتَّعليل والاعتبار.



المبحث الأول

عُقْدَةُ اللِّسَانِ وَانْطِلَاقُهُ

لَمَّا كَانَ الْجَمَالُ فَصَاحَةَ اللِّسَانِ، كَانَتْ مِنْ أَمْزَجِ وَظَائِفِ اللِّسَانِ الْإِفْصَاحُ وَالْإِبَانَةُ، وَإِظْهَارُ الْهَيْبَةِ بِجَلَالِ الْعِبَارَةِ، وَكَسَاءُ الْمَعْنَى ثَوْبَ الْبَلَاغَةِ وَالنُّصَارَةِ فَإِذَا هُوَ مُشْرِقٌ بِهِجٍ. لِأَجْلِ ذَلِكَ كَانَ اشْتِرَاطُ كَمَالِ اللِّسَانِ وَخُلُوهُ مِنَ الْعُيُوبِ هُوَ الشَّرْطُ الْأَمْزَجُ عِنْدَ نَقَادِ الْكَلَامِ وَحُذَاقِ الشَّعْرِ؛ لِفَصَاحَةِ اللِّسَانِ وَبَلَاغَةِ صَاحِبِهِ، ثُمَّ أَطْلَقُوا بَعْدَ ذَلِكَ صِفَاتَ لِهَذَا الشَّرْطِ؛ فَقَالُوا: «إِذَا كَانَ لَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عَقْدَةٌ وَلَا يَتَحَيَّفُ بَيَانُهُ عُجْمَةٌ فَهُوَ: مُصْقَعٌ»^(١)، فَإِذَا خَلَا مِنْهُ تَأَهَّلَ بَعْدَهُ لِأَنْ يَكُونَ «مِدْرَةً»، أَيِ: لِسَانِ الْقَوْمِ^(٢)، قَالَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْمَنْقَرِيُّ مُفْتَخِرًا:

خُطْبَاءُ حِينَ يَقُومُ قَائِمُنَا يَبِضُّ الْوُجُوهَ مَصَاقِعُ لُسُنٍ^(٣)

وَعَلَى النَّقِیْضِ مِنْ ذَلِكَ إِنْ اعْتَوَرَ اللِّسَانُ عَقْدَةً أَوْ حُبْسَةً مِنْ تَأْتَاةٍ أَوْ فَافَاةٍ أَوْ أَيِّ عَيْبٍ خَلْقِيٍّ كَانَ عِنْدَهُمْ مِظْنَةُ الْقُصُورِ عَنِ الْإِفْصَاحِ، وَآيَةُ الْخَطَرِ وَالْخَطَلِ، وَإِشَارَةٌ قَلَّةِ النَّبَاهَةِ؛ كَقَوْلِهِمْ: «إِنَّ الْكَلَامَ صَلَفَ تِيَاهٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَلَا يَصْحَبُ كُلَّ لِسَانٍ، وَخَطَرُهُ كَثِيرٌ»^(٤). هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَوْقِفِ وَمَا يُمَثِّلِيهِ عَلَى اللِّسَانِ وَصَاحِبِهِ مِنْ انْحِبَاسٍ أَوْ انْطِلَاقٍ، فَمَوْقِفُ الْجَلَالِ وَالْهَيْبَةِ وَالرَّهْبَةِ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُعْقَدَ عَلَى اللِّسَانِ عُقْدَةٌ فَلَا يَبِينُ إِبَانَةً كَامِلَةً، أَوْ رُبَمَا عَجَزَ عَنِ الْإِجَابَةِ الْمَعْلُومَةِ الْمُحْفَوظَةِ، وَمَوْقِفُ الرَّغْبَةِ أَوْ الرَّاحَةِ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُطْلَقَ اللِّسَانُ بِالثَّنَاءِ الْعَاطِرِ أَوْ الْوَصْفِ الدَّقِيقِ الْمُبْلَغِ لِلْغَايَةِ وَالْمَحَقِّقِ لِلْمَطْلَبِ

(١) لسان العرب، ابن منظور (٢٠٣/٨)، والصحاح، الجوهري (١٢٤٤/٣).

(٢) انظر: فقه اللغة، الثعالبي (١٧٣/١).

(٣) شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني (ص ١١٠٩).

(٤) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان (ص ٣٧).



والحاجة. وهذا عيْنُهُ ما يُلَحَظ على مفردات اللسان اللاتي جاءت في القرآن الكريم في سياق انعقاد اللسان وانطلاقه.

فقد وردت في هذا الاتجاه ثلاث مرات في النظم القرآني الشريف، واللافت أنها كلها جاءت في سياق الحديث عن سيدنا موسى عليه السلام، وملابسات مبعثه إلى فرعون هادياً ومبشراً ونذيراً، وهي على الترتيب:

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧].

﴿قوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ﴾ [الشعراء: ١٣].

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا

يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤].

نلاحظ أن العقدة قد تردد ذكرها بين التصريح والتكنية، ففي أول موضع من النظم الشريف ذكر العقدة الكائنة في لسان سيدنا موسى عليه السلام صراحةً في قوله: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾، بينما كنى عنها كناية قريبة من التصريح في موضع الشعراء: ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾، أما في موضع القصص بعد أن ظهرت بالتصريح والكناية القريبة منه، كنى عنها تكنيةً مُبْهِمَةً ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾^(١).

وبعد الاستقراء الدقيق والتمحيص العميق؛ ظهر أن ذلك الموقف موقفٌ خوفٍ عظيمٍ وهولٍ كبيرٍ، هو خطر مواجهة فرعون وجبروته وتسلاطه وبغيه، حتى خالط ذلك الخوف والفرق نياط عروق مَنْ حوله من الملائكة، وأُشْرِبَتْهُ قلوبهم فتغلغل في أجزائها «ولمّا كان فرعون عظيم النخوة حتى ادّعى

(١) انظر: أسرار التكرار في القرآن، الكرمانى (ص ١٧٥).



الألوهية، كثير المهابة، حتى أشربت القلوب الخوف منه خصوصاً مَنْ كان من بني إسرائيل^(١).

كُلُّ هذا في خوف بني إسرائيل من فرعون، فماذا عن خوف سيدنا موسى عليه السلام؟ لا شك أنه سيكون خوفاً مُضَاعَفاً؛ وفوق هبة جبروت فرعون وبأس سطوته، وتنكيله بخصوصية عذاباً يَعْفُ اللسان عن ذكره استحياء وقتلاً وتدميراً وتخريباً، فبعد أن نشأ وترعرع في بيت الطاغية قتل سيدنا موسى -من قبل- أحد رجاله وهرب إثر ائتمارهم عليه بالقتل، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكُ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩]، ثم إنه عليه السلام كان يعاني من حُبْسَةِ لِسَانِهِ وَعَجَلَةٍ فِي نَطْقِهِ لِمَا تَوَاتَرَ مِنْ خَبَرِ التَّقَاطِهِ لِلْجَمْرَةِ فِي صِغَرِهِ، فقد روى غير واحدٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كانت في لسانه رَتَّةٌ، وذلك أنه كان في حِجْرِ فرعون ذات يوم فلطمه لطمَةً وأخذ بلحيته فقال فرعون لآسية امرأته: إِنَّ هَذَا عَدُوِّي، فقالت آسية: على رَسْلِكَ! إِنَّهُ صَغِيرٌ لَا يَعْقِلُ، ثُمَّ جَاءَتْ بِطُسْتَيْنِ فَجَعَلَتْ فِي أَحَدِهِمَا الْجَمْرَ، وَفِي الْآخَرَى الْجَوْهَرَ وَوَضَعْتُهُمَا بَيْنَ يَدَيْ مُوسَى، فَرَفَعَ جَمْرَةً وَوَضَعَهَا عَلَى لِسَانِهِ فَأَصَابَتْهُ رَتَّةٌ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ^(٢).

فوق هذا يأتيهم برسالة تنسف ديانتهم عن آخرها، وتذكّر طاغيتهم بالبارئ الأعلى والإله العظيم، فينزِع البساط من تحت قدميه دفعةً واحدة من غير إنذار سابقٍ أو تمهيد، بعد أن تجبّر في الأرض وبغى وطغى فيها إفساداً وهتكاً وإهلاكاً وبغياً وطغياناً لم يُعْلَم لأحد من قبله أو من بعده بإسرافه شططاً حين ادّعى الألوهية من دون الله ﴿وَإِنْ فِرْعَوْنُ لَعَالِي الْأَرْضِ وَإِنَّه لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣].

(١) البحر المحيط، أبو حيان (٨/٧).

(٢) انظر: تفسير مجاهد، (ص ٤٦٢)، و تفسير الثعالبي (٦/ ٢٤)، ومعالم التنزيل، البغوي (٣/ ٢٦٠).



ولنتصور بعد ذلك إنساناً يقف أمام ذلك الجبار الغشوم. قطعاً إن رباطة الجأش ستجانبه، وقوة القلب ستفارقه، وسعة صدره ستستحيل ضيقة حرجة؛ فلا يترجم اللسان حُجَّتَه واضحة فصيحة، ولا يبين عن جميع ما يختلج لُبُّه، ولا تُسَعِّفه بعد ذلك ذاكرته في استدرار الأدلة على صدق دعواه أمام مدافعي فرعون ومُنافحيه فيرمونه بالكذب؛ لذلك كله اجتمع على سيدنا موسى أسبابٌ للخوف كثيرة: خوفُ التكذيب، وخوف ضيق الصدر، وخوف لجلجلة اللسان وحُبْسَتِهِ^(١) لدرجة الانعقاد التي لا انفكاك لها معها ﴿عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾، «فَعَلِمَ أَنَّهُ كُفِّلَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَخَطْبًا جَسِيمًا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى احْتِمَالٍ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا ذُو جَأَشٍ رَابِطٍ، وَصَدْرٍ فَسِيحٍ»^(٢)؛ ليستقبل ما قد يرد عليه من الشدائد وجلائل الخطوب التي يذهب معها صبرُ الصابر وحلمُ الحليم.

لذا رأينا السَّيِّدَ الْكَلِيمَ يستحضر كلَّ هذه المخاوف والمشاعر الرَّهيبَةِ؛ فيطلب من ربه التخفيف بأدوات تُسَكِّنُ بعض رُوعِهِ، وتعينه على أداء ما كُفِّلَ به، مستعيناً بالتوكل عليه، مُدَّرِّعاً بوسائله وأسبابه، فطلب أولاً انشراح الصدر وانبساطه في قوله: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]؛ لأن الانقباض يُهدِر طاقة الإنسان^(٣). ثم طلب شدَّ الأزر والعون من الله بالإشراك في الأمر معه ناصحاً أميناً مخلصاً كأخيه النَّاصِحِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ [طه: ٢٩]، وقوله: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ [الشعراء: ١٣]، وقوله: ﴿وَإِخَىٰ هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤]، ثم إنَّ انشراح الصدر والوزارة لا يكفیان؛ فطلب تيسير الأمر عموماً في قوله: ﴿وَيَسِّرْ لِّي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٦]، وأخيراً

(١) البحر المحيط، أبو حيان (٨/٧).

(٢) الكشف، الزمخشري (٦٠/٣).

(٣) انظر: خواطر حول القرآن، الشعراوي (٩٢٥٨/١٥).



طلب انطلاق اللسان من رتّة الجمر^(١) حال تقدّمه لقيادة بني إسرائيل بمنّ فيهم فرعون في قوله: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّنْ لَّسَانِي﴾ [طه: ٢٧]؛ إذ لا ينبغي للأرت أن يُقدّم^(٢). فطلب حيالها إجراء لسانه بالحجّة والبرهان في تبليغ البيان أمام ظالم عنيد يقف عند سطوته الجنان، وينعقد أمام بطشه اللسان.

نخلص بعد ذلك إلى الدّواء الشافي، والعلاج الناجع، والوسائل البليغة التي أمدها الربُّ الجليل لكليمه ومصطفاه؛ إذ لم يتركه نهباً لتلك المنازع العنيدة، والمخاوف الرهيبة والتي عبّدها ملاً فرعون بني إسرائيل؛ فأبدله مولاه بالخوف من فتك فرعون وملئه أمناً وأماناً في قوله: ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ [القصص: ٣١]، وقوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُوفِ﴾ [النمل: ١٠]. كما أبدله بخوف التّكذيب الوارد في قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ [القصص: ٣٤]، تصديقاً وتعصيماً ومعية إلهية شديدة تغلبُ بسلطانها الإلهي المبين زهو فرعون وكبريائه في قوله: ﴿قَالَ سَنَنْذُرُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا﴾ [القصص: ٣٥]، وقوله: ﴿قَالَ كَلَّا فَآذِهِمَا بِأَيِّنَّا أَنَا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، ثم أحال عقدة لسانه فصاحة وانطلاقاً بالقول عذباً سلسيلاً في قوله: ﴿فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، وبياناً بليغاً غالباً لا يُغالب في قوله: ﴿بِأَيِّنَّا أَنْتُمَا وَمَنْ أَتْبَعَكُمَا الْفٰلِغُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

أما بالنسبة لذكر تلك العقدة تارة بالكنائية وبالتصريح تارة أخرى، فيتبيّن من خلال السّياق السابق واللاحق لموضع تلك العقدة من السّياق القرآني. ففي موضعي الشعراء والقصص تلا فعل التّكليف الإلهي لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام -بإتيان فرعون وقومه- خوف التّكذيب في قوله:

(١) الرّتّة: عَجَلَةٌ في الكلام، وقلة أناة، وقيل: هي العجمة في الكلام أو عَجَلَةٌ وتقطيع لا يبيّن به الكلام، وقيل: إنها تكثر في الأشراف. لسان العرب، ابن منظور (٣٤/٢)، وفقه اللغة، الثعالبي (١٧٤/١).
(٢) روي أن النبي رأى رجلاً أرت يؤمّ الناس، فأخّره. لسان العرب، ابن منظور (٣٤/٢).



﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء: ١٢]، أو خوف القتل والتكذيب معاً في قوله: ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣]، و﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤]. ومعلوم أن التكذيب والاتهام بالقتل من أشدّ عوامل لجلجة الفؤاد وضيق الصدر وانعقاد اللسان وحُبْسَتِهِ؛ فجاء بذكر العُقْدَةِ اللِّسَانِيَةِ كنايةً لا تصريحاً لما سبق من ذكر أهمّ أسبابها الباعثة عليها، فكان في ذكرها على سبيل التكنية كفايةً وبلاغاً؛ لما سبقها من تمهيدٍ دالٍّ عليها. ولو ذكرها صراحةً في هذين الموضعين لكان قد ذكر عقدة اللسان صراحةً - أو كالصراحة - مرتين متتاليتين، وربما أدّى ذلك إلى الإخلال بفصاحة التركيب.

ثم إنَّ الخوف من تكذيبه ﷺ في موضع الشعراء كان قريباً جداً من أمر تكليفه بالرسالة ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠ ﴿قَوْمٌ فَرَعَوْنَ لَا يَنْقُونَ﴾ ١١ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء: ١٠-١٢]. لذا كنّى عن تلك العُقْدَةِ اللِّسَانِيَةِ كنايةً قريبة هي كناية الإيماء؛ إذ الوسائط قليلة بين المكنّى عنه والمكنّى به؛ حيث انتقل من خوف التكذيب إلى ضيق الصدر إلى حُبْسَةِ اللسان مباشرةً. أمّا في موضع القصص فقد تقدّم خوف القتل وفقد الحياة على الخوف من التكذيب الذي جاء بعيداً عن أمر التكليف؛ فجاء بكناية التلويح البعيدة؛ حيث انتقل بوسائطها من العيش الآمن في مُلْكِ فرعون إلى قتل أحد حاشيته إلى الخوف على نفسه من القتل، ثم إلى ما يَعْتَوِرُ القلبَ من زعزعة واضطراب تنتج عنها حُبْسَةُ اللسان.

أمّا في موضع سورة طه فلم يتلّ فعل التكليف الإلهي لسيدنا موسى خوفاً معيناً كموضعي الشعراء والقصص؛ فلم يُعلم وجه النَّقْصِ الذي أراد إكماله سيدنا موسى أو المشكلة الأولى التي يريد حلها فتعيّن بذلك ضرورة التصريح بها، وهي عُقْدَةُ لسانه في قوله: ﴿عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧] طالباً حلها ﴿أَحْلِلْ﴾.

المبحث الثاني

اللسان والشهادة

اشتهر اللسان في مقام الشَّهادة شهرةً ظاهرةً ظهور البيِّنة الناصعة في الحكم الجليِّ، وكان هو القائم مقام الشُّهود على المدَّعى عليهم، فكم من شهادةٍ صدِّقٍ نَجَّت صاحبها من الهلاك، وكم من شهادةٍ زُورٍ أوردت صاحبها الموارد، وقد سبقت الإشارة إلى شهادة اللسان في قطع الرِّقاب والإيقاع بالخصوم في أقوال العرب البليغة وأمثالهم الحكيمة كقولهم: «رَبَّ حِجَّةٍ، تأتي على مهجة»^(١). وقد وردت مفردة اللسان القرآنية في سياق الشَّهادة السابق ثلاث مرات في مواضع ثلاثة منه، وهي على الترتيب:

﴿قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾﴾ [النور: ٢٤].

﴿وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْرِكْ يَدَيْهِ لِسَانُكَ لَتَتَعَجَّلَ بِهِ﴾﴾ [القيامة: ١٦].

﴿وقوله تعالى: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾﴾ [البلد: ٩].

وترتقي بلاغة القرآن العظيم في التعبير باللسان في سياق الشَّهادة إلى قَمَّةٍ باذخة الرِّفعة والعلو لا يصل إلى دالاتها أيُّ بيانٍ، ولا تُطاولها فصاحةٌ بشريةٌ أو جنِّيةٌ ولو كانتا لبعضهما ظهيرا، إنها إعجاز في حدِّ ذاتها، وتلك حكمة من الله بالغة. ففي موضع «سورة النور» يتصدَّر اللسان قائمة الشُّهود من بين سائر أجزاء الجسد الأخرى؛ كاليدَيْن والرجلين، أمَّا عن السبب فتطالعنا به جماهير المفسرين بأنَّه لا سبيل إلى إنكار شهادته وهو جزء من أجسادهم ليس بالجزء الخارجي كالأهل أو الصاحب^(٢)؛ فقد روى أبو سعيد الخدريُّ عن رسول الله

(١) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان (ص ١٩٨).

(٢) انظر مثلاً: جامع البيان، الطبري (١٠٥/١٨)، وابن كثير، التفسير (٢٣/٦).



قوله: «إذا كان يوم القيامة، عُرف الكافر بعمله؛ فَيَجْحَدُ ويخاصم، فيُقال له: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كَذَبُوا، فيقول: أهلك وعشيرتك، فيقول: كَذَبُوا، فيقول: احلفوا، فيحلفون ثم يُصْمِتُهُمُ اللهُ، فتشهد عليهم أيديهم وألسنتهم، ثم يُدْخِلُهُمُ النَّارَ»^(١).

كذلك فمن أسباب الابتداء باللسان في الشهادة على أصحاب بهتان الإفاك يوم الشهادة الكبرى في القيامة، هو اشتراك ألسنتهم في الدنيا بافتراء الكذب على السيدة عائشة المصونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «وتخصيص هذه الأعضاء بالذكر مع أنَّ الشهادة تكون من جميع الجسد...؛ لأنَّ لهذه الأعضاء عملاً في رمي المحصنات؛ فهم ينطقون بالقذف، ويشيرون بالأيدي إلى المقذوفات، ويسعون بأرجلهم إلى مجالس الناس لإبلاغ القذف»^(٢)، ولا يخفى أنَّ أشدَّ الثلاثة إيلاماً في قذف المحصنات وأبعدها أثراً، هو أذى اللسان.

وعليه يكون الخبر التقريري في هذه الآية قد حمل شهادة عظيمة هي شهادة السنة الذين افترؤا على زوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الكذب، ليس أدلَّ على عَظَمِهَا من حشدها في سياق الرَّدِّ القرآني عن طهارة الصَّديقة عائشة؛ فهي أظْهَرُ من ماء السَّماء؛ لذا فقد تضافرت الشهود على براءتها، وإثبات الفرية على مَنْ اقترفوها يوم القيامة، وقِمة البلاغة تكمنُ في إيعادهم بشيء لم يُوعَد به حتى صريحو الكفر، وهو أن يقف اللسان على رأس الشهود عليهم رغم أنه ليس بعاقِل، «وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأنَّ ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا... فأوجز في ذلك وأشبع، وفصّل وأجمل، وأكّد وكرّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما

(١) مسند أبي يعلى، (٢/٥٢٧)، رقم الحديث: ١٣٩٢، وانظر: الدر المنثور، السيوطي (٦/١٦٥).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/١٩٢).



هو دونه في الفضاة»^(١)، وكفى بذلك إيعاداً وتهديداً وخزيًا. من هنا نفقه كلام الرمخشري في تفرُّد صورة التهديد والإيعاد هذه لهؤلاء الأفاكين على شخص رسول الله وزوجه «ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعده من العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفاك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف»^(٢).

وفي الموضع الثالث: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ يأتي اللسان في سياق العطف على الاستفهام التوبيخي، ويأتي شاهداً على صاحبه المذنب أيضاً لا شاهداً له، قال مقاتل: «نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل، أذنب، فاستفتى النبي ﷺ، فأمره أن يكفر، فقال: لقد ذهب مالي في الكفارات، والنفقات، منذ دخلت في دين محمد»^(٣)، وفي هذا الشاهد اللساني توبيخ بالغ لصاحب القضية الممتن بالإنفاق على كفاراته أو البخيل بها؛ لتقرُّعه من طرف خفي بتذكيره بعظيم من الله تعالى عليه، وسابغ آلائه التي **أولها**: عينه، **وثانيها**: من كان شاهداً عليه وهو لسانه وشفتيه، **وثالثها**: هدايته لطريق النجاة ومسلك الخير باتِّباع النبي المصطفى.

أما في الموضع الثاني فيأتي اللسان في سياق النهي الحقيقي شاهداً بالحق والصدق، وهو لسان النبي المصطفى ﷺ شاهداً على عجلته بتلقي القرآن من لدن حكيم خبير عن طريق أمينه جبريل، ليأخذه على عجلة من الأمين ضائماً به، خائفاً عليه، حريصاً على حفظه وإثباته في صدره؛ تمهيداً لتبليغه إلى قومه

(١) الكشف، الرمخشري (٢/ ٢٢٣).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٢٣).

(٣) وقيل: إنها نزلت في بعض صناديد قريش، أو في الوليد بن المغيرة، وقيل: في الحارث بن عامر بن نوفل. انظر: البحر المحيط، أبو حيان (١٠/ ٤٨٢)، و اللباب، أبو حفص الحنبلي (٢٠/ ٣٤٥).



كاملاً تاماً غير منقوص^(١)؛ فتأتي هذه الشهادة لتذكيره ﷺ بمهمته وهي تلقي الوحي دون تحريك اللسان عَجَلَةً به، وبأنَّ مهمَّةَ جَمِعه وإثباته في صدره وعلى لسانه هي مهمَّةُ الباري الأعلى الشفيق على عبده ومصطفاه ألا يعجل بوحيه في قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]. هذا ودلالة النهي في الآية واضحة جليَّة عن عدم تحريك اللسان مخافة أن يذهب عنه ما يوحى إليه^(٢)؛ لأنه سبحانه سيجمعه له في صدره. وعليه فلا مانع من إجرائه في نفسه أو مراجعته. وأما عن سرِّ التعريف والتنكير لهذه المفردة في هذا السياق؛ فقد جاءت مُعرِّفة بضمير الخطاب في حقِّ النبي المصطفى ﷺ لغرض التمييز والتخصيص، تخصيص لسانٍ معينٍ دون سائر الألسنة؛ إذ هو المتلقِّي للوحي السَّمَاوِيِّ دون سِواه، بينما ورد معرفاً بضمير الغيبة للغرض ذاته، وهو: تمييز نوعٍ آخر من الألسنة في حقِّ الأفاكين المفترين على أم المؤمنين السيدة عائشة المصونة رضي الله عنها، لكنه جاء بضمير الغيبة لغرضي الإبعاد والتَّهْكُم، ولَسَبَقِ الحديث عنهم في الآية السابقة عند قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِئَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

أما في موضع سورة البلد ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ فقد ورد منكرًا لغرضٍ معنويٍّ وآخر لفظيٍّ: أما المعنويُّ؛ فهو التَّقرِيع لذلك البخل بإنفاق ماله على الكفَّارات تطهيراً له موبَّخة له ومذكِّرةً إيَّاه بعظيمِ من الله تعالى عليه الذي لا يوازِيها أي إنفاق مهما بلغ، وأمَّا اللفظيُّ؛ فهو أنه جاء في سياق العطف على النكرة السابقة ﴿عَيْنَيْنِ﴾ ٨ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾؛ إذ الأصل أن يُعطف المعرفة على معرفة، والنكرة على نكرة.

(١) انظر مثلاً: الباب، أبو حفص الحنبلي (٥٥٨/١٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤٠٤/٥).



المبحث الثالث

اللسان ووصفه بالصدق

الوصف بالصدق من أوصاف اللسان المشهورة التي جرت بها الألسنة وسارت بها الأساليب العربية؛ فقد قيل في المثل الذي ضُربَ لمن يُثني على صاحبه بالخير: «عليه من الله لسانٌ صالحٌ»^(١). أي: يذكره الله بنعوت الثناء الحسن، والوصف الجميل بالخلال الطيبة، والأفعال الحميدة التي تُخلد ذكره، وترفع اسمه في سجل الخالدين. وهذا - لعمر الله - من أعظم ما وُصف به اللسان، وأجل ما جعل من وظائفه.

كما ورد هذا الوصف للسان عند العرب في التجربة والخبرة والممارسة التي تكشف عن الجوهر الثمين والمعدن الصَّقيل فقالوا في ذلك: «لسان التجربة أصدق»^(٢)، جاعلين للخبرة والتجريب لساناً ناطقاً بالصدق دليلاً عليه.

وقد ورد هذا الوصف للسان في القرآن الكريم ثلاث مرات في مواضع

ثلاثة منه أيضاً، هي على الترتيب:

□ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠].

□ وقوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

□ وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا

عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرِيَ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

وأول ما يُلحَظ على هذا الوصف الجميل للسان في سائر هذه المواضع هو أنها أوصافٌ جاءت في حق أفضل خلق الله أجمعين وهم الأنبياء المرسلون

(١) مجمع الأمثال، الميداني (٨/٢).

(٢) المرجع السابق، (٢/٢٥٧).



والعباد المصطفون. فالسياق القرآني يرتفع بأوصاف اللسان - الذي هو ذو حدّين - إلى الحدّ الأعلى والأجمل والأرفع المناسب لمَدح الفئة المختارة من أفضل خلق الله وهم أولو العزم من الرُّسل؛ فهم خيارٌ من خيار. ففي موضع «الشعراء» يُطالعنا النّظم القرآني الشريف عن نبأ سيدنا إبراهيم إثر قصّته مع قومه المكذبين الذين كانوا على أصنامهم عاكفين، مجادلًا ومحاوّرًا لهم بأسلوب الدّليل العقلي، والمجادلة الجادة المثمرة المتلخّصة في عجز الأصنام حتى عن إطعامهم أو شفائهم أو إجابة دعائهم فضلًا عن إحيائهم أو إماتتهم، لينتهي به المقام لمناجاة ربّه بدعائه أن يغفر له ويتمّ نعمته عليه بإلحاقه بمنازل الصالحين في الآخرة ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصِّلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣]، وأن يزيده نعمة تامة فوق التمام السابق كلّهُ، ألا وهي نعمة تخليد ذكره بالثناء الحسن بين سائر الخلق في الدُّنيا بعد موته ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]؛ و«لذلك ما من أمةٍ إلّا وهم محبُّون له مُثنون عليه»^(١).

إنّ أريج الثناء العاطر لذكر السيّد الكريم أبي الأنبياء «إبراهيم» وولده ليفوح في كلّ طريق، ومع كلّ صبا، وعلى كلّ لسان؛ ذلك لأنّه امتنانٌ من ربّ العالمين بأن تكفّل برفع ذكره عاطرًا على العالمين بأن اجتمعت الأممُ سابقها ولاحقها على ملّته وهي الحنيفيّة السّميحة^(٢)، فتخلّد ذكره ولهج بحنيفيّته سائر مُسلمي الخلق حتى أكرمهم سيدنا محمّد؛ حيثُ أمرُ ﷺ باتّباع تلك الحنيفيّة الإبراهيمية في غير موضع من الكتاب المُنزّل عليه؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وقوله: ﴿وَأْمُرْ

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي (٤/ ١٤٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١١/ ١١٢).



أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ [يونس: ١٠٤، ١٠٥]، ثم أمر أن يبلغ بها قومه في قوله: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، ثم بلغ بتخليد ذكره إلى الغاية التي ليس وراءها مطلب بأن جعله قُدوةً حَتَّى ادَّعَاهُ أَهْلُ الْأَدْيَانِ كُلِّهِمْ ^(١)، كما في قوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

أما موضع «مريم» فيأتي وصف اللسان بالصدق فيها أيضًا مع أبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في سياق امتنان الكريم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه بألوان الهبات وألطف النعم السَّابِغَاتِ؛ كِهَبَةِ الْوَلَدِ الصَّالِحِ عَلَى الْكِبَرِ مِنْ زَوْجِهِ الْعَاقِرِ الْعَقِيمِ بَعْدَ تَجَاوُزِهَا سِنَّ الْيَأْسِ، وَهَبَةِ جَعْلِ ذُرِّيَّتِهِ أَنْبِيَاءَ؛ فإِسْحَاقَ وَلَدًا لِإِبْرَاهِيمَ، وَيَعْقُوبَ وَلَدًا لِإِسْحَاقَ، وَيُوسُفَ وَلَدًا لِيَعْقُوبَ عليه السلام، وَهَبَةِ الْجَاهِ وَالْأَتْبَاعِ وَالنَّسْلِ الطَّاهِرِ وَالذُّرِّيَّةِ الصَّالِحَةِ ^(٢)، ثُمَّ بَرَفَعِ ذِكْرَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ بَعْدَهَا بِلِسَانِ الصِّدْقِ، وَتَلَكِ نِعْمٌ لَمْ تَسْبِقْ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ وَلَا تَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، غَيْرَ مِنْ أَصْطَفَاهُمْ سُبْحَانَهُ.

وإنما تكمنُ البلاغةُ كُلُّهَا فِي الْكِنَايَةِ بِلَفْظِ: «لِسَانِ الصِّدْقِ» عَنْ صِفَةِ الذِّكْرِ الْحَسَنِ وَالسَّيْرَةِ الطَّيِّبَةِ؛ لِأَنَّهُ بِاللِّسَانِ وَحْدَهُ تُذَكَّرُ الْهَبَاتُ السَّابِقَةُ كُلُّهَا أَبَدَ الدَّهْرِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، وَبِدُونِ نِعْمَتِهِ لَا يَرُويها أَحَدٌ لِأَحَدٍ فَسُتُطْمَسُ بِمَوْتِهِمْ وَانْقِضَاءِ عَصَرِهِمْ.

أما لِمَ جَاءَ هَذَا الْوَصْفُ الْعَظِيمُ بِلِسَانِ الصِّدْقِ مَرَّتَيْنِ - مِنْ الثَّلَاثَةِ مَوَاضِعَ - فِي حَقِّ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَحْدَهُ، فَيُمْكِنُ تَعْلِيلُهُ بِمَا قَدَّمَهُ مِنْ سَابِقَاتِ

(١) انظر: الكشف، الزمخشري (٢٢/٣)، ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي (٥٤٨/٢١).

(٢) انظر مثلاً: نظم الدرر، البقاعي (٢٠٩/١٢)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢٤/١٦).



في الإسلام لم يسبقه إليها أحدٌ من العالمين^(١)، فقد اعتزل سائر الخلق في الله ﴿وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨]، ثم تبرأ من أبيه في الله: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ثم قرب نفسه وولده ليذبحه قرباناً لله راضياً مرضياً: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، وعادى الخلق كلهم في الله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧]، وهو الذي وفى بعهد الله ووعده وفاءً تاماً غير منقوص: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧].

أمّا في الموضوع الثالث لنعت اللسان بالصدق أو بالتصديق في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢]. فنجد أنه يأتي في حق القرآن العظيم ذاته، بأنّه جاء مصدّقاً لكتاب موسى وهو التوراة، أو لما بين يديه، أو لما تقدّمه من جميع الكتب^(٢)، ذلك أنّه تضمّن خبر النّبّي محمد ﷺ وخبر مبعثه الذي نزل في التوراة من قبله، فجاء مصدّقاً لذلك الإخبار التّوراتي. لكن المُميّز لهذا الموضوع - من الناحية اللفظية - أمران، **الأول**: هو مجيء مفردة الصدق سابقةً للسان على غرار الموضوعين السابقين، **والثاني**: أنّ مفردة الصدق هذه جاءت هنا اسم فاعل «مُصَدِّق» وليس بمصدر «صَدَق» كالسابقين. وهذا ما أفسح المجال أمام المُعرّبين لتعدّد وجه إعراب اللسان في هذا الموضوع، ليُفسّحوا بعدها للبلاغة ودلالاتها مجالاتٍ هي أمدّ ميدناً، وأعجبُ حُسناً، وأبعدُ غوراً. فالمشهور من إعراب النّحويين للفظ «اللسان» وجهان؛ الأول: أنّه منصوب على الحالية، وصاحب الحال ضمير مستتر في اسم الفاعل مُصَدِّق،

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (٥٤٨/٢١).

(٢) انظر: الكشف، الزمخشري (٣٠١/٤)، وتفسير الثعالبي، (٢١٥/٥).



«وَجَازَ نَصَبَ لِسَانٍ عَلَى الْحَالِ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى مُبِينٍ»^(١)، أي: أنه حالٌ جامدٌ مُؤَوَّلٌ باسمِ الفاعلِ المشتقِ مبينٍ.

أما الوجه الثاني: فهو مفعول به لاسمِ الفاعلِ مُصَدِّقٌ، وعليه يتوجه الضمير في مُصَدِّقٍ إلى شيءٍ غيرِ القرآنِ الكريمِ وهو لسانُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، «ويجوز أن يكون مفعولاً لمصدق؛ أي: هذا الكتابُ مصدق لسانِ مُحَمَّدٍ ﷺ»^(٢).

وأما من ناحية الدلالة البلاغية البليغة؛ فعلى الإعراب الأول -الحال- يكون نزول القرآن الكريم مُصَدِّقًا تصديقًا لسانيًا للتوراة وللكتب من قبله بشأن الرسالة المحمدية، أي: حاله التصديق؛ فقد جاء في القرآن على لسان سيدنا المسيح قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦]^(٣)، كما نزل فيه على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ التصديق للاثنتين معًا في قوله: ﴿زَلَّ عَلَيْكَ الْكَتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]. وعليه فالقرآن الكريم يكون -بهذا الوجه- لسانًا ناطقًا بصديق أخبار التوراة وسائر كتب الله غير المُحَرَّفَةِ، وفي هذا ارتفاع بقيمة المدح باللسان إلى درجة عليا؛ حيثُ جُعِلَ القرآن ذاته لسانًا يصدق بصديق الكتب من قبله، وتلك حكمة بالغة ودلالة بليغة.

على أن هذه الدلالات البليغة لهذا الوجه من التعبير لا تقف عند هذا الحد، بل تمتد لتشمل الوجه الآخر من الإعراب وهو وجه المفعولية، «وقالت فرقة: لسانًا مفعول به لمُصَدِّقٍ، والمراد على هذا القول باللسان: مُحَمَّدٌ رسول

(١) إعراب القرآن، النحاس (١٠٧/٤)، وإعراب القرآن وبيانه، الدرويش (١٧٤/٩).

(٢) التبيان في إعراب القرآن، العكبري (١١٥٥/٢)، وانظر: إعراب القرآن وبيانه، الدرويش (١٧٤/٩).

(٣) وانظر أيضًا: آل عمران: ٥٠، والمائدة: ٤٦.



الله ولسانه»^(١). وذلك بطريق المجاز المرسل ذي العلاقة الآلية؛ إذ اللسان هو آلة اللُّغة، بمعنى: لغة عربية فصيحة مبينة يصدقُّ بها النبيُّ محمدٌ في تبليغه عن ربِّه؛ فيكون الرسول ﷺ حينها هو لسان الصدق الذي تَلَقَّى آخر وحي السَّماء إلى الأرض ونقله بالأمانة كُلِّها وبالصدق كُلِّه، كيف لا وهو لسان الصدق كما يدلُّ عليه وجه إعراب الآية الأخير. وعليه نلمح من هذا الوجه أنَّ لسيِّد المرسلين نصيباً من سياق المدح بلسان الصدق في القرآن الكريم ذلك أنَّ هذا الوجه من المدح جميل وجليل حاز أبو الأنبياء إبراهيم نصيبه الأوفى منه في الموضعين الأولين في القرآن، ثمَّ بهذا الوجه الإعرابيُّ لهذا الموضع كان لسيِّدنا محمد ﷺ نصيبه منه، وهذه حكمة أخرى بالغة.



(١) المحرر الوجيز، ابن عطية (٩٥/٥).

المبحث الرابع

اللسان ووصفه بالكذب

إذا كان المدح بصدق اللسان مدحاً جليلاً، واعتراضاً بفضل عظيم غير مسبوق، وتخليداً لسبقٍ مُقدَّرٍ غير ممنون، فإنَّ الذَّمَّ بكذب اللسان على النقيض من ذلك يقف على قِمة الوصف السيِّء والنَّعت الشَّائن والنقص المُخزي، حيث جاء في النَّص القرآني الشَّريف دائماً مع أعظم المفترين الباهتين، وهم المفترون على ربِّهم جلَّ وعزَّ بدخولهم في خصوصيات؛ حيث حرَّموا بعض حلاله، أو حلَّلوا بعض ما حرَّم لغاية دنيوية دنيئة في أنفسهم. ونلاحظ في هذا الموقع من المعنى المتعلق ببلاغة دلالات التَّعبير بمفردة اللسان في القرآن الكريم، ورودَ لفظة اللسان مجموعةً كلها في حين أنَّ وصفه بالصدق في المبحث السابق جاء كُلُّهُ مفرداً، في إشارةٍ بليغةٍ إلى أنَّ الكذب متعدّد الأقوال، أمَّا الصدقُ فواحدٌ دائماً، وجميع ما عداه فهو كذب. إضافةً إلى مجيئها في سياق الكذب بشكل عام، إمَّا صراحةً كموضعي «النحل»، وإمَّا بالتكنية كموضعي «النور» و«الفتح» بصيغة «ما ليس لكم به علم، وما ليس في قلوبهم». وقد ورد هذا الوصف للسان في النظم الشريف مرات أربع، في أربعة مواضع منه، أحدها في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

فقد جاء الوصف بالكذب لما تفوَّهت به ألسنة أولئك المفترين من الضَّالِّين والكافرين وبعض أهل الكتاب بالافتراء عليه سبحانه فيما شرَّع بتحليل بعض ما حرَّم، وتحريم بعض ما حلَّل، كقولهم بتحليل ما في بطون الميتة



وهي محرمة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِهِمْ هَذَا إِلَّا نَجَسٌ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، كما حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير، وتحريمهم البحائر والسوائب والوصائل وهي حلال، وذلك قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَانُوا أَكْثَرُهم لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]، وقولهم بتحليل بعض الأشهر الحرم في سنة وتحريمها في أخرى، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧]، إلى غير ذلك مما تجرأوا بافترائه على الله^(١)، كما قد يكون الكذب بدلًا من الوصف المقصود في الآية، أي: أن وصفهم هو محض كذب لا غير على قراءة «الكذب» بالكسر؛ فيكون بدلًا من المصدر المؤول المجرور المنسبك من ما المصدرية والفعل في ﴿لَمَّا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ﴾^(٢)، على تقدير: ولا تقولوا للوصف الكذب هذا حلالٌ وهذا حرام.

وكذا في الموضع الآخر للسان في هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢]. جاء مع ضرب آخر من فريتهم لوصف كاذب جرت به ألسنة المشركين مع الله آلهة أخرى وهو افتراء نسبة البنات - التي يكرهونها لأنفسهم - إليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذا ما سبقت إشارة سياق السورة إليه في قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، بينما ينسبون

(١) انظر السابق (٤٢٩/٣).

(٢) انظر المرجع السابق، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٩٦/١٠).



الحُسْنَى بالبَنُونِ - في اعتقادهم - لأنفسهم، أو أنهم يصفون أنفسهم بالفوز برضوانه تعالى وثوابه وجنانه رغم ما اجتروحه من عظيم الفرية عليه^(١)؛ فاستحقوا بذلك وصف «المفْرَطُونَ»، وهو وصف لم يوصف به مجرم أو كافر قط في القرآن العظيم غيرهم؛ لأنَّ الفَرَطَ هنا هو تقدُّمهم إلى جهنم تقدُّماً لا يسبقهم إليها أحدٌ من بين سائر مستحقِّيها جزاءً وفاقاً لهم على افتراءاتهم على ربِّهم^(٢).

والحقُّ أنَّ هذا الوصف يسترعي الانتباه، ويستصغي الأذان بوروده مرّة واحدة وحيدة في النّص القرآني؛ فهو على إفراده إلّا أنه يتضمّن معاني يشيع منها الخزي والإذلال والشّنار، فمن معاني الفَرَطِ في اللّغة: التّقدُّم والسّبق، والظُّلم والاعتداء، والترك والغفلة عن الشيء^(٣)، وكلها متحقّقة في أولئك المفترين؛ فهُم من أوّل مَنْ تُسَعَّر بهم جهنم لتقديمهم إليها يوم الحساب سابقين غيرهم من العُتاة والمجرمين، ثمَّ إنهم مقترفون لأعظم الظُّلم وأغرب الاعتداء على خصوصيات الباري الأعلى سبحانه، كذلك فهم متروكون منبذون، وهم للنّبذ والطّرد والترك أهْل بما بدرَ منهم من ترك طاعة ربِّهم والغفلة عنها إلى التّخرّص عليه بأعظم الفِرَى. فلم يكتفِ المولى جلّ جلاله بعقوبتهم باستحقاق عذاب النار في ﴿لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ﴾، بل ميّزهم عن سائر المجرمين من داخلها بالتقدّم إليها من دونهم.

(١) انظر مثلاً: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (٢٠/٢٢٩).

(٢) انظر: خواطر حول القرآن، الشعراوي (١٣/٨٠٣١)، ولم ترد هذه الصيغة في القرآن الكريم في غير هذا الموضع البتة، انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي (ص ٦٢٦).

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٧/٣٦٦-٣٦٩).



أما الموضوع الثالث للمنظومة المعنوية القرآنية في اتّصاف اللسان بالكذب فكانت في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

في هذه الآية تأتي مفردة اللسان تارةً أخرى في حقّ الصّديقة بنت الصّديق السيّدة عائشة الطاهرة المطهّرة إثر سياق حديث الإفك المزعوم والزعيم الباطل المأفوك. ولقد سبق الحديث عن إبداع البلاغة القرآنية في سرّ اختيار اللسان - مفرداً - لتصدّر قائمة الشهود على أولئك الأفّاكين الخائضين فيما لا ينبغي لهم ولا لغيرهم الخوض فيه، وذلك عند الحديث عن اللسان في سياق الشهادة^(١). فإنّ تلك الدّرة البلاغية ودلالاتها تكتمل هنا بدّرةً أخرى لتكوّنا معاً عقداً بلاغيّاً فريداً يقرأ على مرّ الأزمان وتترصّع به قلادة الطّهر والعفاف التي تتألق على اسم الصّديقة رضي الله عنها كلما ذُكرت، وتُزيّن منظومة البشر والانطلاق على مُحيّاها كلما تذكّرت إعجاز النظم الإلهي المُحكم الذي شاء الله أن يُبرّئها فيه من فوق السّبع الطّباق.

أما عن تفصيل هذه الدّرة الدّلالية التي تتفتّق من أسلوب الشرط البلاغيّ في هذه الآية التي حملت مفردة اللسان بصيغة الجمع المضافة إلى ضمير خطاب الخائضين في ذلك الإفك ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾. فتتصدّع عن لآلئ خريدة مفصّلة من الدّلالات الفريدة، ومردّ هذه الدّلالات إلى ثلاثة أمور:

○ **أولها:** جمع اللسان؛ ليدلّ على خوض مجموعة ليست بالقليلة في ذلك الحديث الآثم، وليدلّ على تعدّد تخرّصاتهم بغير علم، وكثرة أفاويلهم المُفتراة.

(١) في الآية التي سبق تحليلها في فقرة اللسان والشهادة، وهي [النور: ٢٤].



○ **ثانيها:** دلالة التَّقْرِيع والتَّائِبِ الكبير الذي يَرشَح من ضمير أولئك المخاطبين الخاطئين بفَعْلَتِهِم من اجترائهم على التَّلَسُّنِ في عَرَضِ أَطْهَر من دَبٍّ على البَسِيطَةِ بسوء.

○ **ثالثها:** نوعية فعل السَّماع الذي يَشِي بكيفيته، وهو فعل التَّلَقِّي لذلك الخبر ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾، وهذه الكيفية المقصودة هي السُّرْعَةُ السَّرِيعَةُ التي تنتشر بها أمثال تلك الأحاديث في المجتمعات، فكأنها كُرَّةٌ خفيفةٌ تَتَلَقَّفُهَا الأيدي خِلْسَةً بشكل خاطف؛ فتنتشر انتشار النار الضرام في الهشيم اليابس دون أن يظهر ذلك حتى لصاحب الأمر ومُتَعَلِّقِهِ تمامًا كما لم تعلم به سيِّدتنا عائشة رضوان الله عليها. وما ذاك الخَطْفُ وتلك السُّرْعَةُ للحديث المخوض فيه إِلَّا لأنه زَعْمٌ باطلٌ، وكذِبٌ مُفْتَرٍ، وجهلٌ تامٌّ من غير علم، «وهذا الإفك ليس إِلَّا قولًا يجري على ألسنتكم، ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب»^(١).

ثم انظر بعد ذلك -ممتعًا ناظرِيك وناظرِي الزمان- في بلاغة التعبير القرآني باللسان والألسنة؛ حيثُ اجتمع الجهل والحقد الدفين مع التَّخْرُصِ وعدم التَّثَبُّتِ في سياق السُّرْعَةِ في إفشاء ذلك الحديث وإذاعته دون وعي ودون تفكير، فمعلوم أن تَلَقَّى الأخبار يكون بالأذن لا بالألسنة، لكنَّه من سرعة تناقل هذا الكلام فكأنهم يَتَلَقَّوْنَهُ بألسنتهم، كأنَّ مرحلة السَّماع بالأذن قد أُلغيت^(٢)، وبمجرد السَّماع تَقَوَّلُوا بهتانًا عظيمًا وفِرْيَةً كُبرى دون أدنى تدقيق من عقل أو تمحيص من عاطفة أو وجدان، أو رادعٍ من خلقٍ أو ضمير. كلُّ هذه المعاني

(١) الكشف، الزمخشري (٣/ ٢٠١٩)، وانظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (٢٣/ ٢٤٣).

(٢) انظر: خواطر حول القرآن، الشعراوي (١٦/ ١٠٢١٨).



واللطائف، وتلك العواطف والمشاعر والمنازع تضافرت تتّرى في ذهن المُخاطب المتتبع لبلاغة السياق القرآني في التعبير باللسان.

وتكتمل فصول هذه المنظومة البديعة لأوصاف اللسان في القرآن الكريم بالموضع الرابع والأخير لها، وهو في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: ١١].

نزلت هذه الآية في بعض من تخلف من قبائل مُزينة وجُهينة وأشجع وأسلم وغيرها عن رسول الله ﷺ في غزوة الحُدَيْبِيَّة حين خرج مُعْتَمِرًا حَذَرًا من قريش أن يحاربوه؛ معتذرين بانشغالهم بالعديدة بأموالهم وأولادهم، طالبين من النَّبِيِّ ﷺ أن يستغفر لهم الله^(١)، ثمَّ تجيء مفردة اللسان بصيغة الجمع في الجملة القرآنية التالية مباشرة ﴿يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ لتُضْفِي دَلالة مهمة للسياق هي دَلالة كذبهم في اعتذارهم السَّابِق وطلب استغفارهم المزعوم^(٢)، فاعتذارهم وطلبهم الاستغفار غير صادرٍ من قلوبهم؛ إذ إنَّ قلوبهم قد عَشَّشَ فيها النِّفاق، وتعمَّقَ فيها الصُّدود، وأُشْرِبَ فيها الكذب. فجُلَّ مطلبهم وغاية مقصدهم هو ترميم صورتهم الخارجية أمام النَّاس، لا جدية الاعتذار أو صدق الاستغفار.

والملاحظ أنَّ الأسلوب في هذه الآية يتميَّز عن الأسلوب في الآية السابقة بميزتين، الأولى: عدم تضمُّنها مجازًا مرسلًا، والثانية: مجيء القول فيها بغير الذي في القلب، أمَّا آية «النور» السابقة فكانت بنفي العلم ﴿وَقَوْلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾. وإذا كان التلقِّي والتلقُّف في حديث الإفك صادرًا عن حسدٍ

(١) انظر: مثلاً تفسير السمعاني (٥/ ١٩٥)، وتفسير أبي السعود (٨/ ١٠٧).

(٢) انظر المرجع السابق ذاته.



نابع من القلوب التي أُشربتْ - في الموضوع السابق - وعن نارٍ حَقْدٍ دفينٍ تشتعلُ
أثافيهِ في أفئدتهم؛ فإن القول الصادر من اللسان في هذه الآية ليس نابعاً من
القلب وليس غرضُهُ الدخولُ إلى القلب، بل هو محض كذبٍ قولِيٍّ لا يُجاوِزُ
الأُذن ولا اتصال له بنياط قلوبهم البتّة؛ ذلك أنّهم قالوه دفعاً للتهمة وتحرّجاً من
القوم ألا يُفتضحوا بنفاقهم، غير مكترثين للنتيجة من قبول استغفار النبيّ لهم
من عدمه؛ فهم خاسرون لا محالة يوم القيامة، ثمّ هم مدركون لتلك الخسارة،
«ولمّا كان طلب الاستغفار منهم ليس من اعتقاد، بل على طريقة الاستهزاء،
وكانت بواطنهم مخالفةً لظواهرهم فضحهم الله بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِاللَّيْسِ بِهِمْ مَا لَيْسَ
فِي قُلُوبِهِمْ﴾، وهذا هو صنيع المنافقين»^(١)، على غرار مفتري الإفك - في الآية
السابقة - فكان كلام ألسنتهم مُعَبِّراً عمّا تُكنّه قلوبهم من أحقاد كما أسلفنا.

وإذا كانت الآية السابقة قد تضمّنت مجازاً مرسلًا علاقته الجزئية
في ﴿وَيَقُولُونَ بِأَفْوَاحِهِمْ﴾ باستعمال الأفواه استعمالاً مجازيّاً بمعنى الألسن؛
لأنّ اللسان هو آلة القول وسببهُ، فإنّ هذه الآية قد استعملت النطق باللسان
استعمالاً حقيقياً لا مجاز فيه؛ ذلك لأنّ الموقف في سورة «النور» كان مقام
سماعٍ بإخفاءٍ وسرعةٍ تُلَمِّحُ من التلقّف السريع دون تدقيق أو إعادة نظر، لكنّ
الموقف في آيتنا هذه مغايرٌ تماماً؛ إذ حرص المخلفين من المنافقين على
الجهر بالأعذار وطلب الاستغفار علانيةً لتجلية أمورهم للعامة لترضى عنهم؛
لأنّ ذلك هو غايتهم لا تحقيق رضا الله أو تحقيق شفاعته رسوله. وعليه فإننا
نَلَمَسُ هنا روعة التعبير القرآني وبلاغته الكامنة في إعطاء كلّ معنىٍ فرعِيٍّ دقيقٍ
لفظ طريفٌ خاص به ودالٌّ عليه ومُمَيِّزٌ له عن غيره، وتلك حكمة أخرى بالغة.

(١) فتح القدير، الشوكاني (٥/ ٥٧).



المبحث الخامس اللسان لغة للقوم

يُطلق اللسان في السياق القرآني ويُرادُ به اللغة المنطوقة أحياناً كثيرة من باب المجاز المُرسَل ذي العلاقة الآلية التي تُذكر فيه الآلة ويُراد ما ينتج عنها، أو ما تُستعمل فيه، كإطلاق العين على الرؤية؛ لأنَّ العين هي آلة الرؤية كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَاتُوبُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١]، «وإطلاق اللسان وهو اسم الجارحة المعروفة في الفم على اللغة مجاز شائع؛ لأنَّ أهمَّ ما يستعمل فيه اللسان هو الكلام»^(١). ولقد وردت مفردة اللسان في هذا السياق مُراداً بها اللغة ثمانِي مرات، أربعاً منها أُريد به اللسان العربي صراحةً وهو لسان النبي مُحَمَّد ﷺ من اللغة العربية الفصيحة، ومرة واحدة أُريد بها اللسان العربي ضمناً مع غيره من اللغات في سورة «إبراهيم»، والسادسة أُريد بها اللغة العبرية وهي لسان بني إسرائيل بنصِّ كلام اثنين من أنبيائهم هما سيدنا داود وسيدنا عيسى بن مريم صلى الله عليهما وسلم، والسابعة بمعنى اللغة الأعجمية وأُريد بها لغة النصارى «الرومية» في مقام المفارقة بينها وبين العربية في موضع النحل، أمَّا الثامنة فكان المُراد بها لغات البشر عامّة دون تعيين للغة قوم بعينهم في سورة الروم، فقد جاءت في سياق التّفكّر في عظيم مَن الله تعالى وتفرّد آلائه على خلقه في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

والمُراد فيها هو بيان نعمة الله على النَّاس باختلاف لغاتهم التي يتعاملون بها، فللفُرس لغة، وللتُّرك لغة، وللعرب لغة، أو اختلاف نغمات تلك اللغات

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٢١ / ٢٥).



فلا يتفق اثنان في نعمة واحدة^(١)، وهي نعمة فريدة مُستَجَلِبَةٌ للتفكير ولطلب العلم، وهل أمثلة المقارنات بين اللغات ومعرفة أسرارها وما تتميز به كل واحدة منها عن غيرها إلّا جزء من طلب العلم، فماذا كان سيكون الحال لو توحدت لغات العالم على لسان واحد؟! لهذا جاءت نعمة اللسان هذه سابقةً لنعمة اختلاف الألوان وصور الأشكال الإنسانية للتنبية على التفكير فيها تمامًا ككثرة التفكير في اختلاف الأشكال والصور أبيضها وأسودها وأحمرها، وهذا ما يلتقي تمامًا مع السرّ المعنوي الذي خُتمت به هذه الآية الكريمة من بين السبع آيات ذات المطلع الواحد ﴿وَمَنْ آيِنِهْ﴾ في هذه السورة دون غيرها، مع اختلاف خواتيمها^(٢)؛ فقد خُتمت بالاعتبار من أولى العلم دون سواهم «لأنَّ كلَّ واحد مُنفرد بلطفية في صوته يمتاز بها عن غيرها، حتى لا ترى اثنين في ألف يتشابه صوتاهما، ولا يتم الوصول إلى معرفة هذا إلا بالعلم»^(٣).

أمّا اللسان المُراد به اللغة العبرية فأريد بها معنى واحدٌ أيضًا هو معنى الذم لمكذّبي بني إسرائيل، وقد جاء في سياق البيان الرباني القرآني بالنص على تعذيبهم ولعنهم، ثم مسحهم قردهً وخنازير، وهو عند قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

(١) انظر: الكشف، الزمخشري (٣/ ٤٧٣)، وتفسير السمعاني (٤/ ٢٠٥).

(٢) ورد في سورة الروم سبع آيات كريمات تبدأ بقوله: ﴿وَمَنْ آيِنِهْ﴾ لكن فاصلتها مختلفة ما بين (ثم إذا أنتم تتشرون، لقوم يتفكرون، للعالمين، لقوم يسمعون، لقوم يعقلون، إذا أنتم تخرجون، لعلكم تشكرون) وهي الآيات (٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٤٦) على الترتيب. ولكل فاصلة منها دلالة تُناسب المعنى المطروق.

(٣) أسرار التكرار في القرآن، الكرمانى (ص ٢٠٢).



إنَّ بني إسرائيل من أصحاب السَّبَبِ وهم قوم سيدنا داود، ومن أصحاب المائدة وهم قوم سيدنا عيسى، قد استحقُّوا اللَّعن والطَّرْدَ من رحمة الله إلى عذابه ونكاله بما اقترفوا من خطايا وما ارتكبوا من آثام أفظعها الاعتداء على أنبيائهم بالقتل، وهذا ما لم يحدث في قوم من العالمين؛ فجاء لعنهم بكلِّ لغة وعلى كلِّ لسان. ثمَّ جاء لعنهم في هذا الموضع على ألسنة أنبيائهم في كتبهم المنزَّلة باللغة التي يفقهها بنو إسرائيل من اللغة العبرية بقولهم: «اللَّهُمَّ الْعَنَّهُم واجعلهم آية؛ فمُسِّخُوا قُرْدَةً وَخَنَازِيرَ»^(١). وإنما جاءت إضافة اللغة إلى الأنبياء الكرام في هذا الموضع؛ لأنَّ بني إسرائيل كانوا يتباهون أنهم من أبناء الأنبياء؛ فجاء لعنهم على لسان الأنبياء ذاتهم^(٢). وأجلى دليل على أنَّ المقصود باللسان هو اللغة التي ينطقها اللسان هو قول سيدنا داود وعيسى بلفظ اللَّعن^(٣).

أمَّا اللسان الوارد في القرآن الكريم والمراد به اللغة العربية فتنوعت المعاني التي طُرقت به وتعددت مشاربه، فهو تارة يأتي في سياق التيسير للقرآن المنزَّل على النبيِّ للبشر طائعهم وعاصيهم مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وذلك في موضعين من القرآن المجيد، أولهما في سورة «مريم» عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، والثاني في سورة «الدُّخان» عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨].

فأمَّا موضع مريم فاقترن التيسير الإلهي باللسان فيه بنقيضين هما البشارة والإنذار؛ الأولى مع المُتَّقِينَ، والأخرى مع الألداء المُعَانِدِينَ، أي: المبالغين في الخصومة والجدال بالباطل فـ «الكلام واحد والخطاب واحد، وهو لقوم

(١) انظر مثلاً: الكشف، الزمخشري (١/٦٦٦)، ومفاتيح الغيب الفخر الرازي (١٢/٤١٢).

(٢) انظر مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (١٢/٤١٢).

(٣) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي (١/٥٧٣).



تيسير، ولا خرين تخويف وتحذير»^(١). ومن المعلوم أن تيسير القرآن متعدّد المشارب والوجوه؛ كتيسير معانيه، وتيسير حفظه، وتيسير أدائه وغيرها، وما يَهْمُنَا هنا هو تتبع الوجه الذي وقع به التيسير في هذا الموضوع، وهو أنه نزل باللغة السهلة القريبة من الفهم البعيدة عن الغموض «ووقع التيسير في كونه بلسان محمد ﷺ وبلغته المفهومة المبينة»^(٢)؛ إذ الصعوبة جميعها والعسر كُله في محاولة فهم لغة مُعَقَّدة غامضة لا يفهمها المرء ولا يدري أمرها من نهيبها، ولا يتبين وعدّها من وعيدها.

وأما موضع الدُّخَانِ فاقترن ذلك التيسير باللسان بغاية واحدة وحيدة هي التذكُّر، تذكُّر الحكمة من إنزاله تحديداً باللسان العربيّ دون سواه وهي التيسير، دلّ على هذا الأداة الحاصرة «إنما»؛ فكأنَّ القرآن الكريم لا يكون سهلاً للفهم يسيراً للتذكُّر إلّا بكونه نازلاً باللغة العربية دون سواها، وفي هذا ذكرى للذاكرين. وتبرز العلة البلاغية لهذا القصر ببيان نوعه وهو قصر قلب^(٣)؛ فلما قابل المشركون إنزال هذا القرآن في ليلة القدر المباركة بالشكّ واللَّعبِ الهازئ في مطلع السورة عند قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان: ٩]، حَسُنَ الرَّدُّ عليهم بقلبٍ مُعْتَقِدِهِمْ وَرَدَّ الْحِجَّةَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّ اللُّغَةَ الَّتِي نَزَلَ بِهَا هِيَ لُغَتُكُمْ الَّتِي بِهَا تَتَحَدَّثُونَ وَبِهَا تُفَاخِرُونَ وَعَنْهَا تُدَافِعُونَ.

ثمّ تتضافر الإمكانات التعبيرية الأخرى في آيتنا الكريمة لتدعيم معنى الحصر وتثبيتته؛ فالباء الجارة لِلُّغَةِ في «بلسانك» معناها السَّبَبِيَّةُ؛ فَعِلَّةُ التَّسْهِيلِ الْقُرْآنِي أَيْضًا هِيَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَبِغَيْرِهَا رَبَّمَا اعْتَوَرَ التَّنْزِيلُ شَيْءً مِنَ الصَّعُوبَةِ إِنَّ

(١) تفسير القشيري (٢/ ٤٤٤).

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٣٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥/ ٣٢١).



لم تكن الصعوبة كلها، ثم أُضيفت اللغة إلى ضمير الرسول محمد ﷺ إضافة رفع؛ لمكانته وعنايةً بجناب مقامه الرفيع، «والباء في بلسانك للسببية، أي: بسبب لغتك، أي: العربية، وفي إضافة اللسان إلى ضمير النبي ﷺ عنايةً بجنابه وتعظيم له»^(١).

وتارةً أخرى يأتي اللسان مراداً به اللغة العربية في سياق الإبانة والجلاء والإفصاح، وذلك موضعين من النظم الشريف أيضاً، وقع أولهما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. بينما وقع الثاني في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

فكلا المقامين جاء في مقام عام هو مقام بيان اللغة التي نزل بها القرآن، وهي اللغة العربية في وضوح تراكيبها، وفهم ألفاظها وضوحاً كاشفاً لما للإنسان ولما عليه، محيطاً بكل أفضية الحياة، قاطعاً لعذر عدم الفهم، مقيماً لحجة البلاغ السهل الميسور؛ لأنه لو نزل بغيرها لكان مظنة الدعوى بتعذر الفهم أو سوءه^(٢).

أما مقام موضع «الشعراء» الخاص، فهو ما دلت عليه الآيتان السابقتان له، وهما قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١١٣) ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] إنه مقام موضع التنزل الدقيق للوحي القرآني، وهو قلب النبي محمد ﷺ دون سواه. فإذا كان القرآن قد نزل على قلبه ﷺ خاصة، فكيف يتلقاه الآخرون وكيف يسمعون ويحفظونه؟ هنا يأتي دور اللسان العربي الذي

(١) المرجع السابق (٣٢١ / ٢٥).

(٢) انظر مثلاً: الباب، أبو حفص الحنبلي (٨٠ / ١٥)، وتفسير ابن كثير (١٦٢ / ٦).



يُخْرِجُ الْقُرْآنَ إِلَى النَّاسِ^(١). وَعَلَيْهِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ التَّنْزِيلِ هُوَ قَلْبُ الرَّسُولِ بَعْدَهَا يَكُونُ مَتْنُهَا قُلُوبُ الْمُتَلَقِّينَ وَالسَّامِعِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ هُوَ وَسِيلَةُ الْإِخْرَاجِ وَالْإِنْشَارِ وَالذُّيُوعِ وَالصِّيَانَةِ وَالْقِرَاءَةِ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْآلَةُ هِيَ أَوْضَحَ اللُّغَاتِ وَأَفْصَحَهَا، أَصْبَحَ بِذَلِكَ الْآلَةُ الَّتِي مِنْ نَتَاجِهَا تَعْمَلُ الْأُذُنُ بِالِاسْتِمَاعِ وَالْإِنْصَاتِ، وَيَعْمَلُ الْعَقْلُ بِالتَّدَبُّرِ وَالِافْتِكَارِ، وَتُطَبَّقُ الْجَوَارِحُ بِالطَّاعَاتِ وَالِابْتِعَادِ عَنْ طَرِيقِ الْفُجَارِ.

وَأَمَّا الْمَقَامُ الْخَاصُّ لِمَوْضِعِ سُورَةِ «النَّحْلِ» فَهُوَ مَقَامُ الْإِبْطَالِ لَطَعَنِ الْكَافِرِينَ عَلَى الْقُرْآنِ وَعَلَى النَّبِيِّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَمَقَامُ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَهُوَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾، لِمَا رُوي أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَتَعَلَّمُ مِنْ سَمَاعِهِ لِلُّغَةِ غَلَامِينَ نَصْرَانِيَّيْنِ كَانَا يَقْرَأْنَ كُتُبًا بِلِسَانَيْهِمَا^(٢). فَالْمَشْرِكُونَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَالُوا فِي طَعْنِهِمْ عَلَى الْقُرْآنِ مِثْلًا عَظِيمًا بِنِسْبَتِهِ إِلَى لُغَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ^(٣)، وَهُوَ مِثْلُ مُثِيرٍ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْاسْتِغْرَابِ، فَكَيْفَ لِأَسْلُوبِهِ الْفَصِيحِ الَّذِي مَا إِنْ سَمِعْتُمُوهُ حَتَّى اعْتَرَفْتُمْ لَهُ بِالتَّفَوُّقِ وَالْبِرَاعَةِ، وَوَقَفْتُمْ أَمَامَ مُجَارَاتِهِ عَاجِزِينَ، وَأَمَامَ عُلُوِّ فَصَاحَتِهِ مُنْدهَشِينَ، كَيْفَ لَهُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيمًا مِنْ لُغَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ لَا تُبَيِّنُ؟! وَهَذَا هُوَ الْمَوْضِعُ السَّابِعُ الَّذِي جَاءَ فِيهِ اللِّسَانُ بِمَعْنَى اللُّغَةِ فِي التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْوَحِيدُ الَّذِي أُريدَ بِهِ اللُّغَةُ الْأَعْجَمِيَّةُ، وَهِيَ هُنَا لُغَةُ النَّصَارَى تَحْدِيدًا، أَيْ: الرُّومِيَّةُ.

(١) انظر: خواطر حول القرآن، الشعراوي (١٧/١٠٦٩٢).

(٢) انظر: أسباب النزول، الواحدي (ص ٢٨١).

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٦/٥٩٦).



وهنا نخلص إلى الموضوع الثامن والأخير لمواضع اللسان اللغة في القرآن الكريم، وهو ذاك الذي في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]. فقد جاءت اللغة (اللسان) في سياق أسلوب القصر البليغ تارة أخرى مع ما يتطلبه من رد على زعم بطلب إنزاله بلغة غير العربية، فتضمنت قصر إرسال الرسول على لغة (لسان) قومه فقط، ونفي أي لسان آخر عن رسول القوم. وجاء اللسان مقصوراً عليه من باب القصر الإضافي، بمعنى: أن صفة إرسال الرُّسل خُصِّصَتْ بموصوفٍ هو لغة أقوامهم دون نفي اللغة عن غير الإرسال؛ فهي لغة تخاطب القوم ولغة مآكلهم وملبسهم وحياتهم التي يتعاملون؛ ليقلب اعتقاد المخاطبين من المشركين الذين يتعین أنهم قالوا: هَلَّا أُنْزِلَ القرآن بلغة العجم^(١).

.....

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣/ ١٨٥).



المبحث السادس

اللسان مع السوء عمومًا

يُلاحظُ في هذا الجزء الأخير من البحث أنَّ مفردة اللِّسان في القرآن الكريم جاءت بمعنى الجارحة المحضّة في سياقات من التعبير عن أفعال أو معانٍ سيّئة عامّة، فهو - كما قدّمنا - على كثرة منافعِه فإنّه إن استعمل في الشرِّ انقلبت حسناته إلى سيّئاتٍ واستحالت خيراته إلى شرورٍ كثيرة يُمكن أن تربو على الحصر، فما الغمز، واللمز، والهَمْز، والغيبة، والنميمة، والفتنة، والقذف، والقول بغير علم، والشتّم، والقُدح، والسُّباب، والكذب، واللَّعن إلا جزء من سيّئاته، حتّى أُلِّفَتْ في سيّئاته المؤلفات، ووُضِعَتْ في بيان أضرارها المُصنَّفات^(١)، وهي سيّئات يَصِحُّ أن تقعَ من المؤمنين أو من الكافرين على السواء.

أمّا سيّئات اللسان التي جاءت في المواضع القرآنية مقترنةً بمفردته فجاءت أربع مرات جميعها في حقّ الكافرين، سواءً أكانوا من أهل الكتاب خصوصًا اليهود في موضعيه من سورتي «آل عمران» و«النساء»، أو مع المُعَوِّقين من المنافقين والذين في قلوبهم مرض في موضع سورة «الأحزاب»، وأخرى مع كفار مكّة والكفار عمومًا في موضع سورة «الممتحنة».

أمّا مجيئها مع أهل الكتاب من الذين هادوا أو الذين قالوا: إنهم نصارى، فجاءت معهم مُضمّنةً في سياق الحِقد على الموحّدين المُصدِّقين بالنبيِّ محمد ﷺ بعد مبعثه، فَبَعْدَ فَشْلِهِمْ في جميع محاولاتهم السابقة في النّيل من الدعوة المحمّدية وأتباعها من إضلال المؤمنين، والكفر بآيات الله، وإلباس

(١) انظر مثلاً: آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة، القحطاني (ص ٦٢ - ٦٩).



الحقّ بالباطل، والإغراء بالإيمان بجزء من النهار دون سائره^(١)، لم يجدوا بُدّاً من محاولة القدح في آيات القرآن أو محاولة تغييرها وتحريفها وألّتهم في ذلك اللسان، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران ٧٨]. وهذا أيضاً سرٌّ من أسرار البراعة القرآنية في التعبير؛ إذ إنّه لا يستطيع أن يُغيّر الكلام عن حدّه جارحةً غير اللسان، فاتّخذوه وسيلةً لِيّ عاطفين أعناق الكلام عن حدّ الاستقامة إلى العوج؛ تليساً وتدليساً على العوام ليظنّوه من القرآن^(٢)، دلّ على جهل بعض أولئك العوام تأكيد الخبر الإنكاري بأعلى درجات التأكيد بأنّ واللام المزحقة في اسمها المؤخر إضافة إلى تكرار بعض الألفاظ، وربّما استعملوا ألسنتهم في تشويه دلالة بعض الآيات الخاصة بنبوّ سيدنا محمّد بإلقاء الشبهات والشكوك حولها^(٣).

وفي آية النساء جاء التعبير عن اللّيّ ذاته بذكر لونٍ من ألوانه المقيّنة التي كان يستعملها أهل الكتاب في تحريفهم الحاقط ومحاولة تشويههم الواهم للكتاب العزيز، وهو إزالته لبعض ألفاظه، وإمالتها عن معانيها الأصلية؛ كالفاظ: راعنا واسمع غير مُسمع، في قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْدِينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَأَنْظُرْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

(١) انظر: الآيات (٦٩-٧٧) من سورة آل عمران.

(٢) انظر: تفسير السمعاني (١/ ٣٣٥)، وتفسير القشيري، (١/ ٢٥٣).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (٨/ ٢٦٩)، والمححر الوجيز، ابن عطية (١/ ٤٦٠).



فَمَرَدُّ التَّحْرِيفِ رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَسْمِعْ عَيْرَ مُسْمِعٍ﴾؛ لَأَنَّهُ يَحْتَمِلُ مَعْنَى الدُّعَاءِ عَلَى النَّبِيِّ بِالصَّمَمِ عَلَى مَعْنَى: لَا سَمِعْتَ، وَإِلَى قَوْلِهِ: ﴿رَاعِنَا﴾؛ لِأَنَّهَا مِنَ الْأَضْدَادِ؛ فَكَانُوا يَقْصِدُونَ وَصْفَهُ ﷺ بِالرُّعُونَةِ وَالطَّيِّشِ مُظْهِرِينَ خِلَافَ ذَلِكَ مِنَ الْمُرَاعَاةِ، وَهَذَا هُوَ عَيْنُ إِزَالَةِ الْكَلَامِ وَإِمَالَتِهِ عَنْ مَوْضِعٍ مَعْنَاهُ مِنَ الْحَقِّ إِلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْبَاطِلِ، «فَكَانَتِ الْيَهُودُ إِذَا خَاطَبَتِ النَّبِيَّ بِغَيْرِ مَسْمَعٍ، أَرَادَتْ فِي الْبَاطِنِ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ ظَاهِرًا أَنَّهَا تَرِيدُ تَعْظِيمَهُ... وَكَذَلِكَ رَاعِنَا كَانُوا يَرِيدُونَ مِنْهُ فِي نَفْسِهِمْ مَعْنَى الرُّعُونَةِ، وَيُظْهِرُونَ مِنْهُ مَعْنَى الْمُرَاعَاةِ، فَهَذَا مَعْنَى لَيْيَ اللِّسَانِ»^(١)، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى حَسَمَ مُحَاوَلَةَ التَّشْوِيهِ أَوْ التَّحْرِيفِ تِلْكَ بِالنَّهْيِ الصَّارِمِ عَنْ قَوْلِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ الْحَمَّالَةِ لِلْوُجُوهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] فَلَا يَنْطِقُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعْلُومَ النِّفَاقِ. وَإِنَّمَا وَجِبَ التَّنْبِيهُ عَلَى هَذِهِ الْأَلْفَاظِ بِالنَّصِّ عَلَيْهَا صِرَاحَةً فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ؛ لِأَنَّ ظَاهِرَهَا أَلْفَاظَ لِسَانٍ عَادِيَّةٍ لَا قَدَحَ فِيهَا أَوْ تَجْرِيجَ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَرِيدُوا بِهَا الْإِيهَامَ بِأَنَّهَا مِنَ الْكِتَابِ كَمَا فِي مَوْضِعِ «آلِ عِمْرَانَ» السَّابِقِ، وَهَذَا كُلُّهُ حَتَّى لَا يُخْدَعَ بِهَا أَحَدُ الْعَوَامِّ أَوْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِهِمْ.

كَمَا جَاءَ اللَّسَانُ فِي إِطَارِ تَجْلِيَةِ الْحَقِّ الدِّفِينِ فِي غِمَارِ الْحَرْبِ الْكُفْرِيَّةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَكُونَ أَحَدُ مَعَاوِلِهَا فِي مُحَاوَلَةِ هَدْمِ صَرْحِ الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّفْتِيتِ فِي أَعْضَادِهِمْ، فَهَمَّ الْعَدُوُّ الَّذِي يَحْشُدُ جَمِيعَ مَا اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ السُّوءِ فِي حَرْبِ الْمُوَحِّدِينَ حَالِ ظَفَرِهِمْ وَتَمَكُّنِهِمْ مِنْهُمْ ﴿إِنْ يَتَفَقَّوْكُمْ﴾، يَقِفُ عَلَى رَأْسِ تِلْكَ الْأَسْبَابِ أَلْسِنَةُ السُّوءِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَتَفَقَّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]. فَإِذَا كَانَ بَسْطُ الْيَدِ

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية (١/٦٢).



بالسوء يشمل القتال والجراح وسائر الأذى المادي؛ فإنَّ أذى اللسان أعظم خطرًا وأدوم أثرًا من السبِّ والشتم والقدح والعيب^(١)؛ لشخص المؤمنين وشخص النبي الأكرم؛ فتجري بتلك الشتائم الركبان، وتذكرُ كلما ذُكرَ صراع الفريقين؛ فلا يلتأم بعدها ما جرح اللسان.

وأما الموضع الأخير لموضع معنى السوء الذي جاء اللسان في القرآن الكريم للتعبير عنه، فقد كان في منظومة التعبير عن أخطر فئة على المجتمع المسلم، وهي فئة المنافقين عند قوله تعالى: ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبِطْ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩].

فقد جاء بمفردة اللسان إثر التعبير عن بُخل أولئك المنافقين على المؤمنين يوم الخندق بالحفر فيه، أو بالقتال معهم، أو بالإنفاق على المحتاجين من الفقراء والمساكين منهم، أو بحيازة الغنائم وحدهم^(٢)، ثم يختار النظم الكريم مفردة فريدة للتعبير عن الإيلام الرهيب والأذى العظيم مفردة «السُّلُق» التي لم ترد في النظم القرآني غير هذه المرّة، يختارها للتعبير عن طعن المنافقين على المؤمنين بلسانٍ من حديد وهو أدْيَتُهُمْ بأشدَّ الكلام الجارح وبالمبالغة في العيب والخصومة^(٣)، بعد انتهاء أعتى أزمة كانوا يواجهونها من دوران أعينهم في كلِّ جهة كالذي يُغشى عليه من الموت حيارى فرقًا من فجأة الموت وخوفًا من سهامه وقت اشتعال الحرب.

(١) انظر: تفسير المراغي (٢٨/٦٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤/١٥٣-١٥٤).

(٣) انظر: خواطر حول القرآن، الشعراوي (١٩/١١٩٧٥).



كما أن لهذه المفردة معاني حسية مادية ذكرها بعض أصحاب المعاجم تظهر مزيداً من بلاغة استعمال هذه المفردة للسان في هذا الموضع - موضع وصف إيلام المنافقين وإيذائهم للمؤمنين - ومن تلك المعاني نزع الجلد «وسلقه بالسوط وملقه، أي: نزع جلده»^(١)، وعلى هذا المعنى يمكن أن يُخرج معنى الآية على الاستعارة المكنية اللطيفة بتشبيه اللسان بالسوط الذي ينزع شيئاً عن أصله بجامع ما يترتب عليهما من شديد الإيذاء وبالغ الإيذاء، وقد حذف المشبه به وأبقى على صفة من صفاته وهي نزع الجلد على سبيل الاستعارة المكنية الحسية التي تجسم الأمور المعنوية وتحيلها مادية ملموسة أو مشاهدة؛ ليزيد من قوة معناها المراد؛ فما راء كمن سمعاً. وبمزيد من التدبر في هذا المعنى المادي لهذه المفردة يتبين الإعجاز القرآني المبين؛ لأن هذا المعنى الحسي للسلق الذي يلحق ذلك الأذى المادي الرهيب من نزع الجلد بطريق الاستعارة يكون فقط إذا شُبَّ اللسان بالسوط، فكيف لو شُبَّ هذا اللسان بسوط مصنوع من حديد؟! إن أثره سيكون أبلغ وأثره أعمق وإيلامه سيكون بالطبع أشد، فلربما نزع اللحم مع الجلد أيضاً، فانظر كيف انتظمت هذه المفردة في هذه الاستعارة البليغة مع تلك الصفة بالحديد في بدیع من النظم تتفجر منه المعاني الراقية، والحكم البالغات.

وهنا أيضاً تتجلى فريدة من فرائد بلاغة التعبير القرآني المتمثل في تضافر الإمكانات التعبيرية وحشدها في نقل المعنى تاماً بالغاً، فشح المنافقين يُحيط بالمؤمنين من جوانبهم كافة، من قبل سلق اللسان ﴿أَشَحَّةَ عَلَيْكُمْ﴾، ومن بعده ﴿أَشَحَّةَ عَلَى الْخَيْرِ﴾، ثم يأتي غمزهم وتناولهم بشتى ألوان العيب والتأنيب بلفظ

(١) القاموس المحيط، (١/ ٨٩٤)، ولسان العرب، (١٠/ ١٦٠). ومن تلك المعاني المادية الغلي بالنار، وسلق الأديم دهنه، وأسلق الرجل إذا أبيض ظهره بغيره.



«السَّلَق» حتى لكأن المتلقّي يشعر بشدّة الإنهاك الذي اعترى المؤمنين إثر أذية المنافقين اللّسانية لَمَّا كان السَّلَق يُضَعِّفُ المسلوق ويُنْهِكُهُ إلى حدٍّ بعيدٍ، ثمّ يأتي بعد ذلك الجديد في معنى السَّلَق هذا وهو أداة السَّلَق والغمز والإضعاف، وهي أقوى آلة في هذا المضمّار وهو لسان حديديّ صليّت لا يكلُّ من التَّعْيِيبِ، ولا يَمَلُّ من القدح والتَّأْنِيبِ، ولا يَنْبِي طالبًا المزيد من الغنائم التي لا حقَّ له فيها؛ لِيُكْمِلَ اللسان بذلك المعنى الفريد الذي وُظِّفَتْ مفردة «السَّلَق» من أجل التعبير عنه. وفي هذا أيضًا حكمة بالغة لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ في بلاغة التَّعْبِيرِ الْمُعْجَزِ. وأمّا الشُّحُّ فهو البُخل بما في المقدور عليه من النّصر أو الإعانة عن الغير دون النفس، وهو أبلغ في المنع من البخل^(١)، وربما كانت المناسبة بين وصف أولئك المنافقين بالأشحّة على الخير وبين وصفهم البليغ بالسَّلَق ترجع إلى سرّ تعديّة فعل الشُّحِّ هذا بـ «على» دون الباء؛ لما في تعديّته بـ «على» من معنى الاعتداء على الشخص الممنوع بذلك الشُّحِّ^(٢). فيكون أولئك المنافقين قد اعتدوا على المؤمنين بمنعهم من النّصر والعون على عدوِّهم المداهم لبلدِهم عند الحاجة إليه، منعًا مستعليًا على حيازة سائر المال دون أن يكون للمؤمنين أدنى نصيب منه^(٣)، وهذا يأتي في سياق أسباب الإيذاء الكثيرة التي جمعتها زمرة الذين مردوا على التّفاق في حرب المؤمنين.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٢/٤٩٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١/٢٩٦).

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (١٥/٣١٥).



الخاتمة

وهكذا يرسو هذا البحث إلى مرفأ نتائج مسجلاً أبرز ما توصل إليه من نتائج ودلالات عميقة للتعبير بألفاظ اللسان في آيات سور القرآن الكريم، ومن أهمها:

- ♦ وردت مفردة اللسان في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة في ثماني عشرة سورة منه، عشر مرات مفردة من غير إضافة «لسان»، وثلاث مرات مضافة لضمير الخطاب «لسانك»، ومضافة إلى ياء المتكلم «لساني» مرتين فقط، بينما وردت مجموعة عشر مراتٍ أخرى، مرةً دون إضافة «السنة»، وثلاثاً أُضيف إلى المخاطب «ألستكم»، وستاً أُضيفت فيها لضمير الغيبة «ألستهم».
- ♦ جاءت ألفاظ اللسان هذه ضمن أساليب بلاغية أغلبها الإنشاء الطلبي بنوعيه الأمر والنهي، والخبر بأنواعه، كما ورد في أساليب القصر بـ «إنما»، والشرط، والمجاز المرسل ذي العلاقة الآلية.
- ♦ كما جاءت هذه المفردة للتعبير عن ستة سياقات معنوية عامّة، وهي: العقدة والانطلاق، والصدق، والكذب، واللغة، والشهادة، والسوء عموماً، وكان لكل سياق منها مقامٌ معنويٌّ خاصٌّ بكل موضع على حدة.
- ♦ وردت مفردة اللسان في سياق الانعقاد والانطلاق ثلاث مرات بصيغة الأفراد، واحدة باللفظ الصريح، واثنين بالكناية، وثلاثتها للتعبير عن موقف الهيبة والرهب العظيم الذي دخل قلب سيدنا موسى قبل ملابسات إرساله إلى أعنى ملوك الفراعنة، وأكثرهم تسلطاً وبغيّاً وجبروتاً في حينه.



♦ جاء اللسان ثلاث مرات أيضًا في سياق الشهادة للتعبير عن الشهادة القويّة، والحجّة الدامغة التي لا سبيل لإنكارها على الخائضين في عرض أمّ المؤمنين عائشة يوم العرض الأكبر، وعلى المذنبين بشكل عامّ في موضعين، بينما جاء للتعبير عن الشّهادة للنبيّ محمد ﷺ لا عليه في شدّة حرّصه في تلقّي القرآن والعجلة فيه؛ خوفًا عليه.

♦ كما ورد اللسان موصوفًا بالصّدق ثلاث مرات أيضًا بصيغة الإفراد كلها في حقّ الأنبياء الكرام؛ اثنتين مع سدينا إبراهيم عليه السلام؛ تخليدًا لذكره وبيانًا لفريد فضله وتقدّمه، ومرة واحدة وصفًا للنبيّ محمد ﷺ، أو للقرآن المنزّل عليه على الوجه الآخر لقراءة ذلك الموضع.

♦ وورد موصوفًا بالكذب أربع مرات، لكنها كانت جميعًا بصيغة الجمع، في سياق التعبير عما تفوّه به الضّالّون والكافرون وبعض أهل الكتاب من الافتراء عليه سبحانه فيما شرّع بتحليل حرامه وتحريم حلاله، أو افتراءهم بنسبة البنات إليه سبحانه، أو للتعبير عن افتراء المفترين في حديث الإفك، وأخيرة للتعبير عن الاعتذار الكاذب للمخلفين من المنافقين عن رسول الله.

♦ كان النّصيب الأوّل للسان في القرآن الكريم مُرادًا به اللّغة على اختلافها ثمانِيّ مرات، أربعًا منها أريد به اللّغة العربية صراحةً، ومرة واحدة أريد بها اللسان العربي ضمّنًا مع غيره من اللّغات، والسادسة أريد بها اللّغة العبرية وهي لسان بني إسرائيل، والسّابعة بمعنى اللّغة الأعجمية وأريد بها «الرومية» في مقام المفارقة بينها وبين العربية، أمّا الثامنة فكان المُراد بها لغات البشر عامّة دون تعيين.



♦ أخيراً ورد اللسانُ أربع مراتٍ للتَّعبير عن السَّوء عموماً جميعها في حقِّ الكافرين سواءً اليهود في موضعين للتَّعبير عن حَقْدِهِم على المؤمنين ومحاولة تحريف قرآنهم، أو مع المنافقين في موضع واحد في سياق التَّعبير عن شدَّة إيلاهم للمؤمنين والاجتهاد في إضعافهم، أو مع الكفَّار عموماً في الموضع الأخير للتَّعبير عن انتظارهم فرصة الظَّفَر على المؤمنين فيستأصلوهم.

♦ أوصي الباحثين بمحاولة إكمال دراسة بعض المفردات القرآنية التي لم تُطرق بعدُ بأمثال هذه الدِّراسة البلاغيَّة الأسلوبية، مع تتبعها في جميع مواضعها من النِّظم القرآني محاولين تبيان شيءٍ من أسرار إعجاز تراكيبها.





المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أولاً: المصادر:
- ١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. العمادي، أبو السعود محمد بن محمد. د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- ٢. أسباب النزول. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري. تحقيق: عصام الحميدان. ط ٢، الدمام: دار الإصلاح، ١٩٩٢ م.
- ٣. أسرار التكرار في القرآن. الكرمانى، محمود بن حمزة. تحقيق: عبد القادر عطا. د. ط، د. م: دار الفضيلة، د. ت.
- ٤. إعراب القرآن. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. تعليق: عبد المنعم إبراهيم. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ.
- ٥. الإمتاع والمؤانسة. التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس. ط ١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤ هـ.
- ٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ.
- ٧. البحر المحيط في التفسير. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي. تحقيق: جميل صدقي. د. ط، بيروت: دار صادر، ١٤٢٠ هـ.
- ٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب. تحقيق: محمد علي النجار. د. ط، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٦ م.



٩. البصائر والذخائر. التوحيد، أبو حيان علي بن محمد بن العباس. تحقيق: وداد القاضي. ط ١، بيروت: دار صادر، ١٩٨٨ م.

١٠. التبيان في إعراب القرآن. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله. تحقيق: علي محمد البجاوي. د. ط، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د. ت.

١١. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. تحقيق: محمد شمس الدين. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ.

١٢. تفسير القرآن. السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد. تحقيق: ياسر إبراهيم وعباس غنيم. ط ١، الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧ م.

١٣. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن. ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

١٤. تفسير لطائف الإشارات. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط ٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.

١٥. تفسير مجاهد. مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي. تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل. ط ١، القاهرة: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٩٨٩ م.

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط ١، د. م: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م.

١٧. الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤ م.



١٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. تحقيق: محمد معوض وعادل عبد الموجود. ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ.

١٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. د. ط.، بيروت: دار الفكر، د. ت.

٢٠. زاد المسير في علم التفسير. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ.

٢١. سنن الترمذي. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد شاكر وآخرون. ط ٢، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥ م.

٢٢. شرح ديوان الحماسة. الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد. تحقيق: غريد الشيخ. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م.

٢٣. شرح ديوان المتنبي. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد. د. ط.، د. م.، د. ن.، د. ت.

٢٤. الصحاح تاج اللغة وسر العربية. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م.

٢٥. العقد الفريد. ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمود الأندلسي. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ.

٢٦. فتح القدير. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. ط ١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ.



٢٧. فقه اللغة وسر العربية. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط ١، د.م: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م.

٢٨. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو. ط ٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٢٩. اللباب في علوم الكتاب. الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل. تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٣٠. لسان العرب. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي. ط ٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٣١. مجمع الأمثال. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

٣٢. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. ط ١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ.

٣٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٣٤. مسند أبي يعلى. الموصلي، أبي يعلى. تحقيق: حسين سليم أسد. ط ١، دمشق: دار المأمون، ١٩٨٢م.



٣٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٣٦. معجم مقاييس اللغة. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء. تحقيق: عبد السلام هارون. د. ط. د. م: دار الفكر، ١٩٧٩م.

٣٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. د. ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت.

○ ثانيًا: المراجع:

١. إعراب القرآن وبيانه. الدرويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. ط ٤، دمشق: دار اليمامة، د. ت.

٢. آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة. القحطاني، سعيد. ط ٩، الرياض: مطبعة سفير، ١٤٣١هـ.

٣. التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد. د. ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٤. تفسير المراغي. المُرَاجي، أحمد مصطفى. ط ١، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٦م.

٥. خواطر حول القرآن الكريم. الشعراوي، محمد متولي. د. ط، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.



٦. ديوان زهير. ابن أبي سُلمى، زهير. اعتناء وشرح: حمدو طَمَّاس. ط ٥، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٥ م.
٧. ديوان طرفة بن العبد. طرفة ابن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. ط ٣، د. م: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م.
٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. عبد الباقي، محمد فؤاد. ط ١، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٦ م.





فهرس الموضوعات

١٣٩	 مستخلص البحث
١٤٠	 خطة البحث
١٤٣	 التمهيد
١٤٨	 المبحث الأول: عقدة اللسان وانطلاقه
١٥٤	 المبحث الثاني: اللسان والشهادة
١٥٨	 المبحث الثالث: اللسان ووصفه بالصدق
١٦٤	 المبحث الرابع: اللسان ووصفه بالكذب
١٧١	 المبحث الخامس: اللسان لغة للقوم
١٧٨	 المبحث السادس: اللسان مع السوء عموما
١٨٥	 الخاتمة
١٨٩	 المصادر والمراجع
١٩٥	 فهرس الموضوعات



مَجْلَدُ التَّكْوِينِ

البحث الرابع

حَمْدُ الرَّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
لِرَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

١/ حَضْرَةُ عَبْدَ اللَّهِ سَعَادِي شَوَاهِنَة

محاضر جامعي غير متفرغ - جامعة القدس المفتوحة، قلقيلية -
فلسطين -كلية العلوم التربوية تفسير وعلوم قرآن
وباحث في الدراسات القرآنية.

✽ حصل على درجة الماجستير في أصول الدين (القرآن والسنة) من كلية الدراسات العليا بجامعة
النجاح الوطنية / فلسطين بأطروحتة: «النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم».
✽ طالب دكتوراه في التفسير من كلية العلوم الإسلامية - المعهد العالي لأصول الدين بجامعة
الزيتونة / تونس.

أهم النتائج العلمية:

- ✽ بحث علمي محكّم بعنوان (نداءات يوم القيامة في ضوء القرآن الكريم).
- ✽ بحث علمي محكّم بعنوان (أوصاف القول في ضوء القرآن الكريم).
- ✽ بحث علمي محكّم بعنوان: (شكر الله ﷻ عند الرسل ﷺ في ضوء القرآن الكريم).
- ✽ بحث علمي محكّم بعنوان: (تعفف الرسل ﷺ عن مال أقوامهم دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم).
- ✽ بحث علمي محكّم بعنوان (منزلة المراقبة في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية).

✽ البريد الإلكتروني: hamzahamza1985@outlook.sa

مستخلص البحث

هذا البحث بعنوان «حمدُ الرُّسل ﷺ لربِّهم ﷻ في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية»، وقد هدف البحث إلى تسليط الضوء على مكانة عبادة التَّحْمِيد عند الرُّسل ﷺ من خلال آيات القرآن الكريم، ولتحقيق هذا الهدف سلك الباحثُ المنهجين الاستقرائيَّ والاستنباطيَّ، بحيث يعرِّض الآياتِ القرآنيَّة التي تناولت موضوع حَمْدِ الرُّسل ﷺ لربِّهم ﷻ، ثمَّ يستنبط أبرز سمات حَمْدِ الرُّسل ﷺ من خلال آيات القرآن الكريم، وقد خلَّص البحث في نتائجه إلى المكانة السَّامية لعبادة الحمد في كتاب الله ﷻ، وأنَّ الرُّسل ﷺ هم سادات الحامدين؛ حيثُ قاموا بحمد الله ﷻ بألستهم في السَّراء والضَّراء، والتأكيد على ضرورة التَّخلُّق بأخلاق الرُّسل ﷺ في حَمْدِ المُنعم على نعوت كماله وآلائه الجسيمة، وأوصت الدِّراسة بتوجيه البحوث العلميَّة إلى دراسة المواضع القرآنيَّة الأخرى التي وردت في شأن حَمْدِ الله ﷻ.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التفسير، الحمد، الرسل.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام
على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعدُ:

فلَمَّا كان حمد الله ﷻ من أَجَلْ منازل الذكر ومراتبها العالية؛ إذ هو
كَلِمَة ارتضاها الله ﷻ لنفسه، واصطفها لملائكته، ولَهَجَ بها صفوة خلقه من
رُسُلِه ﷺ، وافتتح بها كتابه العزيز؛ حيث قال ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[الفاتحة: ٢]، وَلَمَّا كان الجُمُّ الغفير من المسلمين يدركون مكانة الحمد، لكنَّهم
يغفلون عن مدلوله الصَّحيح، جاء هذا البحثُ بعنوان **(حمد الرسل ﷺ لربِّهم
ﷻ في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية)**؛ ليتناول منهج الرُّسل ﷺ في
حُمد الذات المقدَّسة، ثمَّ استنباط أبرز الجوانب التربوية من تحقيقهم ﷺ
لهذا الذكر الجليل، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم.

❁ أهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من الاعتبارات الآتية:

- ١- أهمية الموضوع نفسه الذي تبحث فيه الدراسة، وهو مقامُ الحمد.
- ٢- أنَّ هذه الدراسة تتعلَّق بصفوة الخلق وهم الرُّسل ﷺ.
- ٣- أنَّ هذه الدراسة تعالج موضوعاً تربوياً مهماً، وهو: هُدي الأنبياء
والرُّسل ﷺ في تطبيقهم لواجب حمد الله ﷻ قولاً وعملاً، وذلك في ضوء
آيات القرآن الكريم؛ وذلك ليسير المسلم على خُطى المرسلين.



٤- أن هذه الدراسة تعالج ذكراً جليلاً من الأذكار التي تتكرر كثيراً في حياة المسلم.

❁ مشكلة البحث:

هذا وتتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما هدي الرُّسل ﷺ في الحمد في ضوء القرآن الكريم؟

وتتفرع عن هذه المشكلة ثلاثة أسئلة أساسية:

- ١- ما المقصود بالحمد لغةً واصطلاحاً؟
 - ٢- مَنْ هم الرُّسل ﷺ الذين قصَّ القرآن الكريم أداؤهم لعبادة الحمد على سبيل الاستقراء التام؟
 - ٣- ما القيم التربوية المستنبطة من أداؤ الرُّسل ﷺ لحمد الله ﷻ؟
- ❁ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

- ١- التعرف على هدي الرُّسل ﷺ في التَّخَلُّق بخلق الحمد.
- ٢- بيان مفهوم الحمد وفضله ومواطنه.
- ٣- استجلاء سمات حمد الرُّسل ﷺ في القرآن الكريم، والتي تسهم بدورها في رسم ملامح الشخصية المسلمة الحاملة لربِّها ﷻ.
- ٤- دعوة الغافلين إلى حَمْدِ اللَّهِ ﷻ؛ وذلك بذكر أفضل النماذج البشرية التي حققت حمد الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ.
- ٥- لفتُ نظر المسلم للأهمية العظمى لعبادة التَّحْمِيدِ عند الله ﷻ.



✽ الدِّراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها :

من الدِّراسات السابقة المتعلِّقة بحمد الله ﷻ عند الرُّسل ﷺ في القرآن

الكريم ما يأتي:

١ - رسالة ماجستير موسومة بـ (آيات الحمد في القرآن الكريم - دراسة تحليلية موضوعية)، لكمال سيد^(١).

٢ - رسالة ماجستير موسومة بـ (الحمد في القرآن - دراسة موضوعية)، لعارف لطف^(٢).

٣ - رسالة ماجستير موسومة بـ (الحمد في القرآن الكريم والسُّنة النبوية - دراسة موضوعية)، لعبد الرحمن بن عابد الغريبي^(٣).

حيث تعرَّضت الدِّراسة الأخيرة لخلق الحمد في الكتاب الكريم والسُّنة المطهَّرة، واستقراء حمد الله ﷻ لذاته العليَّة، وكذلك حمْدُ المخلوقين له، وبيان مفهومه، وتوضيح آثاره، واستقراء مواطنه، وذكر صيغه، بينما لم أتمكَّن من الاطِّلاع على الدِّراستين الأولى والثانية، وبعد البحث الحثيث في الدِّراسات السابقة لم يعثر الباحث على أيِّ دراسة قرآنيَّة متخصصة منشورة درست هذا الموضوع بشكل مستقلٍّ سوى هذه الدِّراسة، على الرغم من تناول الدِّراسة المشار إليها موضوع الحمد في القرآن الكريم بعمومه، دون الحديث عن حمْد الأنبياء ﷺ كما فعل الباحث هنا، إضافة إلى معالجتها

(١) سيد، كمال: آيات الحمد في القرآن الكريم دراسة تحليلية موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، مصر.

(٢) عقيلان، عارف لطف محمد: الحمد في القرآن دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة الإيمان، (اليمن، ٢٠١١م).

(٣) الغريبي، عبد الرحمن بن عابد: الحمد في القرآن الكريم والسُّنة النبوية - دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (الإمارات، دبي، جمعية دار البر، ط ١، ٢٠١١م).



موضوع الحمد في السُّنَّة النبويَّة؛ حيثُ لم تقتصر على دراسة آيات الحمد في القرآن الكريم.

لذا يتبيَّن ندرة الدِّراسات القرآنية المحكَّمة التي درست هذا الموضوع، وحاولت بيان منهج الرُّسل ﷺ في الحمد في ضوء آيات الكتاب العزيز فحسب.

❁ ما يضيفه البحث:

ما ندَّعيه لهذه الدِّراسة من فروقات عن غيرها وما تضيفه علمياً هو: إبراز هذه الدِّراسة هدي الرُّسل ﷺ خصوصاً في الحَمْد كما عرضته آيات القرآن الكريم فحسب.

❁ حدود البحث:

سيعتمد هذا البحث على آيات القرآن الكريم فحسب؛ إذ هو المصدَّر الأول للتَّربية الإسلاميَّة، ولكنَّ الباحث سيعرِّج على التفاسير الأصيلَّة، لذا ستقتصر الدِّراسة في حدِّها الموضوعي على دراسة الآيات التي تضمنت بنصِّها مادة (حَمْد) ضمن الحديث عن مقام الحمد في حياة الرُّسل ﷺ.

❁ منهج البحث:

طبيعة البحث وأهدافه تتطلب استخدام المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، بحيث يستقرئ الباحث الآيات الكريمة التي تضمَّنَت الحمد عند الرُّسل ﷺ، ثُمَّ يستنتج الفوائد والمعاني التَّربوية المستنبطة من تلك الآيات.

❁ خطة البحث:

تمَّ تقسيم البحث إلى مقدِّمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، كما يأتي:

المقدِّمة: وتضمَّنَت أهمية الموضوع، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، والدِّراسات السابقة، ومنهجية البحث.



المطلب الأول: مفهوم الحمد ونظائره في القرآن الكريم وصوره.

المطلب الثاني: نماذج حمد الرُّسل عليهم السَّلام **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي**
ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثالث: القيم التَّربوية المستنبطة من حَمْدِ الرُّسل **ﷺ** **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي** القرآن الكريم.

الخاتمة: وتشتمل على أهمِّ النَّتائج والتَّوصيات.



المطلب الأول

مفهوم الحمد ونظائره في القرآن الكريم وصوره

يحسن الباحث في هذا المطلب قبل أن يتعرّض للحديث عن حمد الرُّسُلِ ﷺ لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، أن يمهد له ببيان معنى الحمد من خلال تأصيل المعنى اللُّغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، ثمَّ يعرِّج على ذكر نظائره في التَّنْزيل العزيز، فأقولُ والله المستعان:

○ الفرع الأول: مفهوم الحمد.

للّهُ أَوَّلًا: معنى الحمد لغة:

الحمد في اللغة: مصدر حمد، قال ابن فارس: «الحاء والميم والdal كلمة واحدة، وأصل واحد يدلُّ على خلاف الذَّمِّ، يقال: حمدتُ فلانًا أحمده، ورجل محمود ومحمد: إذا كثرتْ خصاله المحمودة غير المذمومة»^(١).

ويضيف صاحب العين قائلًا: «والتَّحْمِيد: كثرة حمد الله بحسن المحامد، وأحمد الرجل، أي: فعل فعلًا يُحمد عليه... والحمد: الثناء»^(٢).

للّهُ ثَانِيًا: معنى الحمد اصطلاحًا:

وفي تعريف الحمد في الاصطلاح قال الجرجاني: «إنَّه الثَّناء على الجميل من جهة التَّعْظِيم من نعمة وغيرها»^(٣)، ويوضح الطَّبْرِيُّ معنى (الْحَمْدُ لِلَّهِ)

(١) ابن فارس، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٣٩٥هـ): مقاييس اللغة، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، (حمد، ٢/ ١٠٠).

(٢) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ): العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، (حمد، ٣/ ١٨٨)، (٣/ ١٨٩).

(٣) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ): التعريفات، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، (٣٠).



قائلاً: «الشُّكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كلِّ ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النِّعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرِّزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدِّية إلى دوام الخلود في دار المُقام في النِّعيم المقيم. فلربُّنا الحمدُ على ذلك كله أولاً وآخرًا»^(١).

❦ ثالثاً: معنى الرُّسل والأنبياء:

الرُّسل: جمع رسول، والتَّعريف الذي رجَّحه ابن تيمية للرَّسول: مَنْ أُرْسِلَ إلى قومٍ مكذِّبين، والنَّبِيُّ: مَنْ أُرْسِلَ إلى قومٍ مؤمنين بشريعة رسولٍ مَنْ قبله يعلمهم، ويحكم بينهم^(٢).

❦ رابعاً: المقصود بحمد الرسل ﷺ لله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

والمقصود بحمد الرُّسل ﷺ لله ﷻ في هذا البحث، هو: دراسة الآيات القرآنيَّة التي وردت في سياق حَمْدِ الأنبياء والرُّسل ﷺ لله ﷻ، ولهجهم بشُّكره، سواء ورد ذلك بالأمر الصَّريح به، أو صدر من الرُّسل ﷺ مباشرة.

○ الفرع الثاني: نظائر الحمد في القرآن الكريم وصوره:

من خلال تتبُّع الباحث للألفاظ التي وردت في كتاب الله الكريم،

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط ١ - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، (١/ ١٣٥).

(٢) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ): النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (المملكة العربية السعودية: الرياض، أضواء السلف، ط ١ - ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ج ٢، (ص: ٧١٤-٧٢١).



وحملت في طياتها بعض معاني الحمد وصوره، تبين أنها عدة ألفاظ، وهي:

♦ **أولاً: التحديث:** وردت لفظة التحديث بمعنى الحمد في موضع واحد في القرآن الكريم، وهو قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا نِعْمَةٌ رَبِّكَ فَلَاحِدٌ﴾** [الضحى: ١١]، قال القرطبي: «أي: أنشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء، والتحدث بنعم الله، والاعتراف بها شكر»^(١). والتحدث بالنعم إحدى صور حمد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على نعمة الجزيلة.

♦ **ثانياً: الشكر:** وردت لفظة الشكر بمعنى الحمد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في معرض ثنائه **ﷺ** على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض وهو نوح **ﷺ**، واصفاً إياه بالعبد الشكور، فقال **ﷺ**: **﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾** [الإسراء: ٣].

واستحق نوح **ﷺ** وصف العبد الشكور؛ لأنه كان يحمد الله **ﷻ** في كل حال، وعلى كل نعمة، على المَطْعَم والمشرب والملبس وغير ذلك من أوجه النعم^(٢)، ومن هنا يتبين فضل التَّحْمِيد لله **ﷻ**، وأن الحمد كلمة كل شاكر، وأن كل حمد على أي نعمة فهو شكر، وقد سَمَّى الله **ﷻ** ذاته العليَّة بالحميد، وقد كان التَّحْمِيد منهمج الأنبياء **ﷺ** عموماً.

وعلى الرغم من التوافق الكبير بين مفهوم لفظي الحمد والشكر، إلا أن ثمة أكثر من فرق بينهما، ومن ذلك أن الشكر يكون في مقابل نعمة أو إحسان،

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢ - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، (٢٠ / ١٠٢).

(٢) انظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ - ١٤٢٢هـ)، (٣ / ٤٣٧).



ويكون باليد والقلب واللسان بخلاف الحمد، فهو يتعلّق بالقلب واللسان فحسب، وبالتالي فالشُّكر يزيد عن الحمد في الإلزام بالعمل، ومصدق ذلك في قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا﴾** [الإسراء: ١١]، وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾** [النمل: ١٩]، ويفرّق أبو هلال العسكري بين الحمد والشُّكر فيقول: «الحمد هو: الثناء باللسان على الجميل، سواء تعلّق بالفضائل كالعلم، أم بالفواضل كالبرِّ، والشُّكر: فعلٌ ينبئ عن تعظيم المُنعم لأجل النعمة، سواء أكان نعتًا باللسان، أو اعتقادًا، أو محبةً بالجنان، أو عملاً بالأركان. فالحمد أعمُّ مطلقًا؛ لأنّه يعمُّ النعمة وغيرها، وأخصّ موردًا؛ إذ هو باللسان فقط، والشُّكر بالعكس؛ إذ متعلّقه النعمة فقط، وموردهُ اللسان وغيره. فبينهما عموم وخصوص من وجه، فهما يتصادقان في الثناء باللسان على الإحسان، ويتفارقان في صدق الحمد فقط على النعت بالعلم مثلاً، وصدق الشُّكر فقط على المحبة بالجنان لأجل الإحسان»^(١).

♦ **ثالثاً: الذكر:** وردت لفظة الذكر بمعنى الحمد في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٢٣٩]، أي: اذكروا الله بالقلب واللسان على كلّ أحوالكم وفي كلّ أوقاتكم في صلاتكم وفي غيرها، بالشُّكر له والحمد والثناء عليه على ما أنعم به عليكم من التوفيق لإصابة الحقّ الذي ضلّ عنه أهل الكفر بالله^(٢).

وبهذه الأسطر أرجو أن أكون قد مهّدت للحديث عن مواضع حمد الرُّسل ﷺ للذات العليّة في كتابه الكريم، والله الحمد والمنة.

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت: ٣٩٥هـ): الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (مصر، القاهرة، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع)، (٤٩).

(٢) انظر: الطبري: جامع البيان، (٥ / ٢٤٨).



المطلب الثاني

نماذج حمد الرُّسل ﷺ

لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الرُّسل ﷺ هم أئمة الحمد؛ لذا سيستعرض الباحث في هذا المطلب الرُّسل ﷺ ممَّن نَصَّ القرآن الكريم على أنَّهم كانوا من الحامدين، سواء ورد ذلك بالأمر الصَّريح به، أو صدر من الرُّسل ﷺ مباشرة على ما منَّ به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم من النعم - سواء جاء مقترناً بغيره أم منفرداً -، ثمَّ سيثني الباحث بذكر الآيات الكريمة التي تضمَّنت مادة (حَمْد) بنصِّها، وذلك في معرض الحديث عن مقام الحمد في حياة الرُّسل ﷺ مصنَّفة وفق تصنيف يناسبها، ثمَّ سيعقَّب على تلك الآيات بتعقيب مناسب، وذلك على النحو الآتي:

♦ الفرع الأول: صدور حمد الله ﷻ من الرُّسل ﷺ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على

ما منَّ به من النعم العظيمة:

حكى القرآن الكريم حمد الرُّسل ﷺ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلك على النحو الآتي:

لله أولاً: التَّحْمِيد عند إبراهيم ﷺ: حكى القرآن الكريم حمد الخليل ﷺ لربه ﷻ، وذلك في معرض ثنائه ﷺ على الله ﷻ على هبة الولد الصالح، فقال إبراهيم ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

لله ثانياً: التَّحْمِيد عند داود وابنه سليمان ﷺ: حكى القرآن الكريم حمد داود وابنه ﷺ لربَّهما ﷻ، وذلك في سياق الثناء على الله ﷻ

على النعمة والفضل، فقال ﷺ مخبراً عنهما: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

◆ الفرع الثاني: أمر الله ﷻ الرُّسل ﷺ بالحمد:

ورد الأمر الإلهي للرُّسل ﷺ بحمده على صورتين في القرآن الكريم، وهما:

✧ الصورة الأولى: الأمر الإلهي للرُّسل ﷺ بالحمد مقترناً بغيره:

ورد الأمر الإلهي للرُّسل ﷺ بالتسبيح مقترناً بتحميده تارةً، ومقترناً تحميده بالسَّلام على المرسلين ﷺ تارةً أخرى، وذلك على النحو الآتي:

✧ الأول: أمر الله ﷻ الرُّسل ﷺ بالحمد مقترناً مع التسبيح:

ورد الأمر الإلهي للرُّسل ﷺ بحمده من بين رُسُلِه ﷺ بالتسبيح له ﷻ مقترناً بتحميده في أغلب المواضع التي تضمنت التوجيه الإلهي لنبية محمد ﷺ بتسبيحه؛ حيث بلغت سبعة مواضع في القرآن الكريم^(١)، وهي:

١- قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

٢- قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

٣- قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَاكَ بِضِيقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (١٧) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١٨) ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩].

٤- قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥].

(١) انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: ١٣٨٨ هـ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، مادة (سَبَّحَ)، (٣٣٩).



٥- قوله ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨].

٦- قوله ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

٧- قوله ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

والثاني: أمر الله ﷻ الرُّسُلَ ﷺ بالحمد مقترناً بالسَّلام:

حكى القرآن الكريم أمر الله ﷻ لنبيه لوط ﷺ بحمده ﷻ مقترناً بالسَّلام على المرسلين ﷺ، وذلك في معرض شكره ﷻ لله ﷻ على النِّجاة من شرِّ الأعداء الظَّالِمِينَ، فقال ﷻ أميراً لوطاً ﷻ: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ؕ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

❖ الصُّورة الثَّانية: أمر الله ﷻ الرُّسُلَ ﷺ بالحمد منفرداً:

ورد الأمر الإلهي للرُّسُلِ ﷻ بحمده ﷻ غير مقترن بغيره من تسبيح ونحوه، وذلك على النحو الآتي:

❖ أولاً: الأمر الإلهي لنوح ﷻ بالتَّحميد: حكى القرآن الكريم حمدَ أوَّل رسول بعثه «بُعْثَ» وهو نوحُ ﷻ، وذلك في معرض شكره ﷻ لله ﷻ على النِّجاة من شرِّ الكافرين، فقال ﷻ أميراً نوحاً ﷻ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

❖ ثانياً: الأمر الإلهي لمحمد ﷺ بالتَّحميد: حكى القرآن الكريم حمدَ خاتم رُسُلِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ لربه ﷻ، وذلك في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وهي:

١- قوله ﷻ أميراً بحمده؛ لِكَمالِهِ وَجِلالِهِ، وَتَنَزُّهُهِ عَنِ النِّقائِصِ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

٢- قوله ﷺ آمراً بحمده على وضوح آياته، وعدم العذاب إلا بعد قيام الحجة: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَبْرِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

٣- قوله ﷺ آمراً بحمده على توفيقه للهداية إلى معرفة الخالق ﷻ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥) ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٦) ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يُمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٥ - ٢٨].

٤- قوله ﷺ آمراً بحمده على تفريقه بين الهدى والضلال، ووضوح البراهين، وإنزال الماء، وإحياء الأرض، وخلق العالم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وتبين من خلال التأمل في آيات القرآن الكريم الآنفه، أن الله قد كرر أمره لنبينا محمد ﷺ - على الخصوص - بحمده في عدة مواضع، فقام ﷺ بهذه العبادة خير قيام، فأكثر من حمده الله ﷻ في جميع الأوقات وسائر الأحوال، وختم عمره المبارك بالتسبيح بحمده والاستغفار، كما رغب أمته بالإكثار من ذكر الله ﷻ وتحميده، وبين لهم فضائله كما تجلّى ذلك في أحاديث كثيرة، فإذا كان هذا هو شأن النبي محمد ﷺ مع الحمد رغم علوّ قدره، واصطفائه بالرسالة، وعصمته من الذنب، فكيف يكون حال العباد الخطّائين؟

وقد كان نبينا محمد ﷺ إمام الحامدين في الدنيا والآخرة؛ وذلك لأنّه أتقى الخلق، وأعرفهم بحق خالقه وبجزيل نعمه، ولقد لبس حلّة الحمد، كما ترجم حمده الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بأعمال زاكية، ولهذا يُعقد له لواء الحمد يوم



القيامة؛ لينضوي تحته جميع الحمّادين من الأوّلين والآخريّن، وأقربُ الخلق إلى لوائه وقتئذٍ أكثرُهم حمداً لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويوضّح ذلك ما ورد في السّنة النبويّة: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيٍّ يومئذٍ - آدمٌ فَمَنْ سواه - إلّا تحت لوائي، وأنا أوّل مَنْ تنشقُّ عنه الأرض ولا فخر»^(١).

ويضاف إلى ما سبق تسميته باسم (محمّد) و(أحمد) **وَعَلَى اللَّهِ**؛ وذلك لما اشتمل عليه من مسمّى الحمد، قال ابن القيم في هذا المعنى: «إذا ثبت هذا فتسميته بهذا الاسم؛ لما اشتمل عليه من مسمّاه وهو الحمد؛ فإنّه محمود عند الله، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه من المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلّهم وإن كفر به بعضهم، فإنّ ما فيه من صفات الكمال محمودة عند كلّ عاقل، وإن كابر عقله جحوداً أو عناداً أو جهلاً باتّصافه بها، ولو علم اتصافه بها لحمده، فإنّه يُحمد مَنْ اتّصف بصفات الكمال، ويجهل وجودها فيه فهو في الحقيقة حامدٌ له وهو اختصّ من مسمّى الحمد بما لم يجتمع لغيره، فإنّ اسمه (محمد) و(أحمد)، وأمّته الحمّادون يحمّدون الله على السّراء والضّراء، وصلاة أمّته مفتّحة بالحمد، وخطبته مفتّحة بالحمد، وكتابه مفتّح بالحمد، هكذا عند الله في اللّوح المحفوظ أنّ خلفاءه وأصحابه يكتبون المصحف مفتّحاً بالحمد، ويبيده لواء الحمد يوم القيامة، ولما يسجد بين يدي ربه **وَعَلَى اللَّهِ** للشّفاعة، ويؤدّن له فيها، يحمد ربّه بمحامد يفتحها عليه حينئذٍ،

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت: ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١ - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، أبواب المناقب عن رسول الله **وَعَلَى اللَّهِ**، حديث رقم (٣٦١٥)، (٦ / ١٤)، قال الترمذي: «وهذا حديث حسن صحيح».

وهو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ فَتَهِجَذَ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ^(١).

وتبيين مما سبق في هذا المطلب، أن صفة الحمد من أعظم الصفات التي لازمت أنبياء الله ﷺ، فإن المتأمل في آيات القرآن الكريم يلحظ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صرَّح بأن صفوة خلقه من الرُّسل ﷺ كانوا أحمد الخلائق، وعليه ينبغي على المسلم أن يتخلَّق بأخلاق الرُّسل الكرام ﷺ في أداء حمد الله ﷻ على نعوت كماله وآلائه الجزيلة.

ويُلاحظ من الأمر الإلهي لصفوة خلقه بهذه العبادة العظيمة، أن غيرهم من الخلق بهذا الأمر أولى، ففيه إرشاد إلى الاقتداء بالمرسلين في اتِّصافهم بصفة حمد الله ﷻ، لا سيَّما وأن الأوامر التي خُوطب بها الرُّسل ﷺ بالحمد أصلاً في الآيات الكريمة، موجَّهة ذاتها إلى كلِّ المكلفين من المؤمنين تبعاً كذلك ما لم يُقم دليل على الخصوصية، ومع ذلك تواتر إخبار الله ﷻ عن قيام المؤمنين بالحمد في القرآن الكريم في آيات عديدة، منها قوله ﷻ: ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، كما أن فيه تنبيهاً على أن الحمد من الواجبات، كما تُشعر صيغة فعل الأمر (قل) في آيات التَّحْمِيد الآتية.

ويجدر التَّنبيه إلى أن عدم التَّنصيص على اتِّصاف بعض الأنبياء ﷺ في القرآن الكريم بأنهم من الحمَّادين أنَّهم ليسوا كذلك، وحاشاهم، وإنَّما خَصَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعض أنبيائه ﷺ بذكر بعض حالاتهم من العبودية؛ تمييزاً لهم

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ): جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، (الكويت، دار العروبة، ط ٢-١٤٠٧ - ١٩٨٧)، (ص: ١٧٨).



في هذا المجال، وإرشادًا لأتباعهم بالاعتداء بهم، ولا يستلزم ذلك نفي هذه المقامات عن الأنبياء الآخرين، بل كان الأنبياء ﷺ جميعًا في مقدمة الحمّادين. وخلص الباحث إلى تنوع أساليب القرآن الكريم في تأكيد خلق الحمد في حياة الرُّسل ﷺ، تارة بالأمر به، وتارة بحكاية صُدوره من الرُّسل ﷺ مباشرة، وفي هذا دلالة قاطعة على المنزلة العظيمة لهذا المقام.

ولعلَّ الدَّرس الأكبر الذي تمخَّض عن استقراء خلق الحمد في سير أنبياء الله ورسله ﷺ في ضوء القرآن الكريم، أنَّه يجدر بالمسلم أن يحمد ربَّه ﷻ على كلِّ نعمة من نعمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بما يلائمها من صور الحمد ومظاهره؛ قيامًا بحقَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، واعتداءً بالثَّلة المباركة من الرُّسل ﷺ.

وبعد هذا التَّطواف في رحاب الآيات القرآنية في هذا المطلب، أحسب أنَّ القارئ طوَّف في جنبات الحمد في حياة الرُّسل ﷺ، وتعرَّف على سادات الحامدين من البشر، ووقف على مشاهد من حمدهم لله ﷻ، واتضح له إجابة السؤال الثاني: مَنْ هُم الرُّسل ﷺ الذين قصَّ القرآن الكريم حمدهم له ﷻ.

فإذا كان ذلك كذلك، فإنِّي أزعِم أنَّ القارئ قد تشوَّقت نفسه؛ لمعرفة سمات حمد الرُّسل ﷺ، وهذا هو موضوع المطلب التالي.





المطلب الثالث

سِمَاتُ حَمْدِ الرُّسُلِ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

بعد الانتهاء من بيان النصوص القرآنية التي تَضَمَّنَتْ حَمْدَ الرُّسُلِ ﷺ لِرَبِّهِمْ ﷻ، فَإِنَّهُ يَحْسُنُ بِالْبَاحِثِ أَنْ يَعْرِجَ عَلَى أَهَمِّ سِمَاتِ الْحَمْدِ عِنْدَ الرُّسُلِ ﷺ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُسْتَشَفَّ مِنْ خِلَالِ آيَاتِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ حَمْدَهُمْ لِرَبِّهِمْ ﷻ، وَمِنْ تِلْكَ السِّمَاتِ مَا يَأْتِي:

١ - التَّحْمِيدُ مِنْهُجَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ عَمُومًا: إِنَّ حَمْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَلِمَةٌ كُلُّ شَاكِرٍ، وَقَدْ كَانَ التَّحْمِيدُ مِنْهُجَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ ﷺ عَمُومًا؛ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَبْدَهُ الشَّكُورَ نُوْحًا ﷺ أَنْ يَحْمَدَهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ لَهُ وَلَمْ يَمُوتْ مَعَهُ النَّجَاةُ، وَأَغْرَقَ قَوْمَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وَقَالَ سَلِيمَانُ وَدَاوُدُ ﷺ: ﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]، وَقَالَ لَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَلْنَا﴾ [الإسراء: ١١١]، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ، كَمَا أَنَّ أَوَّلَ مَا نَطَقَ بِهِ أَبُونَا آدَمُ ﷺ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ الرُّوحَ إِلَى سُرَّتِهِ عَطَسَ ^(١)، وَيُعْضِدُ هَذَا الْمَعْنَى مَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ مَرْفُوعًا: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهُ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمَ...» ^(٢).

(١) انظر: الطبري: جامع البيان، (١/ ٤٥٦).

(٢) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٣٦٨)، (٥/ ٤٥٣)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ من رواية زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ»، وقال الألباني: «حسن صحيح».



وتنوّعت أساليب القرآن الكريم في تأكيد خلق الحمد في حياة الرُّسُلِ ﷺ على صورتين؛ **الأولى**: بصيغة الأمر به، سواء سبق به (قل) أو بالأمر بالتسبيح مقروناً بالحمد، **والثانية**: بحكاية صدوره من الرُّسُلِ ﷺ مباشرة على نعوت كماله ونعمه الجزيلة.

٢- فضل التَّحْمِيد: فَإِنَّ التَّحْمِيدَ مِنْ أَجْلِ الأَذْكَارِ، وله منزلة جليلة في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة، وممَّا يدلُّ على فضله ما يأتي:

❑ أَنَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعله شعاراً لرُسله وأنبيائه ﷺ عموماً، كما حثَّ على التحلي به عباده عامة ورُسله ﷺ خاصّة في مواضع عديدة في كتابه العزيز، وفي استخدام القرآن الكريم للتَّحْمِيد مسبقاً بصيغة فعل الأمر (قل)؛ دلالة بيّنة على أهميّة التَّحْمِيد ووجوبه.

❑ تسمية المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذاته العليّة باسم (الحميد)، حيثُ ورد هذا الاسم الجليل في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً^(١)، منها قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، كما سمّى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خاتم رُسله ﷺ باسمين شريفيْن قد اشتقّا من صفة الحمد، وهما: محمّد وأحمد؛ لما اشتمل عليه من مسماه، وهو الحمد، فهذا الاسم أفضل وذاك أكثر.

❑ كثرة ورود ألفاظ التَّحْمِيد في الكتاب العزيز؛ حيث وردت مادّة (حَمِد) على ما يربو عن ستّين موضعاً بتصاريفها المتعدّدة^(٢)، وهذا دليل بيّن على الأهميّة القصوى التي تحظى بها هذه العبادة.

(١) انظر: عبد الباقي: المعجم المفهرس، مادة (حَمِد)، (٢١٨).

(٢) انظر: عبد الباقي: المعجم المفهرس، مادة (حَمِد)، (٢١٦-٢١٨).



❑ استهلال القرآن الكريم بخمس سُورٍ بالتَّحْمِيدِ، وهي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، وكانت جميعها في بدايات أرباع القرآن الكريم، كما ختم به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بعض السُّور، إضافة إلى تخلُّله ثانياً الآيات في سُورٍ أخرى، وتصدَّر بعض الآيات به.

❑ افتتاح الكتاب الكريم بالتَّحْمِيدِ؛ حيثُ بدأ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به في مَفْتَحِ أعظم سورة، وهي سورة (الحمد)، وذلك في قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الفاتحة: ٢].

❑ ارتباط اسم (الحميد) ببعض أسماء الله ﷻ؛ حيث قرن الله ﷻ في كتابه العزيز بين اسم (الحميد) وبعض أسمائه الحسنَى ﷻ، ومن ذلك قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾** [هود: ٧٣]، وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾** [فاطر: ١٥]، وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾** [الشورى: ٢٨]، وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾** [البروج: ٨].

٣- تعدُّد أزمَنة التَّحْمِيدِ: التَّحْمِيدُ عبادة تُشْرَعُ في كُلِّ وقت، لكنَّها تتأكَّد في الأوقات الفاضلة، ومن الأزمنة التي يتأكَّد فيها التَّحْمِيدُ ممَّا ورد في كتابه العزيز ما يأتي:

أ- **أطراف النَّهار، والمراد:** صلاتي الظُّهر والمغرب، كما جاء في قوله ﷻ: **﴿وَمِنْ أَمَانِي أَيْلٍ فَسَبَّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾** [طه: ١٣٠].

ب- **قبل طُلُوع الشَّمْسِ، والبُكرة، وهو:** أوَّل النَّهار من طُلُوع الفَجْرِ إلى طُلُوع الشَّمْسِ، وقد يراد به (قبل طُلُوع الشَّمْسِ): صلاة الصُّبح، كما في قوله ﷻ: **﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾** [الأحزاب: ٤٢]، وقوله ﷻ: **﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾** [ق: ٣٩].



ت- قبل غروب الشمس، وهي: العصر^(١).

ث- الأصيل، ووقت الأصيل: بعد العصر إلى غروب الشمس، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿[الفتح: ٨، ٩].

ج- الليل، وأثناء الليل، وهي: ساعات الليل، ومنها صلاة العشاء، كما جاء في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ﴾ [ق: ٤١].

ح- إدبار النجوم، ووقت إدبار النجوم: وقت السحر قبيل النهار، كما جاء في قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩].

خ- حين القيام، ويقصد به: الصلاة، سواء كانت فرضًا أو نفلًا. كما جاء في قوله ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨].

د- أدبار السجود، ويقصد به: بعد انتهاء الصلاة، كما جاء في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠].

وفي مجيء الأمر بالتسبيح بحمد الله ﷻ في القرآن الكريم في أزمنة مختلفة؛ إشارة إلى الأمر بإدامة التَّحْمِيدِ، فينطلق العبد بحمد خالقه ﷻ في أوقات الليل والنَّهار جميعها، كما أشار ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧، ٨].

ولعلَّ الحكمة من مزيد تخصيص زمني الصَّباح والمساء بالتسبيح بحمد الله ﷻ كثيرًا؛ لتكرُّرهما، ولشرفهما؛ كونهما آيتين عظيمتين من آيات الله ﷻ، ولسهولته فيهما، وليعمَّ الأمر بالتسبيح بحمد الله ﷻ جميع الأوقات، ولهذا شُرِعت أذكار الصَّباح والمساء عند وقت الصَّباح ووقت الغروب، ولعلَّ

(١) كما ورد في الآية الآتفة.



الحكمة من الأمر بالتسبيح بحمدِ الله ﷻ بالليل؛ لَأَنَّهُ مَحَلُّ السُّكُونِ وَالنَّوْمِ، فهو أَشَقُّ عَلَى النَّفْسِ، فَالثَّوَابُ فِيهِ أَعْظَمُ، كَمَا أَنَّ فِيهِ جَمِيعَةَ النَّفْسِ أَكْبَرُ، وَعَلَيْهِ فَلِلذِّكْرِ عَمُومًا وَلِلتَّحْمِيدِ خُصُوصًا فِي اللَّيْلِ مَزِيَّةٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْقَاتِ.

٤- اختصاص التَّحْمِيدِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ: فَإِنَّ الْمَتَأَمِّلَ فِي مَوَاضِعِ التَّحْمِيدِ جَمِيعُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، يَلْحَظُ أَنَّ التَّحْمِيدَ حَقٌّ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مِنْ هُنَا لَا يُذَكَّرُ لَفْظُ الْحَمْدِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا مُضَافًا إِلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ (الله) أَوْ إِلَى ضَمِيرٍ عَائِدٍ إِلَيْهِ ﷻ، وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَإِنْ كَانَ يُحْمَدُ الرَّسْلُ الْكَرَامَ ﷺ وَأَتْبَاعُهُمْ، فَذَلِكَ مِنْ حَمْدِ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ إِذْ هُوَ الْمَحْمُودُ بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ.

وَلَعَلَّ الْحِكْمَةَ فِي ذَلِكَ الْأَمْرَ التَّنْبِيهُ عَلَى اسْتِحْقَاقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْحَمْدِ أَوَّلًا لِذَاتِهِ لَا لِشَيْءٍ غَيْرِهَا، بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا حَازِتُهُ لَجَمِيعِ الْكَمَالَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَأَنَّهَا مَصْدَرُ جَمِيعِ الْوُجُودِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالنِّعَمِ^(١).

٥- وجوب التَّحْمِيدِ: وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْآيَاتُ الْأَمْرُةُ بِحَمْدِ اللَّهِ ﷻ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ هَذَا الذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ أَنَّ الْأَمْرَ يَفِيدُ الْوُجُوبَ، إِلَّا أَنْ تَصْرِفَهُ الْقَرِينَةُ عَنْ ذَلِكَ، وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْجَلِيلَةِ أَنْبِيََاءَ وَرُسُلَهُ ﷺ؛ حَيْثُ أَمَرَ بِهَا اثْنَيْنِ مِنْ رُسُلِهِ الْكَرَامِ، وَهُمَا: لُوطٌ وَمُحَمَّدٌ ﷺ.

(١) انظر: أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، (٣/ ١٠٤).



والمتمأمل في الآيات الأميرة بحمد الله ﷻ، يلحظ أنها وردت بأكثر من صيغة من الصيغ المفيدة لوجوب التَّحْمِيد؛ حيث وردت بصيغة الحمد المسبوق بالقول ستّ مرات، كما وردت بصيغة الأمر بالتَّسْبِيح بحمد الله ﷻ في مواضع عديدة، وفي ذلك دلالة قطعية على وجوب حمد الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شرعاً وعقلاً، وأنه ليس من نوافل الأخلاق.

٦- تنوع مواطن الحمد: إِنَّ حَمْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مشروع في سائر الأحوال، كما قال ﷻ: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، ولكنّه يتأكّد في أحوال معيّنة، ومن مواطن الحمد التي لجأ إليها الأنبياء ﷺ كما نصّت عليها آيات الذكر الحكيم ما يأتي:

أ- **الحمد عند تجدد النعم سواء كانت دينية أم دنيوية**، ومثال ذلك حمد سليمان وداود ﷺ في قولهما: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

ب- **الحمد عند نعمة الولد على كبر**، كما حصل للخليل ﷺ عندما قابل هبة الولد بالحمد، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

ج- **الحمد عند هلاك الطغاة**، كما قال ﷻ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَحَثْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

د- **الحمد عند دنو الأجل**، كما دلّ عليه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

◀ **وجملة القول:** أن الأنبياء ﷺ كانوا من أكثر الخلق حمداً لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كل أحوالهم؛ وذلك لأنّ الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الأسماء الحُسنى



والصِّفَاتُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، وَلَمَّا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعْمَهُ سِوَاءَ كَانَتْ دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً، وَعَلَيْهِ يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَلْهَجَ بِحَمْدِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدَقِّ النَّعْمِ وَأَجَلِّهَا سِوَاءَ كَانَتْ دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً؛** لِأَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَةَ لَا تَتَقَيَّدُ بِحَالٍ مَعِيْنَةٍ، وَلَا تَقْتَصِرُ عَلَى نِعْمَةٍ دُونَ أُخْرَى، إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي رِعَايَةُ مَوْضِعِهَا فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ وَنَحْوِهَا مِمَّا وَرَدَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا.

٧- **وَجُوبُ حَمْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِنْدَ إِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ؛** إِنَّ إِهْلَاكَ اللَّهِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْأُمَّمِ الْمُسْتَحَقَّةِ لِلْهَلَاكِ صِفَةُ كَمَالٍ يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَدَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَيْهَا، وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَوْلُهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَى لِسَانِ نُوحٍ **ﷺ**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وَمِنْهُ قَوْلُهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَى لِسَانِ لُوطٍ **ﷺ** بَعْدَ بَيَانِهِ لِمَا حَلَّ مِنَ الْهَلَاكِ بِقَوْمِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وَنَظِيرِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ قَوْلُهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿فَقَطَّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، قَالَ النَّسْفِيُّ فِي شَأْنِ حَمْدِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لِذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ هَهُنَا، أَنَّهُ «إِذَا بَدَأَ بِوَجُوبِ الْحَمْدِ لِلَّهِ عِنْدَ هَلَاكِ الظَّالِمَةِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ النَّعْمِ وَأَجَزَلِ الْقِسْمِ، أَوْ أَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى إِهْلَاكِ مَنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ»^(١).

وإِنَّ حَمْدَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذَاتِهِ الْمَقْدَّسَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لَهُ حِكْمَةٌ، وَالظَّاهِرُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا حَمِدَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذَاتَهُ هَاهُنَا؛ لِمَا قَضَى بِهِ مِنْ إِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ؛ إِذِ إِنَّ فِي هَلَاكِهِمْ إِصْلَاحًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَتَخْلِيصًا لَهُمْ مِنْ سُوءِ عِقَائِدِهِمْ وَشَرِّ أَعْمَالِهِمْ وَظُلْمِهِمْ، وَبِهِ يَعُودُ الْعَدْلُ وَالْحَقُّ بَعْدَ الْجَوْرِ

(١) النَّسْفِيُّ، أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ (ت: ٧١٠هـ): مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ، تَحْقِيقٌ: يَوْسُفُ عَلِيٌّ بَدْيَوِي، (بَيْرُوت، دَارُ الْكَلَمِ الطَّيِّبِ، ط ١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، (١/ ٥٠٤).



وَالضَّلَال. وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا مِنْ عَظِيمِ نِعَمِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ مَقَامٌ مِنْ مَقَامَاتِ اسْتِحْقَاقِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لِلْحَمْدِ وَالشَّاءِ، كَمَا أَنَّ هَلَكَ الْكَفَرَةُ الظَّالِمِينَ يَسْتَتَبِعُ نِعَمًا أُخْرَى بِشَأْنِ النَّاسِ عَامَّةً؛ إِذْ فِيهِ أَيْضًا إِنْعَامٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَعَايَةِ الصَّالِحِينَ بِإِظْهَارِ حُجَجِهِمْ، وَنَصْرِهِمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ الَّتِي جَاءُوا بِهَا. وَكُلُّ ذَلِكَ نِعَمٌ جَلِيلَةٌ حَقِيقٌ بِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَنْ يُحَمِّدَ ذَاتَهُ عَلَيْهَا ^(١).

وَعَلَى هَذَا، إِذَا أَصِيبَ الْكَفَّارُ الْمُحَارِبُونَ أَوِ الْمُجَاهِرُونَ بِبِدْعَتِهِمْ وَفِسْقِهِمْ أَوْ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ ظُلْمُ الْعِبَادِ وَإِذَاؤُهُمْ بِعَقُوبَاتٍ أَوْ مَوْتٍ فَيَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ بِهَلَاكِهِمْ، وَأَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَى وَقُوعِ تِلْكَ الْآفَاتِ بِهِمْ؛ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ سِيرَتِهِمْ، وَعَلَيْهِ فَمَنْ الْخَطَأُ الْبَيِّنُ التَّوَجُّعُ لِمَصَابِهِمْ، وَتَقْدِيمُ الْعَوْنِ لِلْمُنْكَوِبِينَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ؛ لِأَنَّ إِهْلَاكَهُمْ أَوْ إِضْعَافَهُمْ مُصْلِحَةٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، كَمَا أَنَّ فِي التَّرَحُّمِ عَلَيْهِمْ عِلَامَةٌ عَلَى ضَعْفِ عَقِيدَةِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ فِي قُلُوبِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَكَيْفَ بَمَنْ يَسْعَى فِي إِطَالَةِ أَمَدِ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ وَالطُّغَاةِ، وَيُحَارِبُ نَهْجَ الْمُصْلِحِينَ، وَيَزْعَمُ أَنَّ هَذَا هُوَ مَنْطِقُ الشَّرْعِ الْقَوِيمِ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَشْتَكَى.

وَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَمِثْلَاتُهَا الْحُجَّةَ عَلَى وَجوبِ تَرْكِ الظُّلْمِ؛ لِمَا يَعْقُبُ مِنْ قَطْعِ الدَّابِرِ إِلَى الْعَذَابِ الدَّائِمِ مَعَ اسْتِحْقَاقِ الْقَاطِعِ الْحَمْدَ مِنْ كُلِّ حَامِدٍ ^(٢).

وَمِنْ مَشَاهِدِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ الْعَمَلِيِّ عَلَى هَلَكَ الْكَفَرَةِ الظَّالِمِينَ، مَا تَجَلَّى فِي حَيَاةِ الْكَلِيمِ ﷺ، وَذَلِكَ فِي صِيَامِهِ لِيَوْمِ عَاشُورَاءَ؛ شُكْرًا لِلَّهِ ﷻ عَلَى نِعْمَةِ النِّجَاةِ وَإِهْلَاكِ الْعَدُوِّ؛ حَيْثُ قَالَ الْيَهُودُ: «فَصَامَهُ مُوسَى؛ شُكْرًا،

(١) انظر: حافظ، عماد بن زهير: حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٣٦، العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، (ص: ٣٧).

(٢) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (٦/ ٤٢٧).



فَنَحْنُ نَصُومُهُ»^(١)، فَمَا كَانَ مِنْ إِمَامٍ الْحَامِدِينَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَّا أَنْ شَكَرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نَجَاةِ أَخِيهِ مُوسَى ﷺ قَبْلَ قُرُونٍ مَطْوُولَةٍ، فَقَالَ ﷺ: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ»^(٢).

٨- التَّحْمِيدُ بِالْأَفَاضِ الذِّكْرَ وَالثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ ﷻ: فَإِنَّ الْمَتَّبِعَ لِأَفَاضِ التَّحْمِيدِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، يَجِدُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَرَنَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بَيْنَ التَّحْمِيدِ وَالْأَفَاضِ الذِّكْرَ الْآخَرَى، حَيْثُ قُرْنِ الْحَمْدِ بِالتَّسْبِيحِ كَثِيرًا فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ وَالسَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ، حَيْثُ جَاءَ فِي أَرْبَعِ مَوَاضِعٍ مِنْهَا مُقْتَرَنًا بِالْوَاوِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: ١٣٠] [ق: ٣٩]، [غافر: ٥٥]، [الطور: ٤٨]، كَمَا جَاءَ فِي مَوْضِعَيْنِ مُقْتَرَنًا بِالْفَاءِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨]، [النصر: ٣]، فِي حِينٍ وَرَدَ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ مِنْهَا مُضَافًا إِلَى الضَّمِيرِ الْعَائِدِ إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وَإِنَّمَا قُرْنِ التَّسْبِيحِ بِالْحَمْدِ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لِأَنَّ التَّسْبِيحَ يَتَضَمَّنُ نَفْيَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، وَالتَّحْمِيدَ يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي يُحَمَدُ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ هُوَ الثَّنَاءُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ ﷻ^(٣) (٤).

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ صِيغَةَ التَّسْبِيحِ الْمَقْرُونِ بِالتَّحْمِيدِ هِيَ مِنْ أَكْمَلِ صِيَغِ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ ﷻ وَأَدْلَاهَا عَلَى اسْتِعْرَاقِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ﷻ، وَإِذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَإِنَّ الْجَمْعَ

(١) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، حديث رقم (١١٣٠)، (٧٩٦/٢).

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، حديث رقم (١١٣٠)، (٧٩٦/٢).

(٣) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ): جامع المسائل، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (مكة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - ١٤٢٢هـ / ط ١)، (ص: ٢٧٨).

(٤) ذكر بعض المفسرين أن المراد بالحمد هنا الأمر.



بين التَّسْبِيحِ والتَّحْمِيدِ يَتِمُّ باعتقاد معناه؛ وذلك بِتَنْزِيهِ اللَّهِ ﷻ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ، وإِثْبَاتِ مَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، كَمَا يَتِمُّ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي الْقَوْلِ، فَيَحْصِلُ إِمَّا بِصِيغَةِ (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ)، وَإِمَّا بِصِيغَةِ (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)، وَإِمَّا بِصِيغَةِ (سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(١).

وَقَرَنَ اللَّهُ ﷻ بَيْنَ التَّحْمِيدِ وَالسَّلَامِ عَلَى الرُّسُلِ ﷺ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرُكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿دَعُوهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، كَمَا قَرَنَ اللَّهُ ﷻ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالسَّلَامِ عَلَى الرُّسُلِ ﷺ، وَالتَّحْمِيدِ فِي آيَاتٍ مُتتَالِيَةٍ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۚ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]، وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ التَّحْمِيدَ يَرِدُ دَائِمًا مُقْتَرِنًا بِبَعْضِ أَلْفَاظِ الذِّكْرِ الْآخَرَى، فَقَدْ يَرِدُ مُفْرَدًا أحيانًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرَبِّكُمْ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنْفِقُوا دِينَهُمْ وَأَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۚ فَيَأْخُذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ حَقَّ عِبَادَتِهِ ۚ وَأَنْ يَكُونُوا فِي سَعْيٍ مَبْذُورٍ﴾ [النمل: ٩٣].

وَلَعَلَّ الْحِكْمَةَ فِي هَذَا الْاِقْتِرَانِ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ تَوْفِيقَ اللَّهِ ﷻ لِلتَّسْلِيمِ عَلَى الرُّسُلِ ﷺ مِنْ جَمَلَةِ نِعَمِهِ الْمَوْجِبَةِ لِلْحَمْدِ^(٢).

(١) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط ٣- ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم (٦٤٠٦)، (٨/ ٨٦).

(٢) انظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، (٧/ ٢١٢).



٩- إيثار صيغة (الحمد لله) على غيرها من صيغ الثناء على الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ورد التعبير القرآني بصيغة (الحمد لله)، سواء في توجيه الرُّسل ﷺ لحمده، أو بحكاية حمد الرُّسل ﷺ لذاته المقدسة، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، ونحوها من الآيات، ولم يأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أحداً من خلقه بحمده مباشرة ألبتة؛ وذلك كي لا يغيب عن ذهن الحامد له أنه محمود منذ الأزل، وأنه غني عن حمد المخلوقين، وفي هذا يقول الرّازي: إنّما قال: (الحمد لله)، ولم يقل: (أحمد الله)، لوجوه:

﴿أحدها: أن الحمد صفة القلب، وربّما احتاج الإنسان إلى أن يذكر هذه اللفظة حال كونه غافلاً بقلبه عن استحضر معنى الحمد والثناء، فلو قال في ذلك الوقت: (أحمد الله)، كان كاذباً واستحقّ عليه الذم والعقاب؛ حيث أخبر عن دعوى شيء مع أنه ما كان موجوداً. أمّا إذا قال: (الحمد لله)، فمعناه: أن ماهية الحمد وحقيقته مسلمة لله تعالى. وهذا الكلام حقّ وصدق سواء كان معنى الحمد والثناء حاضراً في قلبه أو لم يكن، وكان تكلمه بهذا الكلام عبادة شريفة وطاعة رفيعة.

﴿وثانيها: لو قال العبد: (أحمد الله)، كان دعوى أنه أتى بالحمد والشكر فيتوجّه عليه ذلك السؤال. أمّا لو قال: (الحمد لله) فليس فيه ادّعاء أن العبد أتى بالحمد والثناء، بل ليس فيه إلا أنه ﷻ مستحقّ للحمد والثناء، سواء قدر على الإتيان بذلك الحمد أو لم يقدر عليه.

﴿وثالثها: أنه لو قال: (أحمد الله) كان ذلك مشعراً بأنه ذكر حمد نفسه ولم يذكر حمد غيره. أمّا إذا قال: (الحمد لله)، فقد دخل فيه حمده وحمد غيره من أوّل خلق العالم إلى آخر استقرار المكلفين في درجات الجنان ودركات



النيران، كما قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]؛ فكان هذا الكلام أفضل وأكمل ^(١).

❧ **ورابعها:** أن قول: (أحمدُ الله) جملة فعلية، و(الحمدُ لله) جملة اسمية، والجملة الفعلية تدلُّ على الحدوث والتجدد، في حين أن الجملة الاسمية دالة على الثبوت، وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعلية. فاختيار الجملة الاسمية أولى من اختيار الجملة الفعلية ههنا؛ إذ هو أدلُّ على ثبات الحمد واستمراره ^(٢).

ولقائل أن يقول: لماذا قال: (الحمدُ لله)، ولم يقل: (الحمد للخالق) ونحوه من الأسماء الحُسنى؟ والجواب: أن اسم (الله) هو الاسم الأعظم الجامع لمعاني الأسماء الحُسنى ما علم منها وما لم يعلم، فهو المستحقُّ للحمد لذاته لا لصفة من صفاته فقط ^(٣).

والمتمائل في آيات التَّحْمِيد جميعها يلحظ ورود التعبير القرآني بصيغة (الحمدُ لله)، ولم يقل **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: (الشُّكْرُ لله)؛ وذلك لأنَّ الشُّكْر لا يكون إلَّا على النِّعْمَة، ولا يكون على صفاته الذَّاتية، فكان اختيار الحمد أولى من الشُّكْر؛ لأنَّه أعمُّ؛ فإنَّك تنفي عليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بنعمه الواصلة إليك وإلى الخلق

(١) انظر: الرازي، أبو عبد الله فخر الدِّين محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣ - ١٤٢٠هـ)، (١٢ / ٤٧٣ - ٤٧٤).

(٢) انظر: السَّامِرَائِي، فاضل صالح: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، (الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، ط ٣ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، (ص: ١٥).

(٣) انظر: الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ - ١٤١٥هـ)، (١ / ٧٦).



جميعاً، وتثنى عليه بصفاته الحُسنى الذاتية وإن لم يتعلّق شيء منها بك^(١).
ويلحظ في التعبير القرآني في آيات التّحميد جميعها إثارة لفظة (الحمدُ لله) على لفظة (المدح لله)؛ وذلك لأنّ المدح قد يحصل للحَيِّ العاقل ولغير الحَيِّ، فإنّك قد تمدح جماداً أو حيواناً، ويستحيل أن تحمدهما، فثبت أنّ المدح أعمُّ من الحمد، ويبدو أنّ هذا الوجه من أشهر وجوه التّفارقة بين (الحمد) و(المدح)، ممّا تقدّم تّضح علّة إثارة كلمة (الحمد) على (المدح) على الرّغم من أنّ كلا اللفظين أخوان^(٢).

وفي ختام هذا المطلب أحسب أنّ القارئ طوّف في جنبات منزلة الحمد، وتعرّف على أهمّ سِمَاتِ الحمد عند الرُّسْلِ ﷺ المستنبطة من القرآن الكريم، وأنّضحت له إجابة السُّؤال الآتي: ما هي أبرز سِمَاتِ الحمد عند الرُّسْلِ ﷺ التي يمكن أن تُستشفّ من خلال آيات القرآن الكريم؟ وبهذا تكون جميع أسئلة الدّراسة قد تكاملت إجاباتها، ولم يتبقّ إلّا إيضاح ما خرجت به الدّراسة من نتائج وتوصيات تضمّنتها خاتمة الدّراسة، وهو ما سيجده القارئ الكريم في الإيراد الآتي.



(١) انظر: السامرائي: لمسات بيانية، (ص: ١٣).

(٢) انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، (١٢ / ٤٧٢).



الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،

أما بعد:

فإنَّه بعد الجولة العطرة بين ثنايا موضوع **(حمد الرُّسل ﷺ لربِّهم في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية)**، من خلال استقراءٍ لعدد كبيرٍ من الآيات القرآنيَّة، يمكنُ الخلوَص إلى النتائج الآتية:

❖ يُعرَّف الحمدُ في الاصطلاح بأنَّه الثناء على الجميل من جهة التَّعظيم من نعمة وغيرها.

❖ نظائر الحمد في القرآن الكريم وصوره هي: الشُّكر، والتَّحْدِيث، والذِّكْر.

❖ للتَّحْمِيد منزلةٌ جليَّة، ومما يدلُّ على فضله في القرآن الكريم: أنَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعله شعاراً لرُسله وأنبياؤه **ﷺ** عموماً، كما حثَّ عباده عامَّة ورُسله **ﷺ** خاصَّة على التحلِّي به في مواضع عديدة، كما سمَّى المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذاته العليَّة باسم (الحميد)، إضافة إلى ورود مادَّة (حميد) في القرآن الكريم في أكثر من ستين موضعاً بتصاريفها المتعدِّدة، فضلاً عن استهلال خمس سُور قرآنيَّة بتحميد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، علاوة على اقتران اسم (الحميد) ببعض أسمائه الحُسنَى **ﷻ** وصفاته العُلى، و اقتران التَّحْمِيد بألفاظ الذِّكْر الأخرى.



♦ من أهمِّ سِمَاتِ الحمدِ عندَ الرُّسُلِ ﷺ في القرآنِ الكريمِ، أنَّ التَّحْمِيدَ منهجُ الأنبياءِ ﷺ عموماً، وكونه واجباً، وتعدُّدُ أزمته، واختصاصه بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وحده، وتنوُّعُ مواطنه.

♦ تنوُّعُ أساليبِ القرآنِ الكريمِ في عَرْضِ حَمْدِ الرُّسُلِ ﷺ لربِّهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فتارةً يأمرهم به، وتارةً يصدرُ من الرُّسُلِ ﷺ مباشرةً مقترناً بغيره أو منفرداً، وعليه ينبغي على المسلم أن يقتدي بالمرسلين ﷺ في شدة حَمْدِهِم للمولى.

♦ إِيْشَارُ لفظَةِ (الحمدُ لِلَّهِ) على لفظَةِ (المدحُ لله) في آياتِ التَّحْمِيدِ جميعها؛ وذلك لأنَّ المدحَ قد يحصل للحَيِّ العاقل ولغير الحَيِّ.

♦ إِيْثَارُ صيغةِ (الحمدُ لِلَّهِ)، على صيغةِ (الشُّكْرُ لله)؛ وذلك لأنَّ الشُّكْرَ لا يكون إلا على النُّعمَةِ، ولا يكون على صفاته الذَّاتية.

♦ عدمُ ورودِ التَّعْبِيرِ القرآني بأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أحداً من خلقه بحمده مباشرة؛ وذلك كي لا يغيب عن ذَهْنِ الحامدِ له أنَّه محمود منذ الأزل، وأنَّه غنيٌّ عن حمدِ المخلوقين.

♦ اقترانُ التَّسْبِيحِ بالحمدِ كثيراً في القرآنِ الكريمِ؛ وذلك لأنَّ التَّسْبِيحَ يتضمَّنُ نفْيَ النَّقَائِصِ، والتَّحْمِيدَ يتضمَّنُ إثباتَ صفاتِ الكمالِ، وذلك هو الثَّناء الذي يحبه الله ﷻ.

♦ إِيْشَارُ صيغةِ (الحمدُ لِلَّهِ) على صيغةِ (الحمدُ للخالق) ونحوه من الأسماءِ الحُسنى؛ والجواب: أنَّ لفظَ الجلالةِ (الله) هو الاسمُ الأعظمُ الجامع لمعاني الأسماءِ الحُسنى، فهو المستحقُّ للحمدِ لذاته لا لصفةٍ من صفاته فقط.



♦ وجوبُ حمد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عند إهلاك الظَّالِمِينَ، ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم، قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على لسان نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **لِنَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَنَّا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴿المؤمنون: ٢٨﴾، وغيرها من الآيات.

♦ يتأكد الحمدُ في أحوال معيَّنة، ومن مواطن الحمد التي لجأ إليها الأنبياء **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** كما نصَّت عليها آيات الذكر الحكيم، الحمد عند تجدد النعم سواء كانت دينية أم دنيوية، والحمد عند نعمة الولد على كبر، والحمد عند هلاك الطُّغاة، والحمد عند دنو الأجل.

♦ وفي ضوء هذه النتائج، فإنَّ الباحث يوصي بما يأتي:

١- توجيه البحوث العلميَّة إلى دراسة المواضع القرآنية الأخرى التي جاءت في شأن حمد الله **عَزَّ وَجَلَّ** من قِبَل ذاته العليَّة وملائكته والمؤمنين؛ لما فيه من إظهار جوانب مهمَّة.

٢- إجراء الدِّراسات الميدانيَّة؛ للتَّعرُّف على مدى استحضار المسلم لعبادة الحمد، وموقفه من النِّعم الربَّانيَّة.

وبعدُ؛ فهذا ما يسر الله **عَزَّ وَجَلَّ** للباحث الوصول إليه في هذا البحث، وأسأله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يجعلنا من الحامدين، وصلوات الله وسلامه على أشرف خلقه وتاج رُسله محمَّد وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربِّ العالمين.





المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ - ١٤١٥هـ).
٣. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط ٣ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
٤. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت: ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١ - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (المملكة العربية السعودية: الرياض، أضواء السلف، ط ١، - ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ): جامع المسائل، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (مكة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - ١٤٢٢هـ، ط ١).
٧. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ): التعريفات، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).



٨. حافظ، عماد بن زهير: حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٣٦، العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
٩. الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣ - ١٤٢٠هـ).
١٠. السامرائي، فاضل صالح: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، (الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، ط ٣ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
١١. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
١٢. سيد، كمال: آيات الحمد في القرآن الكريم دراسة تحليلية موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، مصر.
١٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخريج: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١ - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
١٤. عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: ١٣٨٨هـ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المعجم الشريف، (القاهرة، دار الحديث).
١٥. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت: ٣٩٥هـ): الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (مصر، القاهرة، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع).
١٦. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ - ١٤٢٢هـ).



١٧. عقيلان، عارف لطف محمد: الحمد في القرآن - دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة الإيمان، (اليمن، ٢٠١١م).
١٨. الغريبي، عبد الرحمن بن عابد، الحمد في القرآن الكريم والسُّنة النبوية دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (الإمارات، دبي، جمعية دار البر، ط ١، ٢٠١١م).
١٩. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ): العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).
٢٠. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢ - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
٢١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ): جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، (الكويت، دار العروبة، ط ٢ - ١٤٠٧ - ١٩٨٧).
٢٢. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
٢٣. النَّسَفِيُّ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت، دار الكلم الطيب، ط ١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).



فهرس الموضوعات

١٩٩	 مستخلص البحث
٢٠١	 المقدمة
٢٠٦	 المطلب الأول: مفهوم الحمد ونظائره في القرآن الكريم
٢١٠	 المطلب الثاني: نماذج حمد الرُّسل ﷺ في ضوء القرآن الكريم
٢١٧	 المطلب الثالث: سمات حمد الرُّسل ﷺ في القرآن الكريم
٢٣١	 الخاتمة
٢٣٥	 المصادر والمراجع
٢٣٩	 فهرس الموضوعات



مَجْلَدُ التَّكْوِينِ



ثَانِيًا: مُسْتَخْلَصَاتُ الرِّسَالِ وَالْمَشَارِيعِ الْعُلُمِيَّةِ

مَجْلَدُ التَّحْقِيقِ



تَقْرِيرٌ عَنْ رِسَالَةِ عَامِيَّةٍ بِعُنْوَانِ
كَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

لِلْبَاحِثِ : مُوسَى بْنِ سَالِمِ الْمَالِكِيِّ

❁ **عنوان الرسالة:** كلمة «لا إله إلا الله» في القرآن الكريم: دراسة موضوعية.

❁ **الباحث:** موسى بن سالم بن أحمد المالكي.

❁ **المشرف:** أ.د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي.

❁ **الدرجة:** بحث مقدم لكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، ونال به الدرجة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

❁ **الجهة المانحة للدرجة:** الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - قسم التفسير وعلوم القرآن.

❁ **سنة الإجازة:** ١٤٣٨ - ١٤٣٩ هـ

❁ **الوصف المادي:** تقع الرسالة في مجلد واحد، من (٣٨٣) صفحة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فإن كلمة «**لا إله إلا الله**» هي الكلمة العظيمة، التي من أجلها خُلِقَ الخلق، ومن أجلها أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، ومن أجلها أُنْزِلَتِ الكُتُبُ السماوية.

ولا شكّ أن القرآن الكريم، الذي هو خاتم الكتب، وأعظمها قدراً وأفصحها بياناً، قد عُنِيَ بهذه الكلمة العظيمة أيّما عناية؛ فقد وردت في القرآن الكريم في أربعين موضعاً، وجاء القرآن لها بشواهد وأدلة، وقرنها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وكذلك قرنها بما تقتضيه من الأوامر والنواهي، والمعاني الجليلة، التي تدلُّ على معناها ومقتضاها، في سياقات قرآنية بديعة، تشهد أنّ هذا القرآن حقٌّ وأنه ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

لذا، فإنّ البحث في هذه الكلمة العظيمة من خلال القرآن الكريم؛ فيما سبق ذكره من أوجه تناول القرآن لها، وكلام المفسّرين فيما يرتبط بها من معانٍ وأساليب وسياقات، ودراسة ذلك دراسة موضوعية - أمرٌ ملحٌّ بالغ الأهمية؛ لما يترتب عليه من تجلية معنى هذه الكلمة العظيمة وبيانها، من خلال القرآن الكريم.

❁ أهمية الموضوع:

١ - كلمة «**لا إله إلا الله**» هي أعظم كلمة وأشرفها، والقرآن هو أعظم الكتب وأجلّها، لذا فالبحث يتناول أعظم كلمة في أعظم كتاب.



٢- القرآن الكريم هو المصدر الأول في فهم معنى هذه الكلمة العظيمة ودلالاتها، ومعرفة ذلك.

٣- تنوع واختلاف أساليب وسياقات القرآن الكريم في تقرير معنى «لا إله إلا الله».

٤- هذه الكلمة العظيمة تشكّل رافداً تربوياً وإيمانياً في معانيها ودلالاتها وفي ثمراتها.

٥- فتح مجالات جديدة لدراسة بعض المواضيع بطرقٍ مختلفة، للوصول إلى نتائج جديدة، وخاصةً المواضيع المترددة بين علمي التفسير والعقيدة أو التفسير والفقه.

٦- تأكيد حقيقة أن القرآن لا ينضب معينه ولا تنتهي حكمه.

٧- دراسة كلمة «لا إله إلا الله» من خلال كتب التفسير يبرز جهود علماء التفسير في خدمة معنى هذه الكلمة العظيمة وبيانها.

❁ أسباب اختيار الموضوع:

١- أهمية الموضوع وما ذُكر فيه من أسباب.

٢- هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله»، لم تنل حظّها من البحث والدراسة في القرآن الكريم.

٣- عدم وجود دراسات سابقة بالطريقة والمنهج اللذين سأتبعهما، وذلك حسب بحثي وسؤال المختصّين، والله أعلم.

٤- الحاجة الماسّة إلى معرفة طريقة القرآن الكريم في تناوله لكلمة «لا إله إلا الله»، وسياقات القرآن الكريم في ذلك.



- ٥- تدبُّر القرآن ضرورة ملحة، خاصّةً في هذا الزمن الذي كثر فيه دعاة الإلحاد، وهذه الدراسة لبنةٌ في إبراز دور القرآن الكريم في عنايته بـ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» والدعوة إليها والدفاع عنها.
- ٦- الحاجة الماسّة إلى الرجوع إلى القرآن الكريم وفهم معانيه وتدبُّره.
- ٧- إثراء المكتبة الإسلامية، وخاصة في التفسير الموضوعي.
- ٨- الإسهام في تدبُّر معاني القرآن الكريم؛ من خلال معنى «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» وثمراتها.

❁ الدراسات السابقة :

بعد البحث وسؤال المختصين، لم أجد دراسة علمية بحثت تناول القرآن الكريم لكلمة «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» بدراسة موضوعية على النحو الذي تهدف إليه هذه الدراسة وتنتهجه.

ولكن توجد شذرات مثورة في كتب المفسرين، على اختلاف طرقهم ومناهجهم، وهذا ما ستقوم الدراسة بجمعه ودراسته. أما ما بقي من المؤلفات والدراسات التي تناولت معنى «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» من ناحية عقدية بحثية، فهي كثيرة، وهي وإن كانت متخصصة في الجانب العقدي، لكنها لم تتطرق -في مجملها- إلى تناول القرآن الكريم لكلمة «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»، وهذا في حدّ ذاته يحثُّ على النظر والتساؤل، وإن كانت لا تخلو من إشارات يسيرة إلى بعض المسائل.

ولا ننسى كذلك أن من الدراسات في هذه الكلمة العظيمة: الدراسات اللغوية؛ فقد تناولها كثيرٌ من علماء التفسير وعلماء اللغة بالإعراب، فمن ذلك ما أُفرد بمؤلّفٍ مستقلٍّ، ومنه ما كان ضمناً: سواء في التفسير أو في غيره من الشروح.



❁ ومن أبرز ما اطلعت عليه في هذا الموضوع:

١ - (معنى لا إله إلا الله)، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: على محي الدين القره داغي، دار الاعتصام، عدد صفحاته (١٧٨) بقسميه دراسة الكتاب والنص المحقق، والكتاب عظيم الفائدة، وهو يوهّم من عنوانه أنه سيتكلّم عن معاني كلمة «لا إله إلا الله» ويفسّرها على غرار فعل أهل التفسير أو أهل العقيدة، ولكنه نحى منحى أهل اللغة وتوسّع في ذلك، ومع ذلك فقد أضاف كثيرًا من الفوائد العقدية الجليلة الفريدة المتعلقة بكلمة التوحيد.

٢ - (كلمة الإخلاص وتحقيق معناها)، للحافظ عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، تحقيق: الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، طبع المكتب الإسلامي، وهو عبارة عن رسالة صغيرة في (٧٨) صفحة، وقد تناول ابن رجب «لا إله إلا الله» من خلال مجموعة من الأحاديث صدّر بها رسالته، وهي تتكلّم عن مسألتين؛ **إحداهما**: أن من أتى يوم القيامة بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها، **والثانية**: أنه يحرم على النار. والخلاف في ذلك: هل المقصود تحريم الخلود أو تحريم الدخول؟

وأخذ يفرّع على هذا مسائل كثيرة ويقرّر فيها منهج أهل السنة في فهم معنى كلمة التوحيد، وأنه لا يكفي التلفّظ بها، بل لا بدّ من مقتضاها وشروطها وأركانها، وهذه كلها مباحث عقدية محضة ليست داخلية فيما نحن بصده.

٣ - (بيان معنى لا إله إلا الله)، لسماحة الشيخ العلامة: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والأوقاف بالسعودية، وهي عبارة عن رسالة صغيرة الحجم عدد صفحاتها (٤٥) صفحة



من القطع الصغير، وقد تعرّض فيها الشيخ رحمته الله للكلام على أهمية كلمة التوحيد ثم بيّن كيف وقع الشرك في الناس، وكيف وصل الناس إلى عبادة الأصنام، وأن هذا مناقض لكلمة التوحيد، ثم عقد فصلاً في مقتضى كلمة التوحيد، وفصلاً آخر في نواقضها.

٤- (شرح تفسير كلمة التوحيد)، لمعالي الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان، وهي عبارة عن شرح لتفسير الإمام محمد بن عبد الوهاب لكلمة التوحيد، والرسالة صغيرة الحجم؛ عدد صفحاتها (٤٨) صفحة، طبع دار الإمام أحمد، وتكلّمت عن معنى كلمة التوحيد من جانبه العقدي، وأضاف معالي الشيخ صالح الفوزان تفسير علماء الكلام والجهمية وبعض الفرق والرد عليهم وتفنيدهم أقوالهم.

٥- (شهادة أن لا إله إلا الله)، للدكتور: صالح عبد العزيز عثمان سندي، وهو بحث رصين جيد في (١٢٢) صفحة، طبع دار الإمام مسلم، تناول معناها عند أهل العقيدة، وإعرابها وفضلها وشروطها، وأهم ما تثبته وتفنيه.

٦- (شرح شروط لا إله إلا الله)، لخالد علي المرضي الغامدي، وهو بحث موسّع جدّاً، وهو عبارة عن مجلد في (٥٠٠) صفحة، طبع مكتبة دار الحجاز، لكنه اقتصر على شرح شروط «لا إله إلا الله» وبيانها، ولم يتطرّق إلى ما سوى ذلك من المباحث.

٧- (شروط شهادة «لا إله إلا الله» تأصيلاً ودراسة)، رسالة علمية مقدّمة لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية، للباحث: محمد عبد الله مختار، وقد اقتصر البحث على شروط «لا إله إلا الله».



٨- (المسائل العقديّة المتعلّقة بـ«لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» من خلال الأحاديث

الواردة في الكتب التسعة)، وهي رسالة علمية بالجامعة الإسلامية لنيل درجة الماجستير، مقدمة من الباحث: إيهاب نادر على موسى.

٩- («لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» معناها وشروطها ولوازمها عند السلف)، وهي رسالة

علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة أم القرى، مقدمة من الباحث: فهد كريم الأنصاري.

١٠- (الأحاديث الواردة في «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» جمعاً ودراسة)، وهي رسالة

علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مقدمة من الباحث: أيمن أحمد الرحيلي.

هذه أبرز الكتب التي وقفت عليها، وغيرها كثير، ولكن لتشابهها في المضمون والطريقة اقتصرنا على ما سبق ذكره.

وقد تبين أن الموضوع ما زال بكرّاً يحتاج إلى بحث ودراسة، وأسأل الله التوفيق للقيام بذلك خير قيام، والله ولي التوفيق.

❁ خطة الرسالة :

تشتمل خطة الرسالة على: مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة له، وخطته، ومنهجه.

التمهيد: معنى «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» في اللغة والاصطلاح.

الفصل الأول: دلالة القرآن الكريم على كلمة «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

المبحث الأول: دلالة القرآن على فضلها.



المبحث الثاني: دلالة القرآن على معناها.

المبحث الثالث: دلالة القرآن على أركانها.

المبحث الرابع: دلالة القرآن على شروطها.

المبحث الخامس: دلالة القرآن على نواقضها.

المبحث السادس: دلالة القرآن على صفاتها.

المبحث السابع: دلالة القرآن على فهم كفّار قريش لمعناها.

الفصل الثاني: السياقات القرآنية الواردة فيها.

المبحث الأول: سياق الشهادة بالتوحيد.

المبحث الثاني: سياق تصديق وتأييد الأنبياء السابقين ﷺ.

المبحث الثالث: سياق تصديق وتأييد النبي محمد ﷺ.

المبحث الرابع: سياق الاستدلال بخلق الكون عليها.

المبحث الخامس: سياق الاستدلال بخلق الإنسان عليها.

الفصل الثالث: الأمور المقترنة بها في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الأسماء والصفات المقترنة بها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: المعاني المقترنة بها في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأوامر والنواهي المقترنة بها في القرآن الكريم.

الفصل الرابع: سياقاتها في الآيات المكيّة والمدنية وأثره في المعنى.

المبحث الأول: ورودها في الآيات المكيّة والمدنية.

المبحث الثاني: سياقاتها في الآيات المكيّة.



المبحث الثالث: سياقاتها في الآيات المدنية.

المبحث الرابع: المقارنة بين سياقاتها في الآيات المكيّة والمدنية.

الفصل الخامس: ثمرات «لا إله إلا الله» في القرآن الكريم.

المبحث الأول: توحيد الله جل وعلا.

المبحث الثاني: تصديق دعوة الأنبياء عامة عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: تصديق خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

المبحث الرابع: التصديق بالكتب السماوية.

المبحث الخامس: التصديق بيوم القيامة.

المبحث السادس: التصديق بأن الإسلام هو الدين الحق.

المبحث السابع: مغفرة الذنوب.

المبحث الثامن: الأمن من العذاب.

المبحث التاسع: تحقيق الهداية.

المبحث العاشر: الحفاظ والرعاية.

المبحث الحادي عشر: جلب الرزق.

المبحث الثاني عشر: الدخول في رحمة الله.

الخاتمة:

وفيها يتم عرض أهم النتائج والتوصيات والاقتراحات التي توصل

إليها الباحث.

الفهارس:

١- فهرس الآيات. ٢- فهرس الأحاديث.



- ٣- فهرس الآثار.
- ٤- فهرس الأشعار.
- ٥- فهرس الأعلام.
- ٦- ثبت المصادر والمراجع.
- ٧- فهرس الموضوعات.

❁ منهج الرسالة :

- ١- أتبع المنهج الاستقرائي، وذلك في جمع الآيات وأقوال المفسرين.
- ٢- ثم أتبع المنهج التحليلي في دراسة الآيات وأقوال المفسرين؛ لاستنباط الدلالات والسياقات والثمرات، وما اقترن بها من المعاني والأحكام.
- ٣- أتناول علوم القرآن المتصلة بالآيات مما يؤثر في معنى الآية.
- ٤- أبين الغريب من الألفاظ والمشارك والمتمشابه والكلام عليها.
- ٥- عند اختلاف أقوال المفسرين: أسلك مسلك الجمع أو الترجيح بحسب ما يقتضيه المقام.
- ٦- التعليق على ما يحتاج لتعليق من أقوال أهل العلم، وعرض كل ذلك في أسلوب أدبي.
- ٧- مراعاة قواعد اللغة والإملاء والترقيم.
- ٨- عزو الآيات وكتابتها بالرسم العثماني من مصحف المدينة، وذلك في المتن؛ حتى لا تكبر الحواشي.
- ٩- تخريج الأحاديث والآثار؛ فإن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين فأكتفي بهما، وإلا خرّجته من كتب السنة، وأذكر حكم علماء الحديث المعترين عليه إن وجد.
- ١٠- توثيق النقول والأقوال من مصادرها الأصلية.



١١- توثيق الأبيات الشعرية ونسبتها إلى قائلها، فإن كان للشاعر ديوان اكتفيت بالتوثيق منه، وإلا فمن المصادر الأصيلة في الباب.

١٢- التعريف بالأعلام غير المشهورين.

١٣- التعريف بالبلدان والأماكن من المصادر القديمة والحديثة.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصاحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

ففي ختام هذه الرسالة الذي شرفت فيها بدراسة كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» في القرآن الكريم دراسة موضوعية، فإني أخص ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث:

١- أن القرآن الكريم هو أعظم مصدر للعلم بالتوحيد، وهو المنبع الصافي، ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل بغيره، ثم تأتي بعد ذلك السنة النبوية الصحيحة: شارحة ومبيّنة وموضحة.

٢- دلائل عظمة كلمة التوحيد كثيرة جداً، وأعظم دليل على عظمتها وفضلها: شهادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليها، ثم شهادة الملائكة وأولي العلم.

٣- إعراب كلمة التوحيد موضوع ذو أهمية بالغة؛ وذلك لأنه معين على معرفة معناها وفهمه، ومعرفة الصواب في ذلك.

٤- الصواب في خبر (لا) أنه محذوف وتقديره (حق) أو (بحق)، وهو الذي دلّت عليه أدلة الكتاب والسنة، وأجمع عليه علماء الملة.



٥- لمعرفة المعنى الصحيح لكلمة التوحيد: لا بدَّ من معرفة ركنين أساسيين؛ من أجل ألا يقع الخلل والخطأ في معنى هذه الكلمة العظيمة:

الأول: أن خبر (لا) المقدَّر هو: حقٌّ، أو بحقٍّ.

الثاني: أن معنى الإله هو: المعبود.

فيكون المعنى لكلمة التوحيد: لا معبود بحق إلا الله.

٦- وردت كلمة التوحيد في أربعين موضعاً، في تسع وثلاثين آية، في ستِّ وعشرين سورة، في ست صيغ:

♦ **الأولى:** ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

♦ **الثانية:** ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾.

♦ **الثالثة:** ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾.

♦ **الرابعة:** ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾.

♦ **الخامسة:** ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾.

♦ **السادسة:** ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾.

ووردت مكرَّرةً في آية واحدة، في سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

ووردت مكرَّرة في سور (آل عمران، الأنعام، التوبة، طه، الأنبياء، القصص، غافر، الحشر).

٧- أن القرآن الكريم جاء بالدلالة على معنى كلمة التوحيد وأركانها وشروطها بعدة سياقات، مقترنة بالأدلة المتنوعة، التي تدل على استحقاق الله - سبحانه - للألوهية والربوبية.



٨- أن كفار قريش كانوا على فهم وإدراك تام لمعنى كلمة التوحيد، وأنها تنقض معتقداتهم في الأصنام والأوثان، ولذلك اشتد إنكارهم وعنادهم واستكبارهم عن قبولها.

٩- عندما عجز المشركون عن مقارعة الحجّة بالحجّة والدليل بالدليل، وعلموا أن العناد والحجج الواهية لن تفيد في ردّ الحقّ البينّ الواضح، لجأوا إلى التخلص من تبعة ملتهم ومعتقدهم بأن قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

١٠- أن كلمة التوحيد ذكرت في قصص الأنبياء عند المواقف المهمّة في حياتهم؛ لتبين أن مهمتهم جميعاً تقرير التوحيد الخالص والدعوة إليه، وهو الذي من أجله خلق الله الخلق، وأرسل الرسل وأنزل الكتب.

١١- وردت كلمة التوحيد في قصص خمسة من الأنبياء: يونس عليه السلام، وموسى عليه السلام، وسليمان عليه السلام، وعيسى عليه السلام، ونبينا محمّد عليه السلام.

١٢- من أعظم الأدلة على أنه سبحانه لا إله إلا هو: ما أبدعه - سبحانه - في هذا الكون الفسيح من الآيات الباهرة الدالة على قدرته وحكمته وبديع صنعه، وأن ذلك لا يكون إلا من إله واحد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

١٣- من دلائل عظمة كلمة التوحيد أنها اقترنت بعدة أمور:

لله **أولاً:** اقترنت بثلاثين اسماً وصفة لله تعالى، في مئة موضع من المواضع التي وردت فيها كلمة التوحيد.

لله **ثانياً:** اقترنت بعدة معاني، أهمها وأكثرها تكراراً: الدعوة لتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.



ثالثاً: اقترنت بعدة أوامر ونواهي، منها ما هو موجّه للنبي ﷺ، ومنها ما هو موجّه للأنبياء السابقين (عليهم السلام)، ومنها ما هو موجّه للمؤمنين، ومنها ما هو موجّه للمشركين في مكة وغيرهم.

١٤- أن كلمة التوحيد جاءت في القرآن الكريم مقترنة بحشد كبير من المعاني والأدلة والأسماء والصفات والأوامر والنواهي، وكل ما اقترن بكلمة التوحيد يناله شرف الاقتران؛ وذلك لما تحمله كلمة التوحيد من تقرير الألوهية والربوبية لله سبحانه.

١٥- عدد الآيات المكية التي وردت فيها كلمة التوحيد: خمس وعشرون آية، في ثماني عشرة سورة، وعدد الآيات المدنية التي وردت فيها كلمة التوحيد: أربع عشرة آية، في ثماني سور.

١٦- فضائل وثمار كلمة التوحيد كثيرة جداً لا يمكن الإحاطة بها، ولكن نقول كما قال ابن عبد الهادي في ختام كتابه (مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله): «وما قلنا بعض بعض فضائلها، ولو مدّ البحر بعيدان الشجر أقلّاماً ما بلغ عشر عشر فضائلها»^(١).

❁ أهم التوصيات:

١- تم في هذا البحث التطرق للشهادة بالتوحيد «لا إله إلا الله»، في القرآن الكريم، ولعله من المناسب كذلك إكمال البحث في الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة والنبوة في القرآن الكريم.

٢- جمع ثمار وفضائل كلمة التوحيد الواردة في القرآن وتأصيلها تأصيلاً علمياً؛ حيث إنه قد جمع كثيراً منها ابن عبد الهادي في كتابه (مسألة في التوحيد).

(١) مسألة في التوحيد، لابن عبد الهادي (١١٦).



٣- دراسة الدلالات التربوية والإيمانية لكلمة التوحيد من خلال

ثمراتها.

٤- المقترن بكلمة التوحيد من المعاني موضوع واسع، وجدير بمزيد

من البحث، حيث يمكن استقصاؤها في بقية القرآن الكريم.

٥- من خلال كثرة رجوعي لتفسير السعدي «تيسير الكريم الرحمن» تبين

لي بأن له عنايةً فائقةً جدًا بالجانب العقدي، وبعبارة غاية في الدقة والسلاسة والشمول؛ لذا أوصي بدراسة المنهج العقدي في تفسير السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- التفسير العقدي علمٌ جليلٌ في معانيه، غزيرُ الفائدة، عظيمُ النفع،

وهو لبُّ معاني كلام الله جلَّ وعلا، وحسب اطلاعي فإني أظنُّ أنه لا يوجد تفسير يمكن أن يوصف بأنه تفسير عقدي للقرآن، كما يوجد تفسير فقهي، وتفسير بالأثر؛ لذا أوصي بأن يفتح المجال في البحث فيه، ووضع القواعد والأسس له.

٧- جمع جهود المفسرين في تقرير العقيدة من خلال تفاسيرهم،

ودراستها.



مَجْلَدُ التَّكْوِينِ



تَقْرِيرٌ عَنْ بَرْنَامَجِ يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ

إعداد: إدارة البرنامج بجمعية الحكمة
اليمانية الخيرية - فرع إب - اليمن.



بين يدي التقرير

الحمد لله، خصنا بخير كتاب أنزل، وشرفنا بأعظم نبي أرسل، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، والصلاة والسلام على عبده ومصطفاه، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

ثم أما بعد :

هناك، في بلد الإيمان والحكمة، وبرغم الآلام والأوجاع، انتظم عقد برنامج «تدارسونه بينهم»، متشجاً بسنبله، وزاهياً بأفكاره، حاطاً رحاله على المحافظة الخضراء - مدينة إب -، مصافحاً أحلام دعايتها وتطلعاتهم، وباعثاً بإشراقاته في دروبهم ومسيرهم.

انتخب البرنامج صفوة من الدعاة والداعيات، وبمنهجية علمية وتربوية يتم تأهيلهم؛ حيث ترافقهم عشرات الكتب في التفسير وأصوله وقواعده وعلوم القرآن وفنونه، ويصحبهم - خلال عامين من مسيرتهم - جمع من العلماء الربانيين؛ ليحملوا لواء القرآن، ويسهموا في إحياء مجالس تدارسه وتدبره، ويكونوا مشاعل هداية، يعلمون القرآن وينشرون رسالاته ويثبون علومه. وفي هذا التقرير لمحة موجزة عن أنشطة البرنامج وفعالياته، نسأل الله - جل وعلا - أن يبارك هذا المشروع، وأن يتقبله بقبول حسن، وأن يكتب فيه النفع؛ إنه جواد كريم.

إدارة البرنامج

لمحة تعريفية

- انطلق نشاط البرنامج في رجب ١٤٣٨ هـ - الموافق إبريل ٢٠١٧ م، تحت مظلة الإدارة العلمية بجمعية الحكمة اليمانية الخيرية - فرع إب.
- يشرف على البرنامج مجلس إدارة، يضم (مشرفاً عاماً، ومشرفاً علمياً، ومديراً تنفيذياً، و٣ أعضاء).
- ابتداءً البرنامج نشاطه بإقامة دورة للتعريف بمجالس القرآن (منهجية - تطبيقاً) في شعبان ١٤٣٨ هـ، أثمرت الدورة إقامة (٣٥) حلقة تدارس للقرآن الكريم خلال شهر رمضان ١٤٣٨ هـ، في عموم مديريات مدينة إب - اليمن.
- تم تدشين برنامج: تأهيل مشرفي مجالس القرآن (مدة الدراسة: عامان) في ذي القعدة للعام ١٤٣٨ هـ، حيث شارك في الدفعة الأولى (٣٥) مشاركاً.
- تم استقبال الدفعة الثانية من المشاركين في البرنامج في شوال ١٤٣٩ هـ، حيث شارك في هذه الدفعة عدد (٤٠) مشاركاً، (١٥) مشاركة.
- تم تخريج الدفعة الأولى من البرنامج في ذي القعدة ١٤٤٠ هـ.
- أقام البرنامج عدد (٥) دورات تدريبية للتعريف بمجالس القرآن، استفاد منها ما يزيد عن (١٩٠) متدرباً.
- أقام البرنامج في الفترة ما بين ١٤٣٨ - ١٤٤٠ هـ عدد (١٤٦) حلقة تدارس في رمضان، بمتوسط (٢٥) مجلساً تدارسياً لكل حلقة، يستفيد من المجلس التدبري الواحد في عموم الحلقات ما يزيد عن (١٥٠٠) مشارك.



❖ فكرة البرنامج:

برنامج قرآني، يهدف إلى إحياء مجالس تدارس القرآن الكريم، ونشر رسالته، وإيصال هداياته إلى كافة شرائح المجتمع.

❖ المنطلقات والمرتكزات:

➤ القرآن الكريم:

قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

➤ السنة النبوية:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة» [رواه البخاري ومسلم].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» [رواه مسلم].

➤ فعل السلف:

قال النووي رحمته الله روى ابن أبي داود في كتاب المصاحف قال: «فعل الدراسة مجتمعين: مأثور عن أفاضل السلف والخلف وقضاة المتقدمين».

❖ أهداف البرنامج

- ✓ إحياء سنة مجالس تدارس القرآن الكريم.
- ✓ إعداد كوادر قرآنية مؤهلة لنشر رسالة القرآن وهداياته.



✓ بناء النفس المؤمنة وإعادة تشكيلها تربية وتزكية، والرقى بها في معارج الفلاح والصلاح.

✓ ربط الأمة بالقرآن الكريم تلاوةً وفهمًا وتدبرًا وعملاً، وترسيخ عظمته في النفوس.

❖ الآليات والوسائل:

✓ إنشاء حلقات قرآنية تُعنى بتدارس القرآن وتدبره.

✓ تأهيل بعض طلبة العلم ليكون لديهم الكفاءة والأهلية لإدارة وتسيير مجالس التدارس.

✓ إقامة المحاضرات العامة التي تهدف إلى ربط الأمة بالقرآن وترسيخ عظمته في نفوسهم.

✓ إقامة الدروس التخصصية في علوم القرآن الكريم.

✓ عقد مسابقات في قراءة بعض الكتب التي تلفت عناية الأمة إلى القرآن (لا سيما طلاب المرحلتين الثانوية والجامعية) باعتباره منهج حياة، وتسهم في إحياء رسالته، وتسعى لتعظيمه في نفوسهم.

✓ استثمار مواقع التواصل الاجتماعي في نشر رسالة القرآن، وإيصال هداياته لشريحة واسعة من أبناء الأمة.



❖ أنشطة البرنامج:



❖ حلقات تدارس القرآن الكريم الدائمة:

حلقات قرآنية تعنى بتدارس القرآن الكريم، يقوم عليها مشرف مؤهل، تهدف إلى فهم معنى القرآن الكريم وتدبره، وصولاً إلى العمل به.

❖ ضوابط البرنامج:

♦ المشارك:

- ١- المواظبة على حضور المجلس.
- ٢- الالتزام ببرنامج المجلس.
- ٣- التفاعل والمشاركة في التدارس.



♦ المعلم:

- ١- أن يكون مستقيم العقيدة مشهودًا له بحسن الخلق.
- ٢- أن يكون مقتنعًا بفكرة البرنامج متحمسًا لها.
- ٣- أن يكون مجيدًا لتلاوة القرآن.
- ٤- أن يكون لديه خلفية في العلوم الشرعية، بحيث تكون لديه مقدمات ومفاتيح العلوم.
- ٥- يفضل أن يكون متخصصًا في القرآن وعلومه.
- ٦- أن يعتني بتحضير الورد الخاص بكل مجلس تلاوة وتفسيرًا.
- ٧- أن يتصف بسعة الصدر وحسن إدارة المجلس، بحيث يستوعب مداخلات وإضافات من معه في المجلس.
- ٨- اجتياز المقابلة الشخصية.
- ٩- أن يحضر الدورة التأهيلية الخاصة بالبرنامج.

♦ الفنية:

- ١- ألا يقل عدد المنتسبين في مجلس التدارس عن ٧، ولا يزيد عن ١٥.
- ٢- تخصيص أيام معينة خلال الأسبوع (لا تقل عن ٣ أيام) لانعقاد المجلس.
- ٣- يختار الوقت المناسب لانعقاد المجلس، ولمدة ساعة كحد أدنى.
- ٤- تسجيل الحضور والغياب في كشف خاص معد لذلك.

❖ المنهج:

تدارس القرآن الكريم، ويتم البدء:

✍ بسورة الفاتحة وقصار السور.

✍ بالآيات والسور التي أثر عن النبي ﷺ أنه يقرأها في الصلاة، أو الأذكار، أو ورد في شأنها فضل خاص (آية الكرسي، أو آخر البقرة، الأعلى، الغاشية، الملك، ق، الكهف..)

❖ ضوابط البرنامج:

✍ تنشئ إدارة البرنامج مجموعة في «الواتس اب» تعنى بتبادل الخبرات والفوائد واللفتات والاستشكالات والإيرادات وما يهم البرنامج.

✍ تتم متابعة الحلقات فنياً وإدارياً من خلال (مشرف إداري - موجه فني).

✍ تقوم إدارة البرنامج بعقد لقاء شهري (علمي - تزكوي) لجميع المسؤولين عن حلقات التدارس، ويتم على هامش اللقاء نقاش حول وسائل تطوير مجالس التدارس.

❖ حلقات تدارس القرآن الكريم الرمضانية:

حلقات قرآنية رمضانية تعنى بتدارس القرآن الكريم، يقوم عليها مشرف مؤهل، تهدف إلى فهم معاني القرآن وتدبره، وصولاً إلى العمل به.



❖ الدليل الإرشادي للبرنامج:

[illegible]



الدليل الإرشادي
لحلقات تدارس القرآن الكريم
الرمضانية للعام ١٤٤٠هـ
المستوى الثاني



إعداد / الإدارة العلمية لبرنامج بتدروسه بينهم - اليمن - إ.ب

[illegible][illegible]



❖ استبانة تقييم جلسات التدبر:

جمعية الحكمة اليمانية الخيرية

الإدارة العلمية

برنامج تدارسونه بينهم

جدول تقييم علمي لحفلات (تدارسونه بينهم)

التقييم العلمي				
الرقم	الاسم	التهيئة للتدبر	الوسائل التدبرية	نوع التدبر
مجالات التدبر				
١.				
٢.				
٣.				
٤.				
٥.				
٦.				
٧.				
٨.				
٩.				
١٠.				
١١.				
١٢.				
١٣.				
١٤.				
١٥.				
١٦.				
١٧.				
١٨.				
١٩.				
٢٠.				

التهيئة للتدبر: ١- دعاء وسؤال الله فلهيم ٢- تنظيم القرآن الكريم ٣- استظهار خطاب الله له ٤- تدبر العقاب من المشوغل ٥- البدء عن عناصر القرآن- أخرى
الوسائل التمهيدية: ١- لندارة الجماعية ٢- الوسائل الامامية ٣- استماع القرآن من الغير ٤- ترويض الآية المؤثرة ٥- الترتيل- أخرى
نوع التدبر: ١- تدبر حرف ٢- تدبر كلمة ٣- تدبر جملة ٤- تدبر موضوع قصيدة قصيدة ٥- أخرى
مجالات التدبر: ١- لغة القرآن ٢- علاقات السورة ٣- أقسام القرآن ٤- قصص القرآن ٥- أشغال القرآن ٦- أخرى

❖ نموذج تحضير لحقات التدارس :

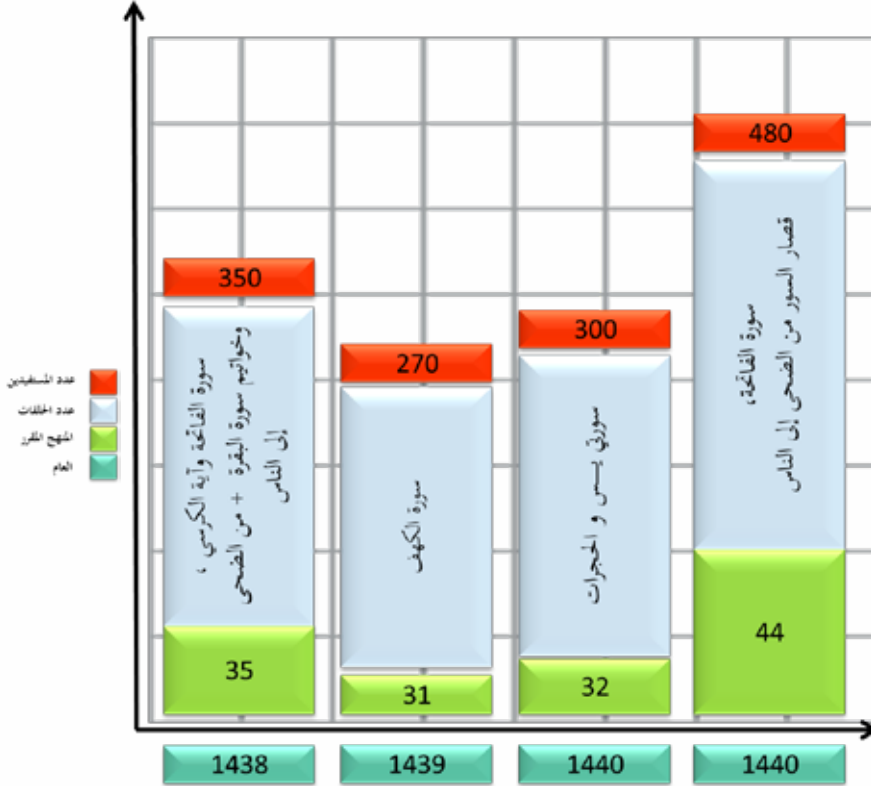


نموذج تحضير لحقات (يتدارسونه بينهم)

التاريخ	موعد انعقاد المجلس	المكان	عدد المشاركين	السورة
المحور	موضوع التكبير			
التعريف بالسورة ومقتضاها العام				
الغريب				
الغنى العام				
الوقفات التدرجية				
التوجيهات				
الأعمال				

مشرف الحلقة :

❖ الإنجازات:



❖ تأهيل مشرفي مجالس تدارس القرآن:

برنامج علمي تربوي شهري للمشاركين في برنامج «يتدارسونهم بينهم»، يهدف إلى إعداد كوادر قرآنية مؤهلة لنشر رسالة القرآن وهداياته، وترسيخ عظمته في القلوب، وإحياء مجالس تدارسه؛ بما يفضي لتزكية النفوس وصلاح الفرد والمجتمع.



❖ وسائل تحقيق أهداف برنامج التأهيل :

- ✎ اختيار نخبة من حملة القرآن وطلبة العلم.
- ✎ تنظيم لقاء شهري في مكان مناسب.
- ✎ إعداد منهج علمي يحقق الهدف.
- ✎ توفير المنهج لكافة المشاركين.
- ✎ المتابعة المستمرة والهادفة للمشاركين والتواصل الدائم معهم، بما يحافظ على ألق البرنامج وتفاعل المشاركين.
- ✎ إنشاء مجموعة على (الواتس اب) خاصة باللقاء، يتم فيه وضع المقرر اليومي + متابعة إنجاز المشاركين لقراءته + الرد على الاستفسارات والإيرادات الخاصة بالمقررات، وكتابة التلخيصات والاختبارات المختصرة.
- ✎ يتم استضافة مؤلفي بعض الكتب المقررة من المعاصرين؛ للرد على الاستفسارات وإيضاح المشكلات.
- ✎ تنظيم وسائل تقويم متنوعة وسلسلة كالاختبارات والتلخيص.
- ✎ وضع حوافز لأفضل نتائج التقويم وأفضل المشاركات في مجموعة الواتس اب.

❖ آليات التنفيذ :

- ♦ يتم توزيع المنهج المقرر على المشاركين مطلع كل شهر، وتتم قراءته بصورة فردية.
- ♦ يتم إثراء موضوعات الكتاب ومناقشته من خلال: مجموعة الواتس اب الخاصة باللقاء، والإجابة على الاستفسارات والإشكالات.
- ♦ يتم استعراض الكتاب من أحد المتخصصين ومناقشته في اللقاء العلمي الشهري.
- ♦ يتم تكريم أفضل التلخيصات.



جدول اللقاء العلمي الشهري

م	السوق		الطعامية
	م	س	
1	8:00	8:30	استقبال المشاركين
2	8:30	9:45	عرض ومناقشة المقرر الشهري
3	9:45	10:00	استراحة
4	10:00	11:15	عرض ومناقشة المقرر الشهري
5	11:15	12:15	مجلس تدارس آيات مختارة
6	بعد صلاة الظهر		كلمة إيمانية
7	1:00	1:15	تكريم أفضل التلميذات والمشاركات في مجموعة (واسب) توزيع منهج الشهر المقبل
	1:15	1:45	وجبة الغداء

منهج اللقاء العلمي (للمدارس)

م	المحور	الكتاب المقرر	المؤلف	الشهر
1	أدب وهندسة	أدب حصة القرآن تلخيص الرسالة القرآنية	الإمام النووي د. فريد الأندلسي	دار التلمذة
2	البيان	التفسير القرآني	د. فاضل السامرائي	دار الهمزة
3	قواعد التفسير	مختصر قواعد التفسير قواعد التفسير	د. حسن الخوري م. محمد	مجمع
4	علوم القرآن	التحصيل الأساسية في علوم القرآن	د. عبد الله الصديقي	مجمع
5	التفسير	القواعد والأمور والتطبيقات التفسيرية	د. محمد السيد	زيج الأول
6	المعاني	معاني القرآن	م. محمد صادق الخارقي	دار التلمذة
7	مشكل القرآن	مشكل القرآن	عبد الله بن عبد الصمد	جداول الأولى
8	التفسير	نوازل التفسير	الشيخاني	جداول الثانية
9	التفسير	نوازل التفسير	الشيخاني	و.ج.
10	التفسير	نوازل التفسير	الشيخاني	شعبان

منهج اللقاء العلمي (للمدارس)

م	المحور	الكتاب المقرر	المؤلف	الشهر
1	أدب	إخلاص حصة القرآن هذه رسائل القرآن... فمن يتفقد؟	الإمام الأحمدي الشيخ - فضائل القرآن د. فريد الأندلسي	دار التلمذة
2	أسول التفسير	أسول التفسير	شيخ الإسلام ابن تيمية وشرح: د. محمد عبد الله	دار التلمذة
3	قواعد التفسير	القواعد الأساسية في تفسير القرآن	السيد	دار التلمذة
4	علوم القرآن	مباحث في علوم القرآن	م. محمد الخارقي	دار التلمذة
5	مناهج التفسير	مناهج التفسير	م. محمد أبو زيد	دار التلمذة
6	أسول والمناهج	أسول في علم التفسير والمناهج	د. محمد الخارقي	دار التلمذة
7	التفسير	أسول في علم التفسير والمناهج	م. محمد الخارقي	دار التلمذة
8	التفسير	أسول في علم التفسير والمناهج	م. محمد الخارقي	دار التلمذة
9	التفسير	أسول في علم التفسير والمناهج	م. محمد الخارقي	دار التلمذة
10	التفسير	أسول في علم التفسير والمناهج	م. محمد الخارقي	دار التلمذة

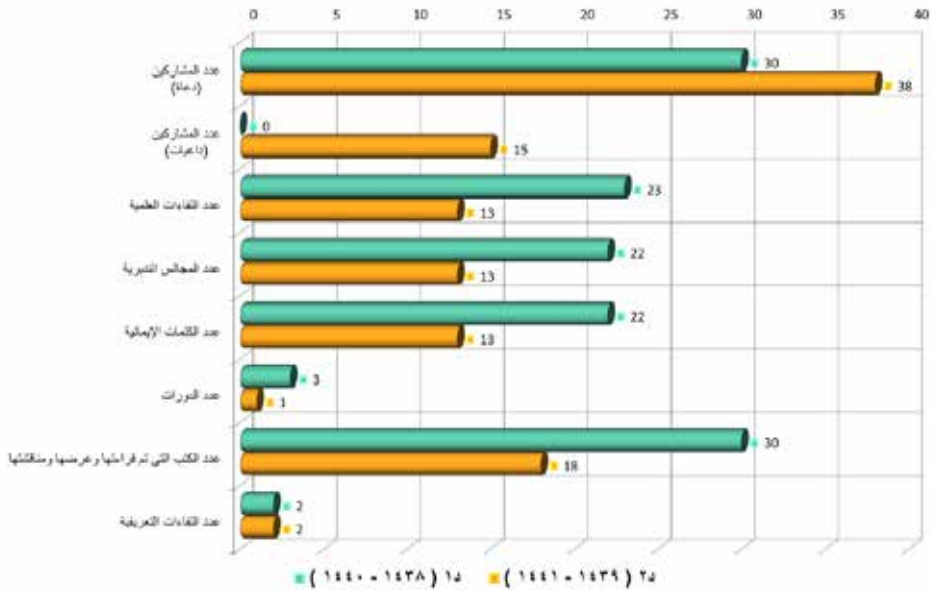
❖ ضوابط البرنامج:

- ✓ الالتزام بحضور اللقاء العلمي.
- ✓ الالتزام بالمنهج المقرر ومتطلباته.

❖ مدة البرنامج:



❖ الإنجازات:



تم استضافة ٢٢ من المشايخ في البرنامج



النماذج والأدلة الإرشادية لبرنامج تأهيل مشرفي مجالس تدارس القرآن

❖ جدول متابعة قراءة كتاب:

اللقاء العلمي الشهري

برنامج يتدارسونه بينهم

جدول قراءة كتاب " القواعد الحسان لتفسير القرآن " للشيخ : السعدي

م	اليوم	التاريخ	المقرر اليومي بالصفحات		ملاحظات
			من	إلى	
١.	السبت	٣ محرم ١٤٣٩هـ	١٣	٢٢	
٢.	الأحد	٤ محرم ١٤٣٩هـ	٢٣	٣٠	
٣.	الاثنين	٥ محرم ١٤٣٩هـ	٣١	٤٢	
٤.	الثلاثاء	٦ محرم ١٤٣٩هـ	٤٣	٥٢	
٥.	الأربعاء	٧ محرم ١٤٣٩هـ	٥٣	٦١	
٦.	الخميس	٨ محرم ١٤٣٩هـ	٦٢	٧٢	
الجمعة			استراحة		
٧.	السبت	١٠ محرم ١٤٣٩هـ	٧٣	٧٩	
٨.	الأحد	١١ محرم ١٤٣٩هـ	٨٠	٨٨	
٩.	الاثنين	١٢ محرم ١٤٣٩هـ	٨٩	١٠١	
١٠.	الثلاثاء	١٣ محرم ١٤٣٩هـ	١٠٢	١٠٩	
١١.	الأربعاء	١٤ محرم ١٤٣٩هـ	١١٠	١١٦	
١٢.	الخميس	١٥ محرم ١٤٣٩هـ	١١٧	١٢٤	
الجمعة			استراحة		
١٤.	السبت	١٧ محرم ١٤٣٩هـ	١٢٥	١٣٥	
١٥.	الأحد	١٨ محرم ١٤٣٩هـ	١٣٦	١٤٢	
١٦.	الاثنين	١٩ محرم ١٤٣٩هـ	١٤٣	١٤٩	
١٧.	الثلاثاء	٢٠ محرم ١٤٣٩هـ	١٥٠	١٥٦	
١٨.	الأربعاء	٢١ محرم ١٤٣٩هـ	١٥٧	١٦٣	
١٩.	الخميس	٢٢ محرم ١٤٣٩هـ	١٦٤	١٧٣	
الجمعة			استراحة		
٢١.	السبت	٢٤ محرم ١٤٣٩هـ	١٧٤	١٨٤	
٢٢.	الأحد	٢٥ محرم ١٤٣٩هـ	١٨٥	١٩٢	
٢٣.	الاثنين	٢٦ محرم ١٤٣٩هـ	١٩٣	٢٠٥	
٢٤.	الثلاثاء	٢٧ محرم ١٤٣٩هـ	٢٠٦	٢١٧	
٢٥.	الأربعاء	٢٨ محرم ١٤٣٩هـ	مراجعة عامة		
الخميس ٢٩ محرم ١٤٣٩هـ			اللقاء العلمي الشهري		

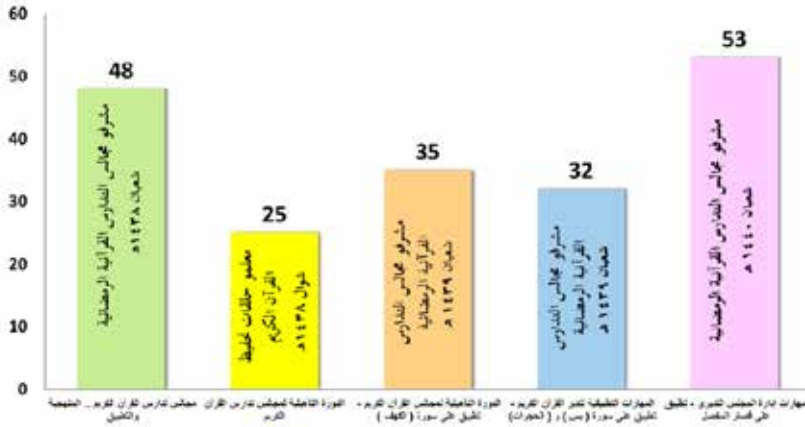
[illegible]

دورات تدريبية تهدف إلى التعريف بمجالس تدارس القرآن وطرائق إقامتها، والضوابط الهامة لنجاحها.

يوم واحد، بواقع ٨ ساعات تدريبية.

❖ الإنجازات:

موضوع الدورة	المستهدفون	عدد المشاركين	تاريخ الدورة
مجالس القرآن بين المنهجية والتطبيق	مشرفو مجالس التدارس القرآنية الرمضانية	٤٨	شعبان ١٤٣٨هـ
الدورة التأهيلية لمجالس القرآن الكريم	معلمو حلقات تحفيظ القرآن الكريم	٢٥	شوال ١٤٣٨هـ
الدورة التأهيلية لمجالس القرآن الكريم تطبيق على سورة (الكهف)	مشرفو مجالس التدارس القرآنية الرمضانية	٣٥	شعبان ١٤٣٩هـ
المهارات التطبيقية لتدبر القرآن الكريم تطبيق على سورة (يس) و(الحجرات)	مشرفو مجالس التدارس القرآنية الرمضانية	٣٢	شعبان ١٤٤٠هـ
مهارات إدارة المجلس التدبري تطبيق على قصار المفصل	مشرفو مجالس التدارس القرآنية الرمضانية	٥٣	شعبان ١٤٤٠هـ



٥ دورات



١٩٣ مستفيداً



٤٠ ساعة تدريبية

❖ المسابقات:

يهدف البرنامج - من خلال إقامة المسابقات - إلى التالي:

لله تعظيم القرآن الكريم في نفوس الجيل، خصوصاً (الشباب والفتيات في المراحل الإعدادية والثانوية والجامعة).

لله معالجة الظواهر المجتمعية السلبية والمخالفات من خلال القرآن الكريم.

لله إحياء مفهوم تدبر القرآن الكريم في الأمة.

لله بناء النفس المؤمنة وتركيتها وتربيتها وإعادة تشكيلها وفق منهج القرآن.

❖ مثال للفكرة:

➤ مسابقة في تعزيز قيمة العفة لدى الشباب والفتيات من خلال إقامة مسابقة في كتاب: (أسوار العفاف: قيس من سورة النور) لطلاب وطالبات المرحلة الثانوية والجامعية.

➤ مسابقة في تعزيز الأخلاق الاجتماعية من خلال سورة الحجرات.
➤ مسابقة بحثية في التفسير الموضوعي حول موضوع معين في القرآن.

❖ نشر هدايات القرآن الكريم عبر مواقع التواصل الاجتماعي:

يحاول البرنامج -بإمكانياته المتاحة- استثمار وسائل التواصل الاجتماعي، في نشر رسالة القرآن، والتذكير بهداياته؛ حيث يتم نشر هدايات قرآنية، ووقفات تدبرية، ولطائف تفسيرية، وإشراقات إيمانية (مكتوبة، صوتية، مرئية)، بما يضمن وصول رسالة القرآن لشريحة عريضة من أبناء الأمة من خلال هذه الوسائط.

قد بدأ البرنامج بخطوة في هذا الاتجاه، من خلال فتح حسابات على

مواقع التواصل الاجتماعي على المنصات التالية:



<https://twitter.com/ytdarsonh>



<https://www.facebook.com/b.yatdarsonh>



<https://chat.whatsapp.com/JwgwiCGkacd5QnMo6zTYDe>



https://t.me/ytdarsonh_binahom



أفكار ورؤى مستقبلية

إطلاق برنامج الرواحل (لتأهيل كوادر علمية وإدارية تضطلع بمسئولية الإشراف على البرنامج).



تعميم الفكرة في بعض محافظات اليمن كمرحلة أولى



موقع على شبكة الإنترنت



نقل فعاليات البرامج والدورات عبر وسائل التواصل المختلفة

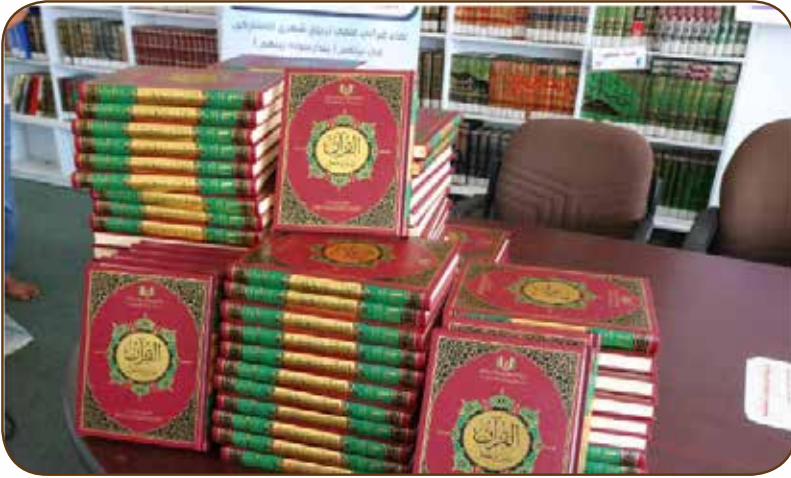


طباعة نتاج مجموعة التدارس بعد مراجعتها



المقررات العلمية





حفل التخرج

تحت إشراف الإدارة العلمية بجمعية الحكمة
اليمانية الخيرية

يقوم برنامج (يتدارسونہ بينهم)

اختتام برامجه للعام الأول 1438هـ / 1439هـ
تدشين فعالياته للعام الثاني 1439هـ / 1440هـ

اليوم: السبت التاريخ: 8 / ذو القعدة / 1439هـ الموافق: 21 / يوليو / 2018م

مَجْلَدُ التَّكْوِينِ



نَالِيًا: تَقَارِيرُ الْمُؤْتَمَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْلَدُ التَّكْوِينِ



تَقْرِيرٌ عَنْ
الْمُؤْتَمَرِ الْعَالَمِيِّ السَّادِسِ
لِلدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
فِي أَوْرُوبَا "مَنْهَجُ الْقُرْآنِ فِي بِنَاءِ الْإِنْسَانِ"

إعداد: إدارة المؤتمر.

✽ تقرير عن المؤتمر العالمي السادس للدراسات القرآنية وتدبر القرآن الكريم
في أوروبا

✽ عنوان المؤتمر:

(منهج القرآن في بناء الإنسان) مانشستر - بريطانيا

✽ الجهة المنظمة:

الأكاديمية الأوروبية للدراسات القرآنية

بالاشتراك مع مركز التراث الإسلامي البريطاني في مانشستر

يوم السبت والأحد ٣-٤ ذي القعدة ١٤٤٠ الموافق ٦-٧ يوليو ٢٠١٩

✽ مكان عقد المؤتمر:

مدينة مانشستر

مركز التراث الإسلامي

College Road, Manchester, M8 16BP, UK.



الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على المبعوث رحمة
للعالمين نبينا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين .

وبعد :

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٥]. في هذه الآية الكريمة يثبت الله سُبحانه وتعالى أنه بعث نبيه محمدا ﷺ رحمة للعالمين وأنزل عليه الوحي كتابا وسنة ليبنى الإنسان بناء شاملا متكاملا متوانا. و تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء وقد إكتمل الدين لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ونحن أحوج ما نكون في هذا الزمان خصوصا المسلمون في الغرب إلى البحث عن هذا المنهج الرباني الذي يحمي الأمة الإسلامية من ظواهر العنف والتكفير والإقصاء، أو التفریط والإنحلال. ومن مقتضيات العودة إلى هذا المنهج التعرف عليه ومن ثم كان هذا المؤتمر.

❁ أهمية المؤتمر:

يأتي هذا المؤتمر إمتدادا لمؤتمرات سابقة تبنتها الأكاديمية الأوروبية للدراسات القرآنية التي عنيت بالتعريف بالقرآن وتدبره، وتدرسه وأبحاثه في الغرب، وفي هذا المؤتمر بالذات نعتني بمنهج القرآن في بناء الإنسان ومن ثم العمران لبنين للمسلمين وغير المسلمين كيف كان الإسلام الراعي الأول لبناء الشخصية المسلمة النافعة المتفاعلة إيجابيا مع غيرها ومع الكون لإعمار الأرض.



❁ أهداف المؤتمر:

- التعرف على منهج القرآن في بناء الإنسان.
- ترسيخ مفهوم الكرامة الإنسانية وتكريم الإنسان في القرآن الكريم.
- التعرف على علاقة تدبر القرآن بتزكية الإنسان وبناء العمران.

❁ محاور المؤتمر:

❖ المحور الأول:

سمات الشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم.

❖ المحور الثاني:

جوانب بناء الإنسان في القرآن الكريم.

❖ المحور الثالث:

أثر تدبر القرآن الكريم في بناء الشخصية المسلمة

❁ ورش العمل:

طرق البحث العلمي حسب الضوابط البريطانية.
وقد تقدم للمؤتمر (٧٠) بحثًا، قبل منها (٣٠)، وأقيم على هامشه ورشة عمل عن طرق البحث العلمي حسب الضوابط البريطانية، وقد شارك في المؤتمر ثلاثون باحثًا وباحثة.

وقد شارك في فعاليات المؤتمر أكثر من (١٢٠) مشاركًا ومشاركة من داخل بريطانيا وخارجها، من ٥ دول من دول العالم، وقد ناقش المؤتمر دور القرآن في بناء الإنسان، من خلال ثلاثة محاور؛ هي:

١ - د. عواد عبد الرحمن الرويلي، جوانب بناء الإنسان في القرآن الكريم.



٢- د. **توفيق العمراني**، المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير: دراسة استقرائية تحليلية.

٣- د. **عبد الله بن عبد الرحمن الميمان**، البناء العقدي للإنسان في القرآن الكريم: دراسة تحليلية.

٤- د. **إبراهيم بن عبد الله المعثم**، البناء العقدي في القرآن الكريم: النهي عن الشرك.

٥- د. **حمد بن حسين الجعدي**، منهج القرآن في البناء السلوكي للإنسان في سورة الحجرات.

٦- د. **صالحه بنت حسين الهجاري**، المنهج القرآني في البناء النفسي للإنسان.

٧- د. **عائشة علي الإمام**، منهج القرآن في بناء الشخصية الإيجابية من خلال هدايات سورة النساء.

٨- د. **عزيزة مطلق الشهري رَحِمَهَا اللَّهُ**، تكريم الإنسان مقصد شرعي.

٩- د. **خيرية علي الشهري**، بناء القرآن الكريم للجانب الأخلاقي في الشخصية الإنسانية.

١٠- د. **أميرة بنت علي الصاعدي**، شخصية المرأة المسلمة من خلال سورة الأحزاب.

١١- د. **أيمن غازي صابر**، الهدايات القرآنية المستنبطة من آيات الطلاق والخلع من خلال سورة البقرة وأثرها في بناء الشخصية المسلمة.

١٢- د. **طه محمد آدم**، بناء الإنسان فكرياً من خلال مفردات (النظر) و(البصر) و(الرؤية) الواردة في القرآن الكريم.



١٣- د. ياسر بن عبد الرحمن اليحياء، أثر أسماء الله وصفاته في فواصل الآيات على بناء النفس الإنسانية.

١٤- أ. د. غالب بن محمد الحامضي، بناء القيم لدى الإنسان في ضوء سورة النور.

١٥- أ. د. محمد خازر المجالي، دور القرآن الكريم في بناء حرية الإنسان.

١٦- د. زينب سعيد داوود، بناء الإنشاء كما ورد في سورة لقمان.

١٧- د. بان حميد الراوي، القيم الأخلاقية وأثرها في بناء الفرد وفق المقاصد القرآنية.

١٨- د. محاسن حسن عبد الله، بناء الإنسان في القرآن الكريم دراسة مقاصدية (حفظ النفس والعقل أنموذجًا).

١٩- د. أمل بنت يوسف اللهبي، دور العقيدة في البناء الأخلاقي للشخصية المسلمة: الإحسان أنموذجًا.

٢٠- د. حفيظة بلقاسم ربيع، البناء النفسي للمرأة في القرآن.

٢١- د. عادل بن إبراهيم رفاعي، القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية.

٢٢- د. إدريس الكاميري، تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة.

٢٣- د. عبد الرحيم حيزوم، التطبيقات العملية لتدبر القرآن الكريم لبناء الشخصية المسلمة.



٢٤- د. عبد الله بن عبد الرحمن اليميني، أثر تدبر القرآن في بناء الشخصية المسلمة.

٢٥- د. ممدوح بن تركي القحطاني، أثر تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية الصحابة رضي الله عنهم.

٢٦- د. عبد الرحيم عبد الله الشنقيطي، أثر القرآن الكريم وعلومه في بناء الشخصية العلمية المثالية.

٢٧- أ. د. يوسف بن علي الطريف، أثر تدبر القرآن في زيادة الإيمان؛ وعلاقته ببناء الشخصية المسلمة.

٢٨- د. هشام محمد سيف، هدايات القرآن وأثرها في بناء الإنسان وصلاح العمران.

٢٩- د. وفاء بنت عبد الله الزعاقبي، السلام في القرآن الكريم: أبعاده التربوية وآثاره الحضارية.

٣٠- د. حياة يوسف ملاوي، نحو رعاية مستدامة لكبار السن من منظور قرآني.



توصيات المؤتمر العالمي السادس للدراستات القرآنية وتدبر القرآن

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وببركة عونه وتوفيقه تتكامل الأعمال والحسنات، فله الحمد واجباً، وله الدين واصباً، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد :

♦ فقد يسر الله عقد المؤتمر العالمي السادس، خلال الفترة ٣-٤ ذي القعدة ١٤٤٠هـ الموافقة ٦-٧ يوليو ٢٠١٩م، الذي تنظمه الأكاديمية الأوروبية للدراستات القرآنية، بالتعاون مع مركز التراث الإسلامي بمدينة مانشستر - بريطانيا.

♦ وقد تقدم للمؤتمر (٧٠) بحثاً، قبل منها (٣٠)، وأقيم على هامشه ورشة عمل عن طرق البحث العلمي حسب الضوابط البريطانية، وقد شارك في المؤتمر ثلاثون باحثاً وباحثة.

♦ وقد شارك في فعاليات المؤتمر أكثر من (١٢٠) مشاركاً ومشاركةً من داخل بريطانيا وخارجها، من ٥ دول من دول العالم، وقد ناقش المؤتمر دور القرآن في بناء الإنسان، من خلال ثلاثة محاور؛ هي:

١- تبيان علاقة القرآن ببناء الإنسان.

٢- ترسيخ مفهوم القيم الإنسانية، وتكريم الإنسان في القرآن الكريم.

٣- التعرف على علاقة تدبر القرآن بتزكية الإنسان وبناء العمران.



♦ وفي ضوء ما ورد في البحوث من توصيات ومقترحات وما ورد من الحضور من التوصيات والمقترحات، فقد خرجت لجنة التوصيات بالتوصيات التالية :

- ١- التأكيد على عناية القرآن ببناء الإنسان.
- ٢- التركيز -في الخطاب القرآني للجمالية المسلمة وغير المسلمة- على الثوابت الإنسانية المشتركة، التي يزخر بها القرآن.
- ٣- ترسيخ مفهوم دور القرآن في الحضارة الإنسانية ونشر قيم الوسطية.
- ٤- تربية وبناء النشء الإسلامي في الغرب على المنهج الإسلامي.
- ٥- التأكيد على وسطية وشمول المنهج القرآني في بناء الإنسانية.
- ٦- ترجمة بعض هذه التوصيات إلى مناهج تربوية عملية.
- ٧- ترجمة توصيات المؤتمر وملخصات البحوث المقدمة إلى اللغات الحية ونشرها.
- ٨- عقد المؤتمر العالمي السابع للدراسات القرآنية وتدبر القرآن بعد عام من الآن.



مَجَلَّةُ التَّكْوِينِ



إِبعَا: المُلَخَّصَاتُ بِاللُّغَةِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ

TADABBUR MAGAZINE

Periodical, Scientific and Arbitral Magazine specializes in arbitration and dissemination studies and searches related to Holy Quran, biannual issued

Number 7; volume 4 Muharram 1441 AH, corresponding to September 2019

Chairman of the Editorial Board

Prof. Dr. Muhammad bin Abdul-Aziz Al-Awaji

Professor at the Department of Interpretation
And Quranic Sciences, Islamic University

Managing Editor

Prof. Dr. Muhammad Bin Abdullah Al-Rbiha

Professor at the Department of Quran and
Its Sciences, Al-Qusiem University,

Editorial Secretary

Mustafa Mahmud Abdullwahed



Copyright ©

Tadabbur Magazine

320 P, 17×24 cm

ISBN: 5883/ 1438

Date: 24/6/1438

ISSN : 7642- 1658



Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency

The magazine is authorized by the Ministry of
Information , Saudi Arabia: 375

Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should
be addressed to the Editor-in-Chief
Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji

Kingdom of Saudi Arabia
PO Box 7119
Medina 41462

Info@tadabburmag.sa



+ 966503072333



@tadabburmag



http://www.tadabburmag.sa



All contributions express their authors' views



Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur'an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

Mission: To be researchers' first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur'an.

Vision: The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur'an and related areas, observing professional publishing international standards.

Aims:

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur'an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.





One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur'an.
2. Qur'anic themes.
3. Objectives of the Qur'an.
4. Revelational Circumstances of the Qur'an
5. The inimitability of the Qur'an.
6. The superior excellence of the Qur'an style.
7. Teaching methods of in-depth understanding the Qur'an.
8. Deduction from the Qur'an.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur'an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur'an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur'an.

.....



Editorial Board:

1. Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji; Professor, Department of Commentary and Qur'anic Studies at the Islamic University. (Chairman).
2. Prof. Ibraheem ibn Salih al-Humaidi, Professor, Department of the Qur'an and its Studies, University of al-Qasim.
3. Prof. Abd al-Rahman ibn Nasir al-Yusuf, Professor, Department of the Qur'an and its Studies, Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.
4. Prof. Yusuf ibn Abdullah al-Ulaiwi, Associate Professor, Department of Fine Expression [al-Balaghah], Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.
5. Dr. Buraik ibn Saeed al-Qarni, Associate Professor, Department of the Qur'an and its Studies, Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.
6. Prof. Muhammad ibn Abdullah al-Rabeeah, Associate Professor, Department of the Qur'an and its Studies, University of al-Qasim.
7. Mustafa Mahmood Abd al-Wahid, Editorial Secretary.,

.....



Consultative Committee

1. **Dr.Faysal Jameel Ghazawi**, The Holy Haram of Mecca” Imam” and the Dean of the Faculty of Dawa and Fundamentals of Religion in Um Alqura University - Mecca.
2. **Prof. al-Shaid al-Bushikhi**, Chairman, Board of Directors, Mubdi' Foundation for Studies and Research, Morocco.
3. **Prof. Fahd ibn Abd al-Rahman al-Roomi**, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.
4. **Prof. Abd al-Rahman ibn Maadah al-Shihri**, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.
5. **Prof. Ali ibn Ibraheem al-Zahrani**, Professor of Higher Studies, Head of the Department of Education, the Islamic University, Madinah.
6. **Prof. Yahya ibn Muhammad Zamzami**, Supervisor, King Abdullah's Chair for the Qur'an and its Studies at Umm al-Qura University, Makkah.
7. **Professor Abd Elhakeem Mohammed Al Onays**, Head of researchers and a member of senior scholars' board of Islamic Affairs and Charitable Activities Department –Dubai
8. **Professor Taha Hamad Abdeen**, The professor of Quran Tafseer and its Science in OM-Alqura University in Mecca.
9. **Prof. Ahmad Khalid Shukri**, Professor, Faculty of Islamic Jurisprudence [Shariah], University of Jordan.
10. **Prof. Ahmad ibn Muhammad al-Sharqawi**, Professor of Commentary and Qur'anic Studies, University of al-Azhar, Cairo, Egypt.



Conditions for Publication

One: material to be published:

The magazine aims to provide a forum for researchers all over the world to publish their academic studies in the area of in-depth understanding of the Qur'an, provided that such research reflects originality and conforms to the ethics and methodology of academic research.

The magazine will publish material that has not been already published in Arabic, in any of the following areas:

- Original research
- Academic debate
- Summaries of academic theses of distinction
- Reports of academic seminars and conferences.

Two: Format guidelines

1. Studies must not be more than 50 pages or less than 25 pages, A4, including abstracts in Arabic and English, as well as a bibliography.
2. Two centimetres margins should be left on all four sides of the page, with single spacing between the lines.
3. For Arabic, the font traditional arabic should be used, size 16 for the research itself, 12 for footnotes and the abstract, and 11 for figures and tables.
4. For English, Times New Roman should be used, size 12, and size 10 for the footnotes, abstract, figures and tables.



5. **Qur'anic verses** cited should be written as in the electronic copy published by King Fahd Complex for the Publication of the Qur'an, size **14**, not bold.
6. **Footnotes** should be page by page, with separate numbers for each page. Footnotes should be automatically, not manually, entered.
7. **Every submitted contribution** should be accompanied by the following details in both Arabic and English: The title; the author with his or her biodata; the author's contact details; themes of his or her previous research.
8. **The abstract** should not exceed **250** words, and should include: the theme of the contribution, its aims, methodology, main findings and recommendations. Special attention should be given to the writing of abstracts.
9. Every abstract in Arabic and English should give at the end no more than **six key words** that clearly identify the topic and the main issues it addresses.
10. **Contributions** must be free of grammatical mistakes.

.....
.....



Structure of contributions

Submitted contributions should be structured according to the requirements of academic research, in the following order:

1. The introduction should define the **subject matter**, its **limits**, **objectives**, **methodology**, **strategy** and **plan**.
2. Literature review, if any, and what the submitted research adds.
3. The **submitted research** should address certain inter-related aspects, in accordance with the **research plan**.
4. Each aspect should address a **particular topic** that forms a part of the overall theme of the research.
5. The submitted research should be written in proper academic style, free of grammatical mistakes, and with accurate citations.
6. A proper conclusion should be added, which includes **the main findings and recommendations**.
7. Footnotes citing works of reference should follow the proper standard used in Islamic and Arabic language research: "**The work; the author; volume; page**". E.g. *Lisan al-Arab*; Ibn Manzur; 2/233. **Quoted Qur'anic verses** should be followed in the main text by the name of the Qur'anic surah and the number of the verse. E.g. (Women: 55)
8. **References** should be added at the end of the research according to the following system:



- i. **If the reference work is a book:** the title; the author's surname; the author's first name(s); the name of the editor, if any; the edition number, city of publication, the publisher, year of publication. **E.g.** *Al-Jami' al-Sahih*; al-Tirmidhi, Abu Isa Muhammad ibn Isa; edited by Ahmad Muhammad Shakir, et al; 2nd edition, Beirut; Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, 2004.
- ii. **If the reference work is an unpublished dissertation:** the title of the dissertation; the author's surname; the author's first name(s); the degree for which it is submitted (Masters or Doctorate); the country; the faculty; the university; year of submission. **E.g.** *Ya'qub ibn Shaybah al-Sadusi: Atharuh wa Minhajuh fi al-Jarh wal-Ta'dil*; Matiri al-, Ali ibn Abdullah; M.A. Saudi Arabia; Faculty of Education; King Saud University; 1418 AH.
- iii. **If the reference work is an essay published in a periodical:** the title; the author's surname; the author's first name(s); the name of the periodical; place of publication; volume and number; year of publication; pages in the periodical x-xx. **E.g.** *Imam 'Affan ibn Muslim al-Saffar wa Minhajuh fi al-Talaqqi wal-Ada' wal-Naqd*; Matiri al-, Ali ibn Abdullah; Majallat Jami'at al-Qasim [Al-Qasim University Magazine]; Islamic Studies Section; al-Qasim. Vol. 3, No. 1; 1431 AH; pp. 35-85.
- iv. **Certain abbreviations** should be used where entries are unavailable. These are:
 - n.p. where the **publisher** is not mentioned
 - n.e. where the **edition** is not mentioned
 - n.d. where the **date** of publication is not mentioned.



Path of research submitted to the journal

- To submit a contribution through the magazine's website or by post implies that the author confirms that the research was not published anywhere else and is not, and will not be, submitted for publication elsewhere until it has been peer-reviewed by the magazine.
- The Editorial Board has the right to decide, on initial reading, whether it should be sent for review or rejected.
- The author is entitled to receive summaries of the reports of the reviewers so as to make the necessary amendments and to respond to any points that he or she finds unacceptable. The Editorial Board has the final say with regard to any ensuing dispute between the author and the reviewers.
- Authors will receive a letter to inform them whether their contributions have been accepted for publication in the magazine or a letter of apology if the contribution is rejected.
- Authors may publish their research that are published in the magazine after six months of the date of the magazine, but in any future publication, they must mention its publication in the magazine.
- Submission of a contribution through the magazine website or its email constitutes acceptance by the author of the magazine's conditions for publication. The Editorial Board determines the priorities of research publication.
- Views expressed in the published contributions reflect the views of the authors, and they are not necessarily shared by the magazine.



- The magazine adopts the University of Chicago referencing system in citing foreign sources.
- The author of a published contribution is given five copies of the magazine number in which his or her research is published.

.....
.....



Legislative Guidance on Foods Provisions: An Explanatory and Objective Study

Dr. Bey Zekkoub Abdelali

Assistant Professor, Department of Da'wah and Usuluddin,
Faculty of Islamic Sciences, Al-Madinah International
University, Malaysia

Abstract:

This research aims to shed some light on the most crucial Sharia law relating to the consumption of Halāl food based on selected verses from Sūrat Al-Mā'idah in order to create awareness among the Muslims regarding the provisions of foods that are permissible and forbidden. However, it is noted that some Muslims who are less devoted to their religious values do not bother eating in such foreign food chains or restaurants and never questioned whether the food served is Halāl or Harām. Such a behavior clearly contradicts the Quranic guidance in making sure of the status of Halāl on the food served. The discussion is also expected to benefit the international and domestic food companies with a greater concern on Sharia teachings on food handling from production to marketing and from preparation to



serving. This research uses inductive method in tracing the verses of Qur'ān that indicate provisions of foods in Sūrat Al-Mā'idah and their explanations (exegesis) based on the authentic books of Tafsir and Prophetic Tradition (Sunnah). Subsequently an analytic deductive approach is used to conclude the most important Sharia guidance related to the consumption of food. The author has discovered fourteen important findings of Sharia guidance related to the consumption of food and divided into general and special instructions, and has discussed them in this paper. Finally, the study recommended activating these legislative guidelines in Muslims daily life, and circulating them to the Halāl centers and their international laboratories which promote the standards of Halāl food. Especially that food is indispensable for humans and lots of money is spent on it.

Keywords: Legislative Guidelines, Food, Al- Halāl, Al-Harām, Sūrat Al-Mā'idah.

.....



**The guidance derived from the verse:
(Fa bimā rahmatim minallāhi linta lahum...)
[Al Imran: 159]**

Mr. Mohammed bin Ali bin Jamil Al-Matari

PhD student at Al-Madinah International University in
Malaysia and a forensic researcher specializing in Tafsir
and Hadith.

Abstract:

The Lord ordered us to contemplate the Quran to remember what it benefits us in our religion and life, and of the fruits of the Quran contemplation is realizing Quranic guidance, and is still open to elicit them from each of the verses, as you see in this applied research.

Research topic:

Quranic guidance derived from the verse: (So by mercy from Allah, [O Muhammad], you were lenient with them. And if you had been rude [in speech] and harsh in heart, they would have disbanded from about you. So pardon them and ask forgiveness for them and consult them in the matter. And when you have decided, then rely upon Allah . Indeed, Allah loves those who rely [upon Him].) [Al-Imran: 159].



research objectives:

To explain the meaning of the verse, and to collect as many of the guidance derived from them, which is found in the books of Tafsir (interpretation), and what the researcher has come into, with a statement of ways that can be achieved through the verse to reform of the Umma (nation).

Research results:

- 1.** The scope of deducting Qur'anic guidance is wide that no one can frame.
- 2.** The importance of good manners and virtues, and of the greatest ethics: leniency, compassion and pardon.
- 3.** Urging on Istighfar (seeking forgiveness) for Muslims.
- 4.** Achieving the principle of Shura in matters of Muslims, public and private.
- 5.** Urging trust in Lord to bring benefits and to avoid damages, religious and worldly, public and private.
- 6.** The virtue of the Qur'an and its greatness, and that it guides the nation at all times and places to which is the best to do in all things.



7. The Islamic Sharia came with best of the virtues and ethics, and came to the best of Muslims, in all their religious and worldly matters.

Recommendations:

Taking care of interpretation, contemplation, studying, teaching and preaching of the Holy Quran

key words: Guidance - contemplation - deduction - preaching - morals



No. (3)

The Eloquence of the Expression of "Tongue" in the Verses of the Holy Qur'an

Dr. Mohamed Hatem Abu Semaan.

Assistant Professor of Arabic eloquence, Department of Arabic
Language, Faculty of Arts and Humanities, Al-Aqsa University
- Gaza - Palestine.

Abstract:

This research sheds light on the eloquence of the expression of the "tongue" in the verses of the Holy Quran about the meanings that were embodied in it, where all the topics were traced as a try to reveal the precise indications and deep meanings used to express them, and the enrichment of those meanings and eloquent additions. Through deep analysis in the Qur'anic wordings in which they are mentioned. Through induction and analysis, it has been revealed that the "tongue" is mentioned in the Holy Qur'an and is included in unique synthetic formulas within the following important general semantic contexts: plot and beginning, honesty, lying, testimony, language, and malice in general.

Keywords: eloquence, expression, tongue, Qur'an.

.....
.....



The prophets' (peace be upon them) praise to their Lord in the Holy Quran Objective study

Mr. Hamza Abdullah Saadi Shawahneh

Part-time University Lecturer of Tafsir and Quranic sciences
in Al-Quds Open University, Qalqilya - Palestine - Faculty of
Educational Sciences And a researcher in Quranic studies

Abstract:

This research is titled: "The prophets' praise to their Lord in the Holy Quran Objective study", it aims to shed light on the stature of worship of the Tahmid (praise) among the prophets, (peace be upon them), through the verses of the Holy Quran, to achieve this goal, the researcher used the inductive and deductive methods, so that the Quranic verses that dealt with the subject of Prophets' (peace be upon them) praise to their Lord, and then deducting the most prominent attributes of Prophets' (peace be upon them) praise verses of the Quran, the results of the research were: the high stature of worship of the Tahmid (praise) in the Book of Lord, and that the prophets (peace be upon them) are the masters of Praise, where they praise Lord with their tongues in weal and woe, and



the need to imitate the ethics of the prophets peace be upon them in praise. The study recommended directing the scientific research to study the other Quranic positions where praise of Lord is mentioned.

Key words: The Holy Qur'an, interpretation, praise, The prophets.

.....
.....



Table of Contents

Subject	Page
From the Editor	19
One: Essays and Research	23
 Legislative Guidance on Foods Provisions: An Explanatory and Objective Study Dr. Bey Zekkoub Abdelali	25
 The guidance derived from the verse: (Fa bimā rahmatim minallāhi linta lahum...) [Al Imran: 159] Mr. Mohammed bin Ali bin Jamil Al-Matari	93
 The Eloquence of the Expression of “Tongue” in the Verses of the Holy Qur’an Dr. Mohamed Hatem Abu Semaan.	137
 The prophets’ (peace be upon them) praise to their Lord in the Holy Quran Objective study Mr. Hamza Abdullah Saadi Shawahneh	197



Subject	Page
Two: Summaries of Dissertations and Academic Research	241
 Report on a scientific thesis entitled: "The words of (la ilaha illa Allah) in the Holy Quran "Objective study Dr. Musa bin Salem al-Maliki.	243
 A report on "Yatadarasunaho" Program in Al-hikma Al-yamania Association for Charity in Yemen	259
Three: Reports of International Seminars and Conferences	285
 Report on the Sixth International Conference of Quranic Studies and the contemplation of the Holy Quran in Europe "The Qur'anic methodology in Building the Human».	287
Four: Abstracts in English	297



TADABBUR MAGAZINE

Periodical, Scientific and Arbitral Magazine specializes in arbitration and dissemination studies and searches related to Holy Quran, biannual issued

Number7; Muharram 1441 AH, corresponding to September 2019

﴿ كَتَبَ أَمْرُنَا إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذْكُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَسْتَذْكُرُوا لَنَا الْآلَاءَ ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- ✿ **Legislative Guidance on Foods Provisions: An Explanatory and Objective Study**

Dr. Bey Zekkoub Abdelali

- ✿ **The guidance derived from the verse:
(Fa bimā rahmatim minallāhi linta lahum...)
[Al Imran: 159]**

Mr. Mohammed bin Ali bin Jamil Al-Matari

- ✿ **The Eloquence of the Expression of "Tongue"
in the Verses of the Holy Qur'an**

Dr. Mohamed Hatem Abu Semaan.

- ✿ **The prophets' (peace be upon them) praise to
their Lord in the Holy Quran
Objective study**

Mr. Hamza Abdullah Saadi Shuwahneh

- ✿ **Report on a scientific thesis entitled: " The
words of (la ilaha illa Allah) in the Holy Quran
"Objective study**

Dr. Musa bin Salem al-Maliki.

- ✿ **A report on "Yatadarasunaho" Program**

Report on the Sixth International Conference
of Quranic Studies and the contemplation of
the Holy Quran in Europe "The Qur'anic meth-
odology in Building the Human».

